
الكتاب المقدس
في الميزان
نجوى

# الكتاب المقدس في الميزان


تأليف

دكتور ادوار ج. يونج

استاذ العهد القديم بكلية لاهوت
وستمنستر - فيلادلفيا

نقله إلى العربية

القس الياس مقار

رئيس الطائفة الانجيلية بجمهورية مصر العربية




**طبعة ثانية**

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص. ب. ١٣٠٤ - القاهرة

١٢٧/١٠ - ط ٧٧/٢ ( أ ) ٢ - ٣
الايداع ٧٦/٥٥٤٠ الدولى ٧ - ١٦ - ٧٠٧١ / ٩٧٧
طبع بمطبعة : **دار الجيل بالفجالة**

# تمهيد

تعرض الكتاب المقدس عبر الزمن لجروح عديدة ••• من ناقد للوحي • الى معترض على صحته ، الى مدع بأنه تغير وتحرف • وفى القرن العشرين سلطت على الكتاب المقدس سهام « العصرية » التى حاولت أن تفسره بمعان تسلبه أعز مافيه • ولعله من دواعى الأسف أن أولئك الذين سلطوا هذه السهام عليه هم ممن يسمون أنفسهم « رجال اللاهوت » •

انه يسعد دار الثقافة المسيحية ، أن تقدم الكتاب الأول من نوعه فى اللغة العربية « الكتاب المقدس فى الميزان » ، يقدمه أستاذ فى اللاهوت « دكتور ادوارد ج يونج » ويترجمه أستاذ فى اللاهوت « القس الياس مقار » • وقد جاء الكتاب دراسة علمية لاهوتية مدققة عن « الوحى » المقدس • انه يتعرض للآراء العصرية ويفندها ، كما أنه يناقش الوحى وصحته •

هذا كتاب رائع عميق لازم لكل دارس•

**القس صموئيل حبيب**
مدير الدار

# فى هذا الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

# مقدمة المؤلف

ليست هذه الدراسة بحثا لاهوتيا بالمعنى الدقيق ، اذ أنها أدنى الى أن تكون كتابا شعبيا . قصد به مخاطبة العقل العلمانى ، بالعقيدة الكتابية عن الوحى الالهى واقناعه بأهميتها القصوى . ••• وهى فى المعنى الأدق والأخص ، نداء الى الرجل الانجيلى المعاصر ليعض بناجذيه على المفهوم الصحيح الدائم للوحى فى الكتاب المقدس !! ••

وعلى الرغم من كل ما قيل أو يقال غير ذلك ، فمن الضرورى أن نرتفع بمفهوم العقيدة الخاصة بالوحى الالهى ، الى السمت والذروة ، لأنه اذا لم يكن الكتاب المقدس كتابا معصوما ، فلن يبقى أمامنا شىء على الاطلاق ، يمكن أن يكون موضوع يقين أو تأكيد . وستذهب سائر العقائد الأخرى ، واحدة وراء الأخرى فى مهب الريح . بل المسيحية كلها تدور وجودا وعدما حول الايمان بعصمة « الكتاب المقدس » •• وستكون أية محاولات لتجنب هذه النتيجة فى واقع الحال ليست الا من باب الخداع للنفس !!

والملاحظ فى هذه الأيام أن هناك نوعا من الميل للانحناء أمام بعض المطالب للذهن العصرى المستريب ، ويظهر هذا فى المذلة الفكرية ، أو عدم وضوح الرؤية ، أو التردد العقائدى ، أو مهادنة بعض الأفكار التى يطرحها مايطلق عليه « النقد الأعلى » أو الوجل من مواجهة التيارات العصرية ، أو خشية حمل عار المسيح ، وقد وضع هذا الكتاب خصيصا للذين يتعرضون لهذه كلها !! ••

يهتم الكثيرون من العلماء بما يطلق عليه « الجانب الانسانى فى الكتاب المقدس » فاذا كانوا يقصدون من ذلك الدراسات المتعلقة بالخلفيات اللغوية ، والجغرافية ، والتاريخية ، وما يمكن أن يلحق من أسئلة خاصة بالمقدمات ، وفى الوقت عينه يؤمنون بما هو « خارق للطبيعة فى الكتاب المقدس » فلا خلاف بيننا وبينهم على وجه الاطلاق ... أما اذا تجاوز الأمر ذلك . فدرسوا ما أسلفت الاشارة اليه ، وما هو شبيه به . دون ايمانهم بالعنصر الالهى فى الكتاب المقدس ، فهنا نحن معهم نختلف . ... وعلى وجه الخصوص أن الكثير مما ينشر فى هذه الأيام يبدو أنه صادر عن أناس ليسوا مقتنعين بالوحي الخاص ومتضمناته ، .. بل اذا شئنا الدقة . أن الفكر الحديث يرتكز فى حقيقة الأمر على أساس فلسفى ، معاد فى حقيقته لما هو « خارق للطبيعة» و « للاعلان المسيحى » بل ربما لا نعدو الحقيقة . اذا قلنا انه لا مكان عنده لله ، الاله القوى القادر على كل شيء خالق السموات والأرض ، وقد استبدله باله آخر يرتبط بالانسان فى الأرض ، وعند التحليل الدقيق آخر الأمر ، باله يقيده الانسان ويحده بين يديه ، وما أبعد هذا عن العقيدة الصحيحة فى كلمة الله !! ..

على أنه من الجانب الآخر ، قيل ان أحدث اتجاهات الفكر اللاهوتى المعاصر ، أخذت تنبذ هذا لترجع بنا الى الكتاب المقدس مرة أخرى ، .. ولكن السؤال الهام .. والى أى كتاب !! ؟ .. فى الواقع أنه ليس الى كتاب الله المعصوم ، الذى قبله السيد المسيح ، ورسله ، وتصدى للدفاع عنه الكثيرون من الأبطال أمثال وورفيلد ، وهودج ، وجرين ، وماتشين ضد الهجمات العصرية ، ... لا ليس الى هذا الكتاب المبارك الذى يخبرنا بمحبة الفادى !! انهم يتجهون بنا الى كتاب آخر يبدو فى تصورهم أنه ليس خاليا من الهنات ، وليس هو أكثر من شاهد يدل الطريق على

كلام الله . ... مثل هذا الكتاب قليل الجدوى لانســـان يبحث عن النظريات الخاصة بالخطية ، والخاطىء لايحتاج الى كتاب تعطيه كلماته غير المعصومة صورة مبهمة عما يمكن أن تشهد به الكلمة الالهية ، بل هو فى حاجة الى كتاب تعطيه كلماته الصادقة الحقة الصورة المجلوة لكلمة الله نفسها . ... وعليه فان الرأى القائل ان كلمات الكتــاب المقدس ليست الا اشارات أو شهادات عن الاعلان الالهى . دون أن تكون فى ذاتها هى الاعلان نفسه ، هذا الرأى ليس تعليميا أو كتابيا على الاطلاق، اذ هو مضاد للفكر الصحيح عن الكتاب المقدس !! ..

فاذا قيل لماذا لايقبل كثيرون من المتعلمين أو الرجال الطيبين شهادة الكتاب المقدس عن نفسه لا نملك الا أن نقدم لهم اجابة توماس بوسطن يوم قال : « ان السبب واضح بين ، فقد يكون حظ بعض العلمـــاء المقتدرين أدنى من الدهماء غير المتعلمين ، تماما كما أن الشمس الساطعة تكشف عن نفسها، غير أنها مهما تلألأت لا يستطيع الأعمى الغارق فى الظلام رؤية نورها !! .. »

لقد تابعت فى هذا الكتاب ، فى الفصل الأول ، العلامة وورفيلد ، وكنت منه على أقرب صلة اذ أنه كان فى عقيدتى أقدر الناس على التفسير الصحيح لما جاء فى الأصحاح الثالث والعدد السادس عشر من الرسالة الثانية الى تيموثاوس ، ومع أن هذا العدد ليس المشجب المنفرد الذى تعلق عليه الدراسة الخاصة بالوحى الالهى ، الا أنه يصلح مثالا للتعليم المعروف فى العهد القديم : أن الله يتكلم حقا !! ..

ومن اللازم أن أشير أيضا ، الى ما حظى به اقرار الايمـــان الوستمنسترى ، فى ذات الفصل ، ولست أظن أن هناك قانونا أروع من

هذا القانون فى وصف الوحى الالهى ، وأعتقد أن من الواجب على الكنيسة أن تدرس بعناية هذا القانون العظيم !! ..

ولن أتعرض فى هذا الكتاب كثيرا لقانونية الكتب المقدسة، اذ أن غرضنا الأساسى ههنا هو بحث سلطانها ، دون الرجوع الى الوراء كثيرا لبحث أسسها وقانونيتها ، التى ستأتى بعد ذلك فى مرتبة تالية ، كما لا نتعرض لبعض مظاهر الوحى التى لا تمس مباشرة نهجنا أو غرضنا فى الدراسة ههنا !! ..

وانى وان كنت أكره من أعماق قلبى الآراء العصرية عن الكتاب المقدس ، الا أنى لا أملك أن أبدى اعجابى بالجهد الذى بذله كثيرون من الرجال العصريين ، ومع أنى أناقض آراءهم عندما أشير اليها فى الكتاب ، الا أن هذا لا يمنع أن أشير الى مقدار ما بذلوه من جهد فيما يكتبون ، وعلى سبيل المثال فان بروفسور بيير كان مقتدرا فى عرض التاريخ المقدس ، فيما جاء فى كتابه « الله فى التاريخ » .

ولا يسكن فى هذا المجال الا أن أذكر بالتقدير مختلف دور النشر التى سمحت لى باقتباس ما جاء فى الكثير من مطبوعاتها ، كما لا أنسى من أعانونى من المساعدين بشتى أنواع المساعدة على اخراج هذا المؤلف الى عالم النور .. لهم منى جميعا أعظم تحية وأوفر تقدير !! ..

# مقدمة المعرب

سأل أحدهم الواعظ الانجليزى العظيم سبرجن عما اذا كان يمكنه الدفاع عن الكتاب المقدس فأجاب السائل قائلا : « ماذا تقول •• أدافع عن الكتاب !! ؟ وهل يدافع أحد عن الأسد ؟ !! أطلقه من عرينه ليدافع هو عن نفسه !! ؟ وما أحسب أن : « الكتاب المقدس فى الميزان » الا بمثابة فتح باب العرين للأسد ليدفع عن نفسه !! ••

ولا حاجة الى القول ان الأسد فى كافة الظروف هو الأسد ، داخل العرين أو خارجه ، فى أعلى الربى أو فى أسفل الوديان ، وأن الكتاب المقدس ، مهما اختلف الناس حوله بين صديق وعدو ، ومريد وخصم ، فهو « السيد » بين مالا ينتهى من الكتب عبر القرون والأجيال ، ومهما نازع الناس فيه ، فانهم يحنون الهامة لأثره العظيم فى التاريخ البشرى . وضعه نابليون فى مكتبته بين كتب السياسة يستلهم من عبره ووقائعه أثمن الدروس التاريخية ، •• وكتب عنه غلادستون وهو يمعن فى فحصه كتابه : « الحصن المنيع فى الكتاب المقدس » قائلا : « ان اعلان الله لا ينير فحسب ولكنه يلزم أيضا ، وكأوراق الاعتماد للسفير الأرضى ، من الضرورة والعدالة أيضا أن تفحص أوراق الوحى والاعلان الالهى ، فمتى وجدت صحيحة ، وتبرهن لنا على صحتها فى ذات المستوى المألوف والمنشود لما يمكن أن تكون عليه سائر أمور الحياة الأخرى ، فان العقل لابد يعترف ويقبل مالها من صفة الزامية •• ولا نجد أنفسنا بعد ذلك أحرارا فى الانطلاق كما نشاء من دون قيد أو شرط ، بل خداما لسيد ، وتلاميذ لمعلم ، وأبناء لأب ، وكل واحد منا مرتبط بذات الربط التى يرتبط بها هؤلاء ••• ومن ثم فالرأس والركبة ينبغى أن ينحنيا أمام الله الأبدى ، كما أن المشيئة الالهية

ينبغي أن يخضع لها الانسان ، ويقبلها من كل قلبه ، وكل فكره ، وكل نفسه ، وكل قوته » ..

ومهما كان اختلافنا مع كثير من الفلاسفة ، في الأسس التي يبنون عليها فلسفاتهم ومواطن القوة أو النقص فيها الا أننا نلاحظ أن جون لوك قال : « في سبيل اعطاء الانسان معرفة كاملة عن الآداب الحقيقية لا يلزمني الا أن أرشده الى كتاب العهد الجديد » .. ومع أن عمانوئيل كانت ترك أثرا رهيبا في الفلسفة الأوربية ، وهاجم جميع المعتقدات التي تؤمن بالوصول الى الله عن طريق البحث أو العقل البشري ، ومع أن الفلسفة الكانتية تعتمد على الحس وتقول في كتاب نقد العقل الخالص على ما سنشير اليه فيما بعد في الكتاب : « انه يتبع ذلك بما لا يقبل الشك أن التصور الخالص للفهم عاجز عن التجرد وينبغي أن يظل دائما في النطاق التجريبي ، كما أن مبادىء التصور الخالص يلزم أن تجيء في نطاق القواعد العامة لأي اختبار ممكن وخاضعة للحس ، ومن غير تجرد ، ومن دون معزل عن الصورة التي نستطيع أن تتصوره بها » .. وقد اتبع هذا أن يصف كانت الحياة في : « الصورة التي يمكن تصورها هنا أننا نعيش فوق سطح جزيرة في قلب بحر ، ونحن ملوك على هذه الجزيرة ، ويمكننا أن نبحث أو ندرس أو نفكر على هذه الجزيرة بما يرضي هوانا ومع ذلك فكلما درسنا جزيرتنا كلما تبينا أننا نعرف فقط من الأشياء ما هو ظاهر دون أن نبين حقيقة الأشياء ذاتها .. وحول هذه الجزيرة هناك بحر بغير حدود ، ونحن لا نستطيع الاقتراب من هذا البحر ، المغطى بضباب كثيف ، واذ نحاول الدخول نجد قتاما أحلك من الليل البهيم يمنعنا من الابحار فيه ، ويردنا الى الجزيرة التي نقع فوقها ، وقد تظهر أحيانا بعض الأشياء المبهمة والتي تبدو هنا أو هناك ، ودون أن نعرف حقيقتها » .. ومع أن المدرسة الكانتية لذلك كله ، قد تركت أبعد الآثار السلبية أو الايجابية في المفهوم

الدينى ، الا أن كانت نفسه وقف من الانجيل قائلا : « انك تصنع حسنا اذا أسست سلامك وتقواك على الانجيل ••• ففى الانجيل هناك الينبوع والمصدر لكل الحقائق الروحية العميقة بعد أن أعيا العقل وأفلس فى كل الميادين والاتجاهات » ••

ولا يمكن فى سياق الجدل العلمى الذى تعرض له الكتاب فى أكثر من موضع ومكان . أن ننسى شـهادة العلماء •• ، وقد كتب دكتور آرنولد جيوت . وهو الذى ظل أستاذ الجغرافيا الطبيعية والجيولوجيا فى جامعة برنستون لمدة ثلاثين عاما وكتب كتابه : الخليقةونظرية تكوين العالم فى الكتاب المقدس فى ضوء العلم الحديث مايلى : « تقف القصة الكتابية بما فيها من بساطة ونقاوة ويقين وجمال تاريخى على النقيض تماما من تلك الأساطير الخيالية والرمزية والمعقدة والتى شحنت بهـا الديانات الوثنية القديمة •• وبجمالها الأخاذ وفكرها المنظم والتنسيق الفلسـفى الرائع لسائر أجزائها المختلفة ، وبالأولى بهذا الحرص العجيب فى سرد الحقائق ، والذى يترك أوسع المجالات للاكتشافات المتعددة ، تفصح عن الارشاد العلوى العظيم الذى وجه قلم الكاتب وصانه ليكتب داخل حدود الحق وفى نطاقه » •• كما أن دكتور الفونسو سميث قال بهذا الصدد : « ليس هناك أصحاح واحد فى كل الكتاب المقدس أثر فى بعظمته الأصيلة كمثل ما يفعل الأصحاح الأول من سفر التكوين ، ففى مزاجه الرائع من الجمال والقوة ، وفى الطرقات الخفاقة وفى الاحســـاس الجميل بالحق العظيم المتضمن فيه ، وفى الفخامة الشامخة والتلقائية التى لاتتحقق الا لكل فكر عظيم يحسن الافصاح عنه وتعبيره ، سيبقى هذا الأصحاح عندى من غير مثيل أو ضريب •• فليس فى العهد القديم كله شىء أسمى وأعلى من تلك الطريقة التى أمسك بها كاتب الأصحاح الأول من سفر التكوين العناصر الأولية للعالم وأزال عنها ماترسب حولها من أغشية وطبقات •• ويكفى أن تقرأ مافعل الفكر اليونانى والرومانى بالأرض والماء والليل والشمس

والقمر والنجوم لترى كيف دفنها تحت رواسب متخلفة من الخيال الشاذ والتاريخ السخرى • وليس هناك عدد واحد من هذا الأصحاح لم يسجل سموا روحيا يعلو على جميع ما خلفته هذه فى كل الأجيال ••• فاذا كان الشعراء فى بعض الأحايين قد عزوا ضياع الأساطير القديمة الى الاعلانات المنبثقة من العلوم فاننا يمكن أن نقول مع ذلك ان الذى دفع الأساطير الى العفاء ليس هو العلم الحديث ، بل الأصحاح الأول من سـفر التكوين !! » ••

فاذا تحولنا الى الأدب العـالمى ، لا نكاد نجد رواية من روايات شكسبير تخلو من الاقتباسات الكتابية ، كما أن الفردوس المفقود والمردود لملتون يرجع فى لحمته وسداه الى الكتاب المقدس ، وماذا نقول عن روائع وردزورث وتينسون وأثر الكتاب الواضح فيها ، •• حقا قال جوته الشاعر الألمانى : « ليتقدم العالم كما يشاء ، ولتنم شتى فروع الأبحاث البشرية الى الذروة فى كل شىء . فلن يوجد على الاطلاق ما يمكن أن يأخذ مكان الكتاب المقدس » ••

••• قال سر ولتر سكوت لصهره لوكهارت فى ضجعة الموت : «أى ولدى هات لى الكتاب واقرأ » واذ أجاب لوكهارت ، ومكتبة الأديب الانجليزى تزخر بآلاف الكتب والمؤلفات : « أى كتاب تريد » ؟ وجاء الجواب الرصين : « ليس هناك يابنى سوى كتاب واحد •• اقرأ لى شيئا من الكتاب المقدس من انجيل يوحنا » ••

ولسنا نظن أن هناك كتابا خاض معارك وملاحم كما خاض هـذا الكتاب طوال ألفى عام فى التاريخ المسيحى ، فمنذ فجر المسيحية قامت الحرب الضروس بينه وبين أباطرة الرومان وقد حاول هؤلاء الأباطرة فى الاضطهادات العشرة المتلاحقة ازالته وازالة المسيحية من الوجود ، فمعارك نيرون، ودومتيان، وتراجان، وسبتميوس وسيفيروس ، ومرقس أوراليوس وفاليريان ، الضارية مع الكتاب لم تزد المسيحيين به الا تمسكا وثباتا ،

وكانت على النقيض مما أمل الأباطرة تماما ، اذ ساعدت على نشره فى كل مكان فى أرجاء الامبراطورية ، ••• ومعارك العصور الوسطى حيث حاربت الكثلكة ترجمته ونشره بين العامة ، وحيث سقط الكثيرون شـــهداء التمسك به ، وتعليمه للجميع ، معارك من أروع ماسطر التاريخ البشرى ،•• ان النهضة العلمية التى ظهرت فى منتصف القرن الرابع عشر الى القرن السادس عشر ، والتى رأى فيهــا أبطال الاصـــلاح الدينى أمثال لوثر وملانكثون وزونجلي وأرازمس فرصـــــة المسيحية الذهبية والخروج بالكنيسة من محنة الظلام التى سادتها طوال العصور الوسطى ، هذه النهضة قد تحولت فى القرنين الثامن عشر والتاسـع عشر الى اتجاهين مختلفين . اتجاه يؤمن بالعقلانية المجردة التى لا تؤمن بما هو فوق الطبيعة وخارق لها ، واتبعت أسلوب « النقد الأعلى » وقد هجر هــذا الاتجاه الايمان ، مؤمنا بالنظريات العقلية •• ولكن هل يستطيع العقل وحده معرفة الله ، معرفة صحيحة كاملة ، وهل يمكن لفلسفة ما بعيدة عن الوحى الالهى ، أن تدرك الله ادراكا صحيحا سليما ، •• لقد هاجم عمانوئيل كانت فى كتابه « نقد العقل الخالص » العقل البشرى ، وأثبت عجزه عن فهم الله وادراكه ، وأنه لايجوز اخضاع « وجود الله » للدراسة العقلية ، وان كانت مطالب الحياة العملية ، تؤكد وتظهر هذا الوجود !! •• غير أن كانت ، وهو الجالس كما تخيل على جزيرة فى قلب بحر عظيم كان من المستحيل عليه أن يصل الى ادراك الله . سواء بالعقل أو « الحس » الادراك الصحيح •• لقد تصور كانت ثلاثة أمور رئيسية فى الله والدين أطلق عليها « الله » و « حرية الانسان » و « الخلود » ولم يكن يبالى بغيرها ، على أنه عاد فى أخريات حياته للتأمل فى ظاهرة الشر والخطية •• ان العقلانية المجردة بما تتمخض عنه من دراسات اختلفت بين الفلاسفة أنفسهم ، فما يكادون يستقرون على شىء واحد ، •• بل لعل خير مايقال عنهم هو ماكتبه دكتور جراتان جوينيس فى كتابه « الخليقة تتركز فى

المسيح » عن الفلسفة والطبيعة وعلاقتهما بالنفس البشرية : « الفلسفة ... وماذا تعلم الا أن الانسان لا يعلم شيئا عن الأمور التى يتعين عليه أن يعرفها حقا !! ؟ .. هذا هو اكتشافها الأعظم ، انها تضىء شمعتها الواهنة المستدقة الطرف ، وترفعها الى أعلى لترى !! .. كونا غارقا فى الظلام المدلهم ، أنها تقرع بضرباتها المنظمة الرتيبة أعماق الجهل البشرى !! .. وتضعنا بمجهود مضن ولكن فى مستوى أعلى فى وسط الأشياء التى تنشغل بها .. والى أين !! ؟ الى أنهار تنبع من منابع مجهولة لتصب فى بحار مجهولة كذلك .. وعبثا نسألها « ماذا » و « أين » و « الى أين » اذ وحيها أصم !! .. وعندما تتحول فى يأسنا القانط من معرفة الحق والعزاء والقداسة والحياة عن طريق الذكاء الانسانى الخائب ، الى مظهر الطبيعى الجليل ، ونرفع أيدينا فى فضاء الكون الشاسع غير المحصور ونسأل من يعطينا النجاة !! ؟ نجد الجواب الوحيد ، ان كان هناك ثمة جواب !! .. فى صمت النجوم الأبدى المرتفعة فوقنا ، وفى سكون القبر الرابض تحتنا » ..

أما الاتجاه الثانى للنهضة العلمية فقد أسفر عن « النقد الأدنى » وهو من أعظم ما أعان الكتاب المقدس وخدمه ، اذ اتجه الى دراسة المخطوطات دراسة علمية دقيقة ، ووزن اللغة ، والآية الكتابية ، وتاريخ المخطوطة وعصرها ، وبحثها بحثا علميا دقيقا ، .. وهو ما لايجفل منه الكتاب ، بل بالحرى يرحب به ، ويصر عليه ، .. وفى الحقيقة أن الكتاب المقدس كالجوهر الدرى الثمين ، يزداد بالاحتكاك لمعانا ونورا ، ولا يجوز بتاتا حمايته من البحث والدرس والنقد العلمى ، بوسائل قهرية ، أو تحايلية ، أو مصطنعة ، بدعوى أنه كتاب الله ، لأنه اما أن يكون هذا الكتاب كتابا لله حقا ، لا يخشى النور ، أو يجفل من النهار ، أو يفزع من الحجة والمقارعة ، أو لا يكون كذلك ، وعندئذ تكون مهانة لله

وللانسان أن يحمى الكتاب بالقوة الغاشمة ، أو قتل البديهة ، والمنطق ، والتفكير !! ••

وكتاب « الكتاب المقدس فى الميزان » وقد وضع فى الأصل الانجليزى تحت عنوان « كلامك هو حق » من أحدث الكتب التى تؤمن بهذه الحقيقة المشار اليه ، بل لعله من الملاحظ أن كاتبه دكتور ادوارد ج يونج ، قد يؤخذ عليه أنه غالى فى تعرية الحقائق ، وشجاعته فى مواجهتها ، ولم يكتب فى السنوات الأخيرة فيما أعتقد ، مثل هذا الكتاب فى روعته وعظمته وقوته وحجيته فى الدفاع عن الوحى اللفظى ، وقد عاش الكاتب حياته عالما متضلعا فى اللغة العبرية ، ودراسات العهد القديم ، وكان أستاذا للعهد القديم فى كلية وستمنستر فى فيلادلفيا ، ورئيس تحرير التفسير الدولى الحديث للعهد القديم ••

ونحن اذ نقدم الكتاب فى اللغة العربية ، نشكر هيئة نشر أردمانز التى أعطتنا حق ترجمته ونشره باللغة العربية ، ونأمل وهو يلقى الضوء على الكتاب المقدس الذى وصفه توماس كارليل بأنه : « الكتاب الوحيد الذى ظل لآلاف السنين يرسل ضوءه الى الانسان ، ويغذيه ، ويستجيب لأعمق احتياجاته القلبية» ان يأخذ مكانه الصحيح ليس من عقل القارىء أو عاطفته فحسب ، بل أكثر من ذلك من قلبه وارادته أيضا !!••

« .. حتى لا يلزم أن نتصور ان اللغة صادرة من الرجال الموحى اليهم بل من الكلمة الالهيـــة المحركة لهم .. »

يوستنيان الشهيد

« كل ما تقوله الكتب الالهية هو صوت الروح القدس »

غريغورى النسى

« ومن أجل ذلك يجب أن نخضـع وأن نقبل سلطان الكتب المقدسة التى لا يمكن أن تخـدع أو تخدع »

اوغسطينس

# الفصل الأول

# الموضوع أمام الكنيسة

ليس من قبيل اللغو أو التزيد فى الكلام ، أن يقال ان المسيحية تقف اليوم على مفترق الطرق ، فهذه حقيقة لا ريب فيها أو شك ، .. بل ان المسيحية منذ تاريخها الأول تجبر فى العادة على اختيار الطريق الذى تسلكه !! .. ألم يقل سيدنا المسيح : ان أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة ، وهو بهذا لا ينفى أنها ستبذل أقصى الجهد لكى تنتصر ، .. ومن الواضح أن الكنيسة منذ نشأتها تحارب فى معركة ضارية روحية ، وأعداؤها الأشداء يشنون الحرب عليها ، لعلها تتخلى عن طريقها الواضح المرسوم ، .. وان أمكن القضاء عليها وتدميرها !! .. وقد قال الرسول بولس فى هذا : « ... فان مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » .. أف ٦ : ١٢ .. والكنيسة فى كل تاريخها عليها أن تختار واحدا من طريقين اما « مع المسيح » أو « ضده » وهى لهذا تقف دائما على مفترق الطرق ، .. غير أنه هناك فرق بين مفترق ومفترق ، .. فهناك مفترق واضح بين السبيل ، ولا عذر لها ، اذا ضلت فيه الطرق ، .. غير أن البعض الآخر قد لا يظهر بمثل هذا الوضوح ، فلا تظهر له سمات بينة واضحة ، وهنا يكمن الخطر ويشتد كما هو فى الموقف الحالى ، والذى يتهدد الكنيسة بأوخم العواقب ، اذ يبدو أن العلامات القائمة على الطريق قد أفسدت بالصورة التى يمكن أن تضلل السائرين أو العابرين فيه !! .. ان كتاب الله مايزال

كما هو كتاب دليل وخريطة للمسافرين ، وستبقى رسالته واضحة لكل من يقرأ ويفهم ، لأنها صادرة من رب الكنيسة الذى هو الحق نفسه ، ولا يمكن أن يكذب ، بل ان من يقتفى أثر الكتاب سيأمن الزلل فى كل نهج وطريق ، .. لكن الكنيسة اذ تأخذ طريقا منحرفا يقودها الى الضياع فان السر فى ذلك أنها لم تنصت الى دليلها بل سارت فى الطريق وراء خرائط زائفة مضللة .

ان الكنيسة لابد أن تواجه اختيارها اليوم . .. وهو ان تحرينا الدقة نفس الاختيار القديم بين الايمان بالديانة الخارقة للطبيعة ، والأخرى التى من صنع الانسان ، .. والسؤال هل الكنيسة تتبع الله أم تتبع الانسان !! ؟ هذا هو السؤال القديم الذى واجهها وما يزال الى اليوم يواجهها ويواجه كل من يدعو باسم الرب .. فى أيام أثناسيوس كان على الكنيسة كما هو اليوم أن تقرر أتسمع صوت الانسان أم صوت الله !! ؟ .. وقد ترفق بها الله عندما قادها فى ذلك التاريخ لتسمع صوته ، وترفض الصوت البشرى الكذوب !! .. كان النزاع حينذاك بين الديانة الخارقة للطبيعة ، والديانة من تفكير الانسان ، وكانت تدور حول السؤال : هل يسوع المسيح هو ذات الله !! .. أم مجرد مشابه لله !! ؟ فاذا كان مجرد مشابه لله ، فانه بالتبعية يكون شيئا أقل من الله ، وأقل منه بما لا نهاية له .. وهذا الذى هو أقل لابد أن يكون مخلوقا ، ولا يقدر أن يخلص الذين وضعوا ثقتهم فيه !! .. ووقفت الكنيسة ، وهى تنصت الى صوت الله الآتى من الكتاب المقدس ، الى جانب ماهو خارق للطبيعة ، وأعلنت بكل ثبات ورباطة جأش : أن يسوع المسيح هو الله الحقيقى .. اله حق من اله حق !! ..

ورحى المعركة اليوم دائرة بين ماهو خارق للطبيعة ، وما هو طبيعى ، وهى تحتدم على وجه الخصوص فى موقعة لا يجوز أن تتوقف

قبل أن تحسم ، وهـذه المعركة تنحصر فى علاقة الكتـاب المقدس بالكنيسة ، •• أو بتعبير أدق فى طبيعة الكتاب المقدس نفسه •• ماهو هذا الكتاب !! ؟ هذا هو السؤال الذي يلحق به سؤال آخر !! ما موقفنا وموقف الكنيسة من الكتاب المقدس !! ؟ هذا هو موضوع العصر !!•• الموضوع الكثير التداول ، ويكفيك أن تفتح أى كتاب حديث كتب فى النصف الأخير من القرن الحالى ، الا ويواجهك هذا السـؤال بهذه الصورة أو تلك •• سيقال لك ، كانت هنـاك فكرة قديمة ثابتة عن الوحى ، على انه أعقبها النظرة العلمية الحديثة ، وصاحب هذه النظرة التطور الفلسفى التاريخى ، وبدا كما لو أن القيمة الروحية للكتاب قد نبذت تماما •• على أن دراسات القرن التاسع عشر كشفت فى الوقت عينه ، عن الكثير من العورات والقصور وعدم الشسولية فى هذه النظرة العلمية . وجاءت الحربان العالميتان فى القرن العشرين والاكتشـافات الأثرية الحديثة ، وما أثبتت من فائض روحى عظيم للكتاب المقدس ••• ان مهمتنا فى الوقت الحالى الحرص على الأرباح الهائلة للدراسـات العلمية ، والكشف فى نفس الوقت عن الرسالة الايجابية التى يحملهـا الكتاب ومطابقتها للعصر الحالى ، واثارة الانتباه بقيمتها الفائضة ••• وهناك مع ذلك اتفاق يجمع عليه جميع المفكرين المحدثين ، وهو أنه لا يمكن العودة فى أى حال الى النظرية القديمـة التى آمنت بفكرة الوحى الاملائى الآلى ، ولست أظن أن أحدا الآن يقبل مثل هـذا التصور !! ••

على أنه على أى حال سواء أردنا أم لم نرد فان الكتاب المقدس سيبقى الموضوع المطروح على بساط البحث ، ومن المؤسف أن هناك من يتعجل الحكم على الأفكار القديمة عن الوحى ، فيظن أنها انتهت ، وأنها لم تعد صالحة لعصرنا الحالى ، وقد انزلق الى هذا كثيرون من الكتـاب المحدثين الذين لم يكلفوا أنفسهم جهدا علميا شاقا ، وعندما قدموا ، لم

يقدموا سوى القش ، دون أن يبلغوا لب الحقيقة ، وهذه واقعة جديرة بالأسى والألم ... على أن هناك ماهو أكثر من ذلك وأشد وأنكى : وهو أن الفكر الكتابى لم يسىء فهمه أو تفسيره فحسب ، بل تطور الأمر أكثر، مما سيكشفه هذا المؤلف ، هو أن الانسان العصرى ليس عنده أدنى رغبة للاصغاء لصوت الله الوحيد الحى والأبدى ، بل هو على العكس من ذلك يفضل أن يؤسس حياته الدينية على رمال الفكر البشرى !!..

قد لا يكون من السهل فهم موقف الانسان الحالى وهو يبحث عن عقيدة فى الوحى ، أو الارتباط بالكتاب المقدس على أساس جديد ، دون العودة الى الخلفية أو الأرض التى نبتت فيها مثل هذه الأفكار ، ولحسن الحظ أن الأمر لايحتاج الى خبير فى تاريخ الكنيسة أو الفلسفة ، ومؤلف هذا الكتاب لا يدعى أنه واحد منهما ، لادراك أو متابعة الحركات الدينية الحديثة . كما أن المؤلف وحقل دراساته العهد القديم ، لا يستطيع متابعة كل مانشر من النظريات العصرية المتعددة ، وفى عرفه أن هذا ليس قصورا يمكن أن يحاسب عليه ، اذ أن هذه الأفكار والنظريات مهما تنوعت ، تكاد تكون واحدة آخر الأمر ، ويمكن متابعتها فى العهد القديم أو شتى الدراسات الأخرى !! ..

عندما جاء الاصلاح الدينى شاء الله فى عنايته وجوده أن يرى الناس كتابا مفتوحا ، على أنه ما أن جاء القرن الثامن عشر حتى طغت الموجة العقلانية ، التى لم تعط للناس أن ينتفعوا بالكتاب المقدس على وجه صحيح ، وعندما أقبل القرن التاسع عشر كان الفكر الغربى تحت تأثير هيجل وداروين قد انساق وراء نظرية النشوء والارتقاء ، دون البحث الكافى فى كلمة الله ، .. وبرزت من وراء هذه الخلفية ما أطلق عليه لفظ « العصرية » التى وان بدت اليوم تتوارى لتخلف وراءها النظرية اللاهوتية التى تحاول أن تربط « الكلمة » بالمصطلحات التقليدية فى المسيحية التاريخية . .. هذا البديل العصرى وان كان فى حد ذاته ضد

العقلانية ، الا أنه أخطر وأعمق عداء للمسيحية الحقيقية من العصرية التى يريد أن يحتل مكانها !! ..

ان أنصار هذا الفكر العصرى البديل ما فتئوا ينقدون العصرية السابقة ، ومنهجها العلمى الذى شاع فى دراسة الكتاب المقدس فى القرن التاسع عشر ، ويأخذون عليها أنها أهملت القيمة الروحية فى الكتاب ، وفقدت الرؤية الصحيحة والحقيقية له .وهم فى الوقت الذى يطلبون فيه الحرص على المكاسب الهائلة من وراء الدراسة العلمية للكتاب المقدس والسمات الثابتة فيه ، يطلبون منا فى الوقت نفسه هجر النظرية القديمة عن الكتاب المعصوم ، واستبدالها بنظرية أخرى يقبلها الذهن العصرى .. وهذا هو مايفتأون المناداة به للكنيسة فى هذه الأيام !! ..

والآن ماموقف المسيحى اليوم من هذا المطلب المصر على عقيدة جديدة فى الوحى !! ؟ .. هذا ما يشغل بالنا فى الدراسة التى نحن بصددها !! .. هل يمكن لنا نحن المؤمنين بالله المثلث الأقانيم ، والرب يسوع المسيح ، مخلصنا من الخطية . هل يمكن أن نتردى فى خطر الاصرار العصرى على عقيدة جديدة فى الوحى ؛ وهل يلزم الموافقة على أنه لم يعد لنا أن نتمسك بتعاليم الكنيسة القديمة . وهل يلزم أن نهجر هذه التعاليم ، ونضع ماهو بديل لها !! ؟ .. وهل استطاعت الاكتشافات العلمية أن تثبت أنه لم يعد بد من طرح الفكر التقليدى القديم عن الوحى .. أن بعض الانجيليين يبدو أنهم يرون ألا مناص من هذا !!.. وغيرهم من هم على استعداد لهجر الاحترام الموروث للعقيدة الكتابية على أن يحل محلها بعض الصيغ المخادعة للاهوت العصرى !! .. ترى هل نستطيع مجاراتهم !! .. وهل نتصرف عن المعركة فى هذا الميدان !! ؟ .

ليس عندنا فيما أعتقد ردا على هذه الأسئلة جميعا سوى جواب واحد ، وهو النفى القاطع على طول الخط ، فنحن لا نؤمن ولو للحظة واحدة عن وجوب طرح ميراثنا الثمين ، كما لا نتصور أن « الحقائق » التى أثمرت بها « الدراسات العلمية العصرية » تلزمنا بأية صورة أن نغير أو نحور أو نهجر العقيدة التاريخية عن الوحى ، التى نجد صورتها النمطية على سبيل المثال فى الفصل الأول من اقرار الايمان الوستمنسترى وأنه لما يشغل البال أن نجد بين الانجيليين من هم على استعداد أن يفرطوا فى هذا التعليم .. كما نجد الجهل الواسع فى أوساطهم بالعقيدة الكتابية الصحيحة ، .. ونعتقد أن رسالتنا هنا أن ننبههم حتى لايلقوا بتراثهم التاريخى ، بل بالحرى أن يتمسكوا بها لسلامة المسيحية فى الوقت الحاضر !! ..

ومن اللازم أن نوضح فى المقام الأول أن نهجنا فى الحديث عن عقيدة الوحى ، نابع أولا وأساسا مما يعلمه الكتاب المقدس عن نفسه ، وهذا أمر بالغ الأهمية ، وكان يمكن أن نتجاوزه ، ولا نقف عنده طويلا ، لولا ما نلاحظ من تعرضه للترك والاهمال . .. فما أكثر الذين يتصورون أنهم أحرار من حقهم أن يؤمنوا بهذا فى الوحى ، أو لا يؤمنوا ، وهم أكثر رغبة فى تقديم تصورهم عن الوحى بما يرضى مطالب الشخص العصرى فى القرن العشرين ، حتى أنهم يتركون فى بعض الأحايين انطباعا ، ان ما يجوز قبوله هو ذاك الذى يقبله فقط الرجل العصرى ، وقد وصل الأمر ببعض الكتاب ، الى أن الوحى فقط هو عندهم ما يأذنون به للكتاب ليخبرهم أى نوع من الكتب هو !!

وليس من واجب المسيحى الحقيقى أن يشترك فى هذا على وجه الاطلاق ، وفى الوقت الراهن يكفى أن نؤكد أن عقيدتنا عن الكتاب منبثقة من الكتاب نفسه ، .. ومن المؤسف أن الناس لا تنتبه الى هذه

الحقيقة ، بل ان بعضهم قد يعطى الأولوية لشهادات كثيرة قبل شهادة الكتاب عن نفسه ، مثلهم فى ذلك مثل غريب يطرق شواطئنا ، ونريد أن نعرف شيئا عن جنسيته وخلفيته وتاريخه ، .. وهناك أكثر من طريق للحصول على هذه المعلومات ، .. فيمكن أن ندعو عددا من الناس ، ونشغلهم على نطاق واسع بالكثير من الحدث والفروض الخاصة به ، كما يمكن أن نكلف شخصيات مختلفة ، لتقوم بدراسة شاملة للرجل ، فى مظهره ، وملابسه ، ثم تقدم تقريرا « غير متحيز » عن نتيجة هذهالدراسة « العلمية » .. ثم هناك الطريقة الأخرى ، وهى أن نسأل الرجل مباشرة ليعطينا الاجابة عما نوجهه اليه من أسئلة !! ..

وبهذه الصورة يمكن أن يكون الأمر مع الكتاب المقدس ، اذ يمكن الحكم عليه بالقياس الذى يراه الرجل العصرى مناسبا ليومه ، كما يمكن الحكم عليه على أساس مايراه بعض العلماء مناسبا للحكم فيه ، كما يمكن اخضاعه لشهادة بعض « الخبراء » مع الوقوف الى جوار هذه الشهادات والتمسك بها .. وهناك الكثيرون الراغبون فى أن يفعلوا هكذا !! .. على أن الحقيقة مع ذلك يمكن الوصول اليها اذا ذهبنا اليه ، وأصغينا الى التعاليم التى يذكرها عن نفسه ، وهو الأمر الأصح والذى يلزم سلوكه على ما سنرى فيما بعد !! ..

وسيتبين على أى حال ، أن ما يذكره الكتاب المقدس عن نفسه ، ليس بالأمر العسير ، ولا يتطلب البراعة اللغوية والسيطرة الواجبة على اللغتين العبرية واليونانية ، كما لا يحتاج الأمر الى جهد شاق مضن بحثا عن ايماءة شاردة هنا أو هناك ، وسنرى أن الكتاب يحمل بين جنبيه طابعه ومصدره الالهى ، وأينما اتجهنا فى قراءاته فسنعثر على شهادته الالهية ، .. وسنجد بين دفتيه عبارات واضحة جدا ، تحدد على نحو قاطع وحاسم أى كتاب هو !! ؟ وما المعنى الصحيح لوحيه !! ؟

وقد خرجت أبحاث هامة وعظيمة فى هذا كله ، ولا نريد كما لا نقدر أن نكون نسخة مكررة لهذه الأبحاث ، غير أننا وان كنا لا نسلك سبيلا منفردا بنا ، الا أننا سنحصر بحثنا حول بعض العبارات الشـــــهيرة الرئيسية فى الكتاب المقدس عن الوحى !! ••

ويحسن أن نقف أول كل شيء عند عبارة بولس الرسول المشهورة فى ٢ تى ٣ : ١٦ : « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح » •• وواضح أن هذه الآية كالكثير من مثيلاتها من الآيات العقائدية العظيمة ، تهدف أولا وأخيرا لغاية عملية ، فبولس وهو يعمل كخادم للنفوس البشرية يكتب الى تيموثاوس الشاب مشجعا اياه على الثبات فى الحقائق التى تعلمها . ويذكره بأنه منـــذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمه للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع •• وهذه الكتب فى الواقع مذكر جيد يبعث الفرح العظيم فى قلب تيموثاوس ، •• كان تيموثاوس يعرف الكتب المقدسة ، أو كما يذكر بنيامين وورفيلد بحق أن تيموثاوس كان أمامه « كتاب مفتوح ، وفى أثر هذه التذكرة جاءت الآية موضوع تأملنا الآن !! ••

هناك خلاف لفظى فى الترجمات الانجليزية ، فبينما جاءت ترجمة « كل الكتاب » فى ترجمةالملك جيمس "all scripture" جاءت فى الترجمة المنقحة "Every Scripture" أى أن الخلاف بين "all" "Every" ومع أن خلاف فى حد ذاته غير ذى بال ، الا أننا فيما يتصل بموضوعنا نعتقد أن كلمة "all" أدق من كلمة "Every" والفرق بين الاثنين أن الكلمة "all" تفيد الشمول « كل الكتاب » شاملا ، ولا تفتح أقل تصور لما قد يتسرب الى الذهن أن الكلمة « كل » "ΛΙϽΑΛΗ" تشير الى الكتاب بالمعنى المنفرد فى جزيئاتــه ، ••• أى أن كل جزء من الـــكتاب موحى به من

الله ، •• ومع أنه لا فارق بين الكتاب بالمعنى الكلى أو الكتاب بالمعنى الجزئى ، فهو جملة وتفصيلا موحى به من الله . الا أن المعنى الشامل يقطع الطريق على أقل تصور قد يراود الذهن العصرى بأن هناك بعض أجزاء يمكن أن يكون موحى بها ، وأخرى غير موحى بها ، •• وبولس فى كل هذا كان حاسما وقاطعا بأن الكتاب بكل محتوياته موحى به من الله . •• وليس هناك من ذرة واحدة تشير الى أن بولس كان يعتقد أن هنالك جزءا ما من كلمة الله جاء بغير وحى !!

والكلمة البالغة الأهميـة هنا « موحى من الله » وفى الانجليزية "Inspired of God" وفى اليونانية "Theopneustos" « ثيوبينستوس » وهى كلمة مركبة من "Theo" بمعنى الله ، "pneustos" أو "breathed" بمعنى «نفخ» وفى اللغة اليونانية الكلمات التى تنتهى بالحروف "Tos" وتكون مركبة وفيها كلمة "Theo" الله . تقع فى العادة مبنى للمجهول مثل الكلمة "Theodidaktos" ثيوديداكتوس « متعلم من الله » وغيرها كثير ، وهى تشبه الكلمة « ثيوبنيستوس » موضوع دراسـتنا الآن . وترد فى المبنى للمجهول ويمكن ترجمتها حرفيا « نفخت من الله » ومن الغريب أن الكثيرين لا يدركون هذا ويصر بعض اللغويين على اعتبارها فى المبنى للمعلوم ومن ثم يترجمونها « نفخة الله » بمعنى أن الكتب المقدسـة « نفخت » أو « صيغت » بروح الله •• وهذا ليس بالمعنى الدقيق الكامل للكلمة ، اذ أنها « نفخت من الله » أو خرجت منه . وهـذا هو المعنى أو الوصف الغريب الذى أطلقه الرسول على كل العهد القديم !! ••

هذا هو التصوير الغريب لما يراه الرسول فى الكتب المقدسة فى العهد القديم ، فماذا يقصد بذلك ، •• انه يريد أن يوضح بأعلى بيان

فيما نعتقد ، أن الكتاب المقدس مصــدره الله وليس الانسان ، وأن الروح القدس هــو الذى نفخ به وأخرجه ، وهو أصــله ، وأنه نتاج « نسمة » القدير ، نسمة الله الخالقة •• أجل انه تعبير قوى حقا ذاك الذى يصف الكتب المقدسة أنها « نفخت من الله » « نفخت بالله » وهو التعبير الذى يحقق لتيموثاوس أنه يضع ثقته لا فى كتابات بشرية ان عبرت تعبر عن مجرد آما لوأشواق أفضل الناس ، بل بالأحرى بكتابات « نفخت من الله » ولهذا لها السلطان الثابت المطلق !! ••

أجل انه تعبير غريب . ولكنه ليس بدون سابقة كتابية فى فكرته ، اذ كان « فم الله » فى الأصل فى العهد القديم هو أساس كل رســالة الهية : « الكلمة التى خرجت من فمى » قال الرب ، وهو يؤكد مواعيده الثابتة فى الخلاص ، •• وعندما جاء المجرب الى السيد وبخه بكلمــة الكتاب : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » •• وبولس لم يورد هنا حقا جديدا حتى ولو كان الكلمة التى استخدمها فى الأصل اليونانى لم يسبق اســتخدامها قبل عصره ، ان بولس يسير هنا على نمط العهد القديم . وما قاله سيدنا ، أى أن الله تكلم وأن هذه الأقوال خرجت من فمه ، على أن بولس يمتد كما نلاحظ هنا الى نقطة أبعد ، اذ لا يقول ان كلمة واحدة أو مجرد كلمات خرجت من فم الرب بل الكتب المقدسة !! •• أجل وهى الحقيقة البالغة الأهمية أن كل ما يعنيه التعبير أن الكتاب المقدس خرج من فم الرب ، ونفخ به من الله !! ••

ان الكتب المقدسة هى لذلك كتابات خرجت أصلا من الله ، اذ هى النتاج الحقيقى لنفخته الخالقة ، وهذا هو المعنى المقصود عندما نتكلم عن الوحى فى الكتاب المقدس ، •• ومن الملاحظ كما يعتقد المؤلف ، أن مفهوم كلمة الوحى عند الكثيرين لم يرتفع الى مستواه الصحيح الواجب،

ففى الانجليزية تعنى ذاك الذى نفخ فيه، وهى تقابل الكلمة اللاتينية المترجمة فى الفولجاتا عن نفس اللفظ « ثيوبنيستوس » ولكن هذا لم يكن كل ما قصده الرسول بولس الذى كان قاطعا ، فى أن تيموثاوس لا ينبغى أن يفهم الكتب المقدسة باعتبار أنها مجموعة كتـــابات بشرية نفخت أو صيغت بشىء الهى ، ان هذا ما لايريده بالتأكيد أن يفهمه عن الكتاب المقدس ، وهو فى عبارته الحاضرة على الأقل يريد أن يؤكد على وجه قاطع أن الكتاب المقدس خرج الى الوجود لأن الله بنفسه نفخ به . وهو ما يختلف تماما عن مفهوم الوحى الشائع عند كثيرين !! ..

وهنا لا يغرب عن البال أن كلمة « وحى » تستعمل كثيرا فى الحياة اليومية كأن تتكلم عن وحى الشاعر ، أو الموسيقى ، فاذا أصغينا الى الجمال الفائق للمقطع الرابع فى السيمفونية الأولى للموسيقى برامز ، نقول : هذا وحى برامز ، ونعنى بذلك أن الموهبة الموسيقية سيطرت عليه وامتلأ بها الى الدرجة نفخ معها فيها بأروع عبقرياته وهو يخرج هذا العمل العظيم الفائق الوصف ، .. وقد ألف الناس أن يقولوا عن القطع الموسيقية ، انها موحى بها . اذ هى النتاج العبقرى لنفحات الملحن الذى أبدعها .. هذا التعبير ليس على مستوى الدقة الواجبة ، اذ أن الموسيقى هبة من الله ينبغى عند الاصغاء اليها رد الشكر لله على ما أودع فى قلوب الناس ، .. ومع ذلك يجوز تجوزا على ما ألف الناس أن يقال انها وحى الموسيقى أو الشاعر أو الرسام ، عندما نرى كم ألهبت ما فينا من أحاسيس ومشاعر ، .. على أن هذا كله لم يكن بالتأكيد فى ذهن الرسول وهو يكتب الى تلميذه تيموثاوس عن أن الكتب المقدسة نفخة الله ، .. وهى على أى حال وحى الله ، سواء أوحت الى القارىء أو لم توح له ، أو حتى ولو بدت فى احساسه ثقيلة جدا عليه ، أو لا

يتفق . أو لا نفهمها ، أو يكرهها . ولكن كل هذا لا يمنع أنها وحى ، وأنها كلمة الله !! ..

– ان الحقيقة المؤكدة أن الكتاب المقدس كتاب وحى ، وليست هناك أية كتابات أخرى يمكن أن ترفع النفس البشرية نظيره الى أعلى مستوى . .. وليس ثمة شك أنه قلب متبلد غبى ذاك الذى لايهتز فى أعماقه للخطاب الوداعى الذى تحدث به الرسول بولس الى قسوس كنيسة أفسس ، كما لا يوجد مايدانى الوصف الرائع والدقيق الذى وصف به لوقا مولد السيد المسيح ، .. وهل هناك سمو يضارع أسلوب أشعياء وهو يصدح بلغته الفائقة الجمال ، ونغمه الطروب للنفس عن ذاك الذى كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات .. حقا ان الكتاب المقدس كتاب وحى ، وهو الذى أعطى أجمل مافى الأرض من روائع الشعر والموسيقى والفن والنحت ، التى خرجت الى الناس منبثقة عن وحيه المقدس ، حقا انه كتاب وحى !!..

ومهما قيل عن الكتاب من أنه مصدر للالهام والوحى ، لكننا نعود مرة أخرى الى أن المعنى الذى قصده بولس فى حديثه الى تيموثاوس يشير الى الحقيقة المنفردة ، أن الكتاب المقدس نتاج النفخة الالهية ، وهو حقيقة منفوخ به من الله ، وهذا هو لباب العقيدة الالهية وقلبها عن الوحى !! ..

ان الكتب المقدسة قد جاءت بنفخة الله ، فهى تستمد فى الواقع أصولها منه ، وتعبير الرسول يقطع ويؤكد هذه الحقيقة التى تعلو على كل جدال ، .. ومن ثم فالكتب المقدسة لم تخرج الى الوجود لأن جماعة من عباقرة الناس ، أبدعتها فى لحظات وحى ، أو أنشأتها لأن الله اختار أفضل ما كتب الانسان وأضاف اليه بعض الالهيات ، أو لأنها خرجت

محتوية على أفكار هى الى حد ما الأفكار التى يوافق عليها الله •• ان شيئا من هذا ليس هو الأصل فى الكتاب المقدس •• ان الكتب المقدسة خرجت الى الوجود بطريق خارق للعادة وبلا مثيل ، انها وحدها دون غيرها من الكتابات جاءت بنفخة من الله ، ولا نجد وضوحا للمصدر الالهى لكلمة الله أكثر من هذه الحقيقة المرتبطة بكلمة الله !! ••

ولعله من اللازم أن نضع ماكتبه بولس الى تيموثاوس فى المقابلة والمقارنة الحادة مع ما يكتب فى هذه الأيام عن أصل الكتاب المقدس ،•• ان النظريات العصرية تجتهد أكثر فأكثر أن تعطى مكانا أوفى فى الوحى، لنشاط الانسان ، ومكانا أقل لعمل الله ، حتى أن دور الله يبدو فى هذه النظريات أضعف وأضأل نسبيا ، الى الدرجة التى يبدو معها أحيانا أنه ليس هناك من حاجة الى الله فى كل ما يتصل بأمور الوحى ، بينما يختلف الرسول بولس مع هذه النظريات الى أبعد الحدود ، الأمر الذى لو صح ، وهو صحيح ، يبين كم تختلف فكرته فى الوحى عن هذه النظريات ، •• حقا انه أمر جوهرى وأساسى أن نوضح ما يكشف الكتاب نفسه عن عقيدة الوحى بأنه على وجه اليقين نفخة من الله نفسه !! ••

ولعله مفيد وبناء أيضا لنفس الغرض ماكتبه الرسول بطرس فى رسالته الثانية الأصحاح الأول والعدد العشرين : « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » • وهى كلمات ان أعطت . فانها تعطى ذات التأكيد والتأييد لما قاله الرسول بولس ، فبطرس هنا وهو ينهض بالتذكرة قارئيه ، يخبرهم بالكلمة النبوية الأثبت ، والتى يلزم أن تتنبه اليها ، وهذه الكلمة أثبت من شهادة الشهود الذين عاينوا بأنفسهم عظمة يسوع

المسيح ، وهو يقصد بالكلمة النبوية هنا ولا شك الكتب المقدسة التى يحض قارئيه على الاتنباه اليها !! ••

ويضع الرسول بطرس أساسا لحضه ووعظه فى القول : « كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص » فماذا عساه يقصد بهذه الكلمات ؛ •• هل يريد من ذلك أن نفهم من كلمة « كل نبوة » الأجزاء الكتابية من الكتاب المقدس ، والتى تظهر فى العادة نبوية !! ؟ أم بالأحرى يقصد الكتاب المقدس كله ككتاب نبوى !! ؟ ليس من السهل لأحد أن يجيب بيقين عن ذلك ، وان كنا أميل لأسباب متعددة للأخذ بالرأى الثانى ، بمعنى أن بطرس كان يقصد اعتبار الكتاب المقدس كله نبويا ، والخلاف على أى حال ليس بذى بال ، لأنه مهما كان المقصود به ، فهو لم يصدر عن انسان ، سواء كان المقصود به الكتاب كله ، أم الأجزاء النبوية فيه ، •• وهو يقول انها ليست من تفسير خاص ، أى أن الكتاب لم يخرج الى الوجود نتيجة جهد بذله أشخاص توافروا على البحث ، ثم دونوا ماوصلوا اليه من أبحاث ، أو فى لغة أخرى أنه ليس ثمرة الجهد أو العقل البشرى ، واذ لايرى الرسول فى ذلك أدنى ريب . يسترسل فى القول : « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان » ولعلنا نلاحظ فى هذا لغة النفى ، وهو أمر هام يلزم أن تتوقف عنده ، لأنك لا تستطيع أن تعرف كيف تأتى النبوة ، اذا لم تعرف كيف لا تأتى ، وبطرس يؤكد أنها لم تأت بمشيئة انسان ، ومن اللغة النافية يمكن أن نصل الى اللغة الايجابية لنعلم كيف جاءت النبوة !! ••

يكتب الرسول بطرس فى لغة غاية فى القوة والوضوح : « بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » •• ويمكن ترجمة العبارة « محمولين بالروح القدس » وهنا نصل فى لمحة الى لب الموضوع ، فبطرس كبولس يؤكد أن الكتاب المقدس مصدره الله ، وأن

أناس الله الذين تكلموا به كانوا محمولين بروح الله ، ولا خلاف بين الاثنين فى هذا الشأن وان كان بطرس يمتد أكثر فى الحديث عن الكتب المقدسة من ذاك الذى أورده بولس فى حديثه الى تلميذه تيموثاوس ، اذ لا يؤكد بطرس مصدر هذه الكتب ، من الله فحسب . بل يمتد أكثر الى القول ان أناس الله تكلموا بها وهم محمولون بالروح القدس ، .. وهو يكشف بذلك كيف نفخ الله أو أوجد هذه الكتب . [اذ انها فى عرف بطرس ليست كتبا سحرية سقطت من السماء ، لكن الله أعطاها لنا من أناس تكلموا بها من عنده !! ..

وفى الواقع انها لفتة مثيرة اذ يوصف الناس الذين تكلموا من عند الله بالقول : انهم محمولون بالروح القدس . .. أى أن الروح حملهم ومن ثم تكلموا ، لقد حملوا بقوة الروح القدس . وليس بقوة خاصة بهم . .. اذا التقط شخص شيئا وحمله ، فانه يفعل ذلك بقوته هو ، ويبقى الملتقط أو المحمول مع ذلك ساكنا تماما . وهكذا كان الكتاب الذين كتبوا الوحى الالهى ، .. لقد حملهم الله بروحه . وكان هو المتحرك وهم الساكنون ، ومن عنده تكلموا ، لقد حملهم الى الهدف الذى كان يريده ويقصده * !! ..

والملاحظة الدقيقة للغة الرسول تبين أن أناس الله لم يتكلموا من عندهم ، بل من عند الله ، وهم محمولون بروح الله ، .. كان الله هو المصدر أو الينبوع لكلامهم ، غير أنهم عندما تكلموا بلغة النـــاس

---

* كان روح الله المتحرك يحمل الكتاب وهم ساكنون ، على انهم فيما يكتبون كانوا متحركين ، وقد يبدو هذا متناقضا الى حد ما ، غير ان الأمر ببساطة يعطى تعبيرا عن سر عمل الله الالهى الذى يجعل الكلمات الالهية ، تنطق بها السنة بشرية ويكتبها كتاب بشريون !! ..

وللبشر . .. لقد حملهم روح الله واذ حملهم تكلموا . ومن ثم فكتاب الله لم ينشأ من الخواء ، بل تكلم الله به ، فيمن حملهم بروحه ، وتكلم بهم ، بواسطة الناس وأسلوبهم !! ..

والرسول بطرس يوضح هذه الحقيقة ، فيذكر بأن هنـاك أناسا تكلموا فعلا من عند الله ، أو فى لغة أخرى كان هنـاك كتاب بشريون للكتب المقدسة ، وأن ماكتبوه لم يكن منهم . بل اذ كانوا محمولين بروح الله كانت كتاباتهم من الله . .. واذا كان الله قد أعطى كلمتـه بواسطة الكتاب البشريين ، فيحق أن نتكلم هنا عن الجانب البشرى من الكتاب ، اذ أن رسالة الله وصلت الينا عن طريق أناس كتبوا وفى الوقت نفسه كانوا تحت تأثير روح الله وسلطانه !! ..

ولعله من الواجب أن نصحح هنا أمرا جديا هاما ، قد يساء فهمه ، اذ قد يتصور البعض أنه مادام الكتاب البشريون للكتب المقدسـة ، كانوا تحت تأثير روح الله وسلطانه ، فانهم لم يكونوا أكثر من أدوات آلية ساكنة تحت سلطان من يتكلم فيهم ، ولم يفعلوا أكثر من ترديد الرسـالة التى أعطيت لهم . أما ملكاتهم البشرية فكانت عاطلة ، الى الدرجة التى لم يزيدوا فيهم عن الآلات المسجلة ، ونسمع لذلك صرخات محتجة تقول : « لسنا نريد نظرية آلية املاءية عن الوحى » ..

ان عبارة الرسول تشير الى أن كتاب الوحى كانوا محمولين بالروح القدس ، وفى الوقت نفسه كتبوا ، والشطر الأخير من العبارة ، يبين أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا مجرد آلات مسجلة ، بل على العكس من ذلك كانوا أناسا ذوى ملكات ووزنات استخدمها الله فى كتابة الكتـاب ، وليس لنا الآن الا أن نعرب عن احتجاجنا ، على من يضعهم فى الصورة الآلية ، مهما كان وصفها ومظهرها ، .. وقد جلب الرسـول بطرس

الانتباه الى الجانب البشرى فى كتاب الله ، وهكذا فعل الكثير حذوا حذوه فى المفهوم الكتابى الصــحيح لعقيدة الوحى فى الايمان المسيحى !! ••

وقد كان للسيد المسيح نفسه مايقوله عن سلطان الكتب المقدسة ، اذ حدث فى وقت اتهمه فيه اليهود بالتجديف وتناولوا حجارة ليرجموه ، اذ جعل نفسه معادلا لله ودافع المسيح عن نفسه بالمكتوب وهو يقول : « ولا يمكن أن ينقض المكتوب » يو ١٠ : ٣٥ ، ولسنا الآن فى مجال مناقشة مضمون ما قاله السيد المسيح فى حد ذاته غير أنه يعنينا هنـا نقاط هامة يلزم الالتفات اليها ، •• لقد لجأ المســيح الى المكتوب فى حديثه مع اليهود : « أليس مكتوبا فى ناموسكم » •• ومن المتصور هنا أن المسيح كان يشير بهذه العبارة الى ناموس موسى ، غير أن الأمر ليس كذلك ، •• اذ أن العبارة التى استخدمها المسيح لم ترد فى الأســفار الخمسة ، بل جاءت فى مزمور ٨٢ : ٦ • والظاهر من حديثه أنه يقصد اعطاء الكتب المقدسة سلطانها الالهى ، السلطان الذى يمكن الالتجاء اليه كلما بدت الحاجة الى سلطان قانونى !! •• وقد وضع بهذا أمام سامعيـه الحجة النهائية فى كل نزاع أمام محاكمهم العليا ، وقد أســكت أفواه مناهضيه بعبارته الدامغة : « و لايمكن أن ينقض المكتوب » ••

ان نقض الناموس فى حد ذاته أمر بالغ الأهمية وخطير ، ولا يمكن أن يفعله أحد دون أن يعتبر مذنبا وعرضة للعقاب ، ومن يكسر الناموس يعتبره كما لو أنه غير قائم أو بتعبير آخر ينسخه ، والكتب المقدســة بهذا المعنى ذات سلطان عظيم ، الى الدرجة التى لا يمكن معهـا أن تنقض ، وما تقوله يبقى ، ولا يمكن أن ينسخ أو يطرح جانبا ، فاذا تكلم الكتاب ، فان ما يقوله أو يتكلم به قرار ثابت ودائم ، ولا يمكن أن ينقض ، فاذا كانت الكتب المقدسة لا تنقض كما يقول السيد ، فان

ما ورد فيها من جزئيات أو تفاصيل تكون بالتبعية على شاكلتها لا يجوز أن تنقض !! ••

ان ما اقتبسه السيد المسيح من المزمور الثاني والثمانين : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلي كلكم » يثير الانتباه ، اذ أن المرنم كان يتحدث فى الأصل عن قضاة اسرائيل واصفا اياهم بالقول : « أنا قلت انكم آلهة » وقد اقتبس المسيح هذا الجزء الأول من الآية ، واصفا اياه ، بالناموس ، الكتاب ، ••• وباعتباره جزءا من الكتاب لايجوز أن ينقض أو ينسخ ومهما يكن وضع العبارة أو مكانها فى المزمور ، فانها مع ذلك وصفت بالقول : « لا يمكن أن ينقض المكتوب » •• كان من الممكن القول : « هذا الكتاب حق » أو « هذا الجزء الخاص من الكتاب لا يمكن أن ينقض » •• لكن المسيح خرج من العبارة الجزئية الى الشمولية فى الكتاب بالقول : « لا يمكن أن ينقض المكتوب » وهذا مثل يشير بوضوح الى أن الكتاب المقدس ، فى جزئياته أو شموله على حد سواء كتاب موحى به ذو سلطان ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب !! ••

هذه القطع الكتابية الثلاث المشار اليها آنفا ، وان كانت قد وضعت تحت الفحص المحدود الوجيز ، الا أنها تفصح بما لا يدع مجالا للبس أو شك عن الأسس الصحيحة لعقيدة الوحي الكتابي ، •• واذا أمكن جمع ما تتعلمه عن الوحي فى كتاب الله ، فانه من الممكن استخلاص الآتي : ان الوحي فى المفهوم الكتابي هو سيطرة روح الله على كتاب الكتب المقدسة ، وكنتيجة لهذه السيطرة تصبح هذه الكتب مؤتمنة ، وذات سلطان الهي ، •• وباعتبارها مؤتمنة ، وذات سلطان ، فهي معصومة من الخطأ !! •••

واذا كان من اللازم أن نشير فى شيء من التفصيل الى بعض ما يتضمنه التعريف السالف المذكور ، الا أنه يهمنا أولا وقبل كل شيء ،

أن نبين أن تصورنا هذا عن الوحى ، مبنى على تعاليم الكتاب المقدس ، سواء اتفقنا مع التعريف أم لم تتفق معه ، وأن التعريف فى حد ذاته مأخوذ فى عقيدتنا من الكتاب نفسه ، وأنه من الأهمية بمكان أن يبدو هذا بكل وضوح وجلاء !! ..

ـ اذا أمسكنا بالمبدأ أن عقيدة الوحى فى الكتاب المقدس يلزم أن تؤخذ من الكتاب المقدس نفسه ، نستطيع أن ندرك فى الوضع الصحيح حينئذ حقيقة الموضوع أمام الكنيسة !! . وحقيقة الموضوع ليس استبدال عقيدة عن الوحى بعقيدة أخرى ، فهذا أمر ثانوى ، ان الحقيقة تتركز أمام الكنيسة وكل مسيحى هو هل يعتبر الكتاب المقدس معلما مقبولا ومؤتمنا على العقيدة ، .. أو فى لغة أخرى . اذا كان هذا الكتاب يكشف عن طبيعته ويشهد عنها ، فهل نلقى بالا الى مايقول !! ؟ .. عندما يفصح الكتاب عن نوعه هل نرفض شهادته ، أو نعتقد أنها غير مستحقة القبول !! ؟ .. هذا هو فى الحقيقة الموضوع المطروح أمامنا اليوم !! ..

ومن اللازم أن ندرك الى حد بعيد الأهمية القصوى لهذا الموضوع ، اذ أن الكنيسة كما نعلم تستمد عقيدتها على الدوام من الكتب المقدسة ، .. وحيثما يثار فى كل تاريخها السؤال عما تؤمن به ، تتحول بأنظارها الى الكتاب المقدس ، .. فهى اذ تواجه بالسؤال من هو الله !! ؟ فانها لا تتجه بأنظارها الى جبابرة العقول بل الى الكتاب المقدس ، ... وعندما تسأل عن الوحدانية أو الثالوث فى الطبيعة الالهية ، تجد جوابها هناك فى الكتاب المقدس ، .. من هو يسوع المسيح !! ؟ .. ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص !! ؟ من هو الروح القدس !! ؟ هل يسوع المسيح هو المخلص والفادى الوحيد !! ؟ هذه

الأسئلة وألف سؤال آخر نظيرها لا يمكن أن تجد الاجابة عليهـا ، الاجابة التى صاغت عقائدها العظيمة دون الانصات الى كلمات الكتاب المقدس ، •• وهل كانت هذه العقائد فى حقيقتها الا محاولات الانسان واجتهاداته ، فى صياغة مايؤمن أنه تعاليم الكتاب المقدس ، ولكم بذلت من جهود رائعة ومجيدة فى سبيل كتابتها ، بل كم أخذت من مشـقة ومعاناة عند كتابتها على نحو دقيق منضبط ، •• ولم يكن من سبب عند واضعى هذه العقائد واخراجها على النحو الرائع الذى خرجت به الا لعقيدتهم أنها نسيج من تعاليم الكتاب المقدس ، ••• ان الكنيسة اليوم ، وهى تنشر رسالتها فى العالم ، انما تفعل ذلك عن يقين بأنها تأخذ هذه الرسالة من الكتاب المقدس !! ••

وكل هذا يمكن أن يتحول الى كارثة ، اذ كنا نرفض ، ونحن بصدد التأمل فى ماهية هذا الكتاب الذى الفت الكنيسة أن تصغى اليه فى كل تاريخها •• اذا كنا نرفض أن نصيخ الأذن الى ما يقول الكتـاب عن نفسه !! •• عندما أرادت الكنيسة أن تصوغ قانون الايمان النيقوى ، لم يكن لها الا أن تنصت لما يقول الكتاب عن نفسه ، غير أنها اليوم تريد أن تهجر هذا السبيل ، اذ لا تسأل عمـا يقوله الكتاب عن نفسه ، بل تريد أن تتعلم العقيدة عن الوحى بأسلوب آخر !! ••

ومع أن الخطى العملية نحو هذه الكارثة كانت تبدو سـلوكا غريبا ، لكنها فى واقع الحال ، لم تكن أمرا مستبعدا ، وذلك اذا ذكرنا الأسلوب النفعى للعصر الذى نعيش فيه ، والنهج المستمر بتمجيد الانسان ، واعلاء قوته ، ومن ثم لم تنج الكنيسة من آثار هذه الخطى المتردية ، •• كما أن الجيل الذى تكمن فى خلفيته عقلانية القرن الثامن عشر ، ونظريات التطور و « النقد الأعلى » فى القرن التاسع عشر ،

« والأرثوذكسية الحديثة » و « اللاهوت المنطقى » فى أوائل القرن العشرين لم يكن من المستبعد أن ينصب نفسه قاضيا على الكتاب المقدس، أفضل من الكتاب المقدس نفسه !! ..

والسؤال الذى يدعو الى الدهشة والاثارة ، اذا لم نكن نعتبر الكتاب المقدس شاهدا مؤتمنا يمكن أن يخبرنا عن نوعه هو ككتاب ، وأصغينا الى العلماء العصريين أكثر منه ، كيف يجوز أن نعتبره شاهدا مؤتمنا عندما يتكلم عن أمور أخرى !! ؟ .. ان هذه الحقيقة لابد أن تبرز وتتضح جدا ، ..

فاذا الكتاب لا يوثق به عندما يحدثنا عن نفسه أى نوع من الكتب هو ، فكيف نعرف أنه يمكن الوثوق به وهو يتحدث عن أى شيء آخر !! ؟. واذا لم يكن جديرا بالثقة التى تعطينا أن نقبله فى الشهادة عن نفسه ، أفليس من الحكمة أيضا أن ننبذ كل ما يخبرنا به عن أمور أخرى !! ؟

اذا كنا نصغى الى الكتاب عندما يحدثنا عن وجود الله الواحد الحى الحقيقى ، فاذا لم يكن هو شاهدا مؤتمنا كما قد يقال ، بل خدعنا فيما يتصل بوحيه ، فمن الجائز جدا بعد هذا كله أن يكون مخطئا ، عندما يتكلم عن الله ، .. ومن الجائز جدا أن يكون الله ـ اذا كان هناك اله ـ مختلفا تماما عن الاله الذى تعلمنا أن نعرفه خلال الصفحات التى بدت فى تصورنا الساذج أنها كتاب مقدس .. وبالاضافة الى هذا .. ماذا عن يسوع المسيح وعمله الكفارى العجيب الذى أتمه على صليب الجلجثة !! .. أهذا العمل الذى عرفناه من الكتاب أيمكن أن يكون عملا معتمدا وموثوقا به !! ؟ وهل أزال عنا حقا حمل الذنب العظيم !! ؟ وهل نعيش حقا فى علاقة سليمة مع الله القدوس !! ؟ أجل

اذا كان هذا الكتاب لا يجوز الاعتماد عليه وهو يحدثنا عن أى نوع من الكتب هو فكيف تجوز الثقة به ، وهو يتحدث الينا عن أمور أخرى ، واذا لم يكن الكتاب جديرا بالشهادة التى يعطيها عن نفسه . فمن يعطى بعد ذلك اليقين ان ايماننا المسيحى مؤسس على الحق ، ألا نكون عندئذ نغرق فى ظلمة الجهل واليأس !! ..

انه من الواجب اذا نبذنا شهادة الكتاب وهو يتكلم عن نفسه ، أن ندرك بكل تحقيق النتائج البعيدة المدى . التى يمكن أن تأتى فى أثر ذلك . ولن يبقى الأمر مجرد القول ان الموضوع المطروح أمام الكنيسة هو تبنى عقيدة عن الوحى توافق تفكير الرجل العصرى فى هذه الأيام ، بل يصبح الأمر اذا شئنا الدقة عدم الثقة فى الكتاب كمعلم مؤتمن على العقيدة ، وعلينا أن تتقبل بشجاعة ، اذا اعتنقنا المبدأ الآثار المترتبة على ذلك . وبالطبع سيكون هذا شيئا قاسيا ومؤلما . غير أن المكسب الوحيد الناجم عنه ، هو مكسب الأمانة ، اذ نواجه الموضوع على حقيقته .. والموضوع الصحيح هو كما ينبغى أن نكرر .. هل مازال نصغى الى الكتاب المقدس كمعلم مؤتمن موثوق فيه !! ؟

يسمع المرء فى بعض الأحايين من يقول انه ليس من الضرورى وضع التركيز على هذه العقيدة العالية عن الوحى !!؟ لأنه أليس ممكنا — فى نظر المعترض — حتى ولو وجدت أخطاء فى الكتاب !! .. أليس ممكنا للناس أن يخلصوا من خطاياهم !! وأليس ممكنا لهم أن ينالوا بركة الله ، وأن ينموا فى نعمة يسوع المسيح !! ؟ لماذا اذا الاصرار على كتاب مقدس معصوم !! ؟ .. ان الجواب على ذلك أننا كنا على استعداد أن نقبل تماما اعلان الله عن نفسه بأية طريق أخرى . .. لكن الله كحقيقة ثابتة ، اختار أن يعلن هذه الارادة عن طريق الكتاب المقدس ، وهذا الكتاب يؤكد عن نفسه أنه كتاب الله ، ومن ثم بات واجبا علينا أن نصغى فى الدرجة الأولى

الى مايريدنا أن نتعلم !! •• اننا نطلب أعلى صورة عن الوحى الالهى ، لسبب يسير بسيط ، هو أن الكتاب المقدس هو الذى يعلمنا ويعطينا هذه الصورة !! ••

أجل انه حقيقى وأكيد أن المسيح يسوع ، حتى ولو لم يكن هناك كتاب موحى به ، كان من الممكن أن يأتى الى الأرض ، ويعيش فيها حياة بلا خطية . ويموت من أجل خاصته على صليب الجلجثة ، •• كل هذا كان من الممكن أن يكون ، حتى ولو لم يكن هناك كتاب موحى به أو كتاب مقدس على الاطلاق •• غير أن الحقيقة الواقعة أن الله أعطانا كتابا معصوما . فليس ثمة مجال للافاضة فى الكلام عما كان يمكن أن يحدث لو لم يكن هناك كتاب مقدس •• وسيبقى الكتاب على أعظم درجة من الأهمية . حتى ولو كره الناس هذه الحقيقة . فى القرن العشرين ، وسيبقى المعلم للجميع ، وسيعلمنا ماينبغى أن نعتقده بخصوص الله ، وعلاقتنا به . كما يعلمنا عن ارادته ، وخلال القرون الطويلة رعى الله المثلث الأقانيم كنيسته ، وثبت بكل حق وعد الفادى المقام : « وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » •• كان يسوع المسيح مع الكنيسة ، وكان الروح القدس مرشدها ومعلمها . •• وجعلها الثالوث الأقدس تعتمد على الدوام على « كلمته » فى الارشاد والتعليم •• وعلى قدر ما تعلمت من « الكلمة » نالت بركتها ، •• أجل وما أكثر الرجال والنساء الذين كانوا مثقلين بأحمالهم وذنوب خطاياهم . ولكنهم تعلموا من ذاك الذى حمل أحزانهم ، وتحمل أوجاعهم . ووجدوا فيه « مخبأ من الريح وستارة من السيل كسواقى ماء فى مكان يابس كظل صخرة عظيمة فى أرض معيية » •• اننا نؤمن بالأهمية القصوى للكتاب المقدس ، ونؤمن فى الوقت عينه بالأهمية القصوى لعقيدة الانسان عن الوحى فيه . ومن الحق أن نعض بالنواجز على الموضوع المطروح على الكنيسة ، ونتمسك به على وجه عادل واضح !! ••

هذا الموضوع يتركز ببساطة حول ما اذا كنا على استعداد لقبول الكتاب المقدس معلما مؤتمنا موثوقا فيه !! •• فاذا وضع الأمر على هذه الصورة ، فسنجد من بين الذين يسيرون معنا الى آخر الشوط من هم على استعداد أن يقولوا : ان السؤال هو هل نحن مستعدون أن نقبل باستمرار الكتاب المقدس المعلم المؤتمن أو الشاهد الصحيح ، أم نحن على استعداد أن نجيب على السؤال بالنفى !! ؟ •• ربما لا يستطيع آخرون أن يصلوا بالسؤال الى هذا التحديد القاطع ، كما أن السؤال مرات كثيرة مايكون مغلفا بالضباب ، ولا يتخذ السمة الواضحة والقاطعة •• ولهذا كله ، فانه واجبنا الواضح فى كل الحالات أن نبين بجلاء الآثار والنتـائج البعيدة المدى اذا نبذ الكتاب المقدس عن أن يكون المعلم والشاهد المؤتمن الموثوق بشهادته !! ••

وهنا نعود فى الواقع الى السؤال القديم الذى مايزال يواجهنا : هل نصغى الى الله أم نصغى الى الانســـان !! ؟ وهل الله هو الذى يخبر كنيسته بما ينبغى أن تؤمن به ، أم هو الانسان الذى تتعلم منه الكنيسة عقيدتها !! ؟ هذا هو بالضبط السؤال الذى يواجهنا ولا مهرب منه •• فاذا كان الكتاب المقدس كلمة الله ، فانه نتيجة لذلك ، نحن نصغى الى الله عندما نصغى اليه •• واذا كان الكتاب المقدس كلمة الله ، فانه يتبع ذلك ، اننا ونحن ننبذ تعاليمه اننا نصغى الى صوت الناس أكثر من صوت الله !! ••

وهنا يمكن أن يثار الاعتراض ، اذ يقول المعترض ان الفرض يقوم على اعتبار أن الكتاب المقدس كلمة الله ، وانه لهذا ما نبنى الحوار على أساسه ، وان من لا يستمع له انما يرفض الاصغاء الى صوت الله ، وبالحرى يصغى الى صوت الناس ، •• ولكن لنفرض مع ذلك أن الكتاب المقدس ليس كلمة الله ، •• ألا تتغير عندئذ الصورة بأكملها !! ؟ لقد افترضنا

أن الكتاب من الله ، وبهذا الفرض نفترض شيئا أسبق ، ألا وهو الاعتقاد بوجود الله ؛ •• ولكن بأى حق نفعل هذا !! ؟ •• أليس من الأجدر أن نبدأ من نقطة محايدة ، ونسير بعد ذلك خطوة خطوة حتى نصل الى النتيجة ان الكتب المقدسة من الله !! ؟

من الحقيقى أننا بدأنا النقاش على افتراض أن الله موجود ، وأن الكتب المقدسة هى كلمته ، لأنه اذا كان الله هو الخالق لكل الأشياء ، فمن البديهى أن كل الأشياء تحمل طابعه وخاتمه ، ونحن لا نجد نقطة محايدة يمكن البدء منها ، لأنه اما أن تؤمن أن الله هو الخالق ، وأنه هو وحده يستطيع أن يعطى المعنى لكل مظاهر الحياة !! ؟ •• أو أننا نرجع فى رجائنا الى المتاهات الكئيبة الآتية من وراء العقل البشرى كالمرجع والسند المنشود •• من جهتنا فاننا نتطلع الى الله خالق السموات والأرض ، والأساس والمنبع لكل حكمه • وتؤمن أنه تكلم للناس بكل يقين . وأن الكتاب المقدس . بمعنى منفرد لانجده فى أية كتابات أخرى ، هو كلمة الله !! ؟ ••

هل يمكن أن نبرر هذا الايمان بالكتاب !! ؟ •• هل تتبع خرافات مصنعة أم أن الله تكلم بالحقيقة على وجه منفرد فى الكتاب المقدس !! ؟ ان المسيح على استعداد أن يعطى الجواب الجاهز عنده على هذا السؤال !! ؟ اذ هو يؤمن بالكتاب المقدس ككلمة الله ، لأنه يرى ختم الله . وطابعه عليه ، •• وهذا بالطبع يؤكد المصدر الالهى للكتاب ، بل يؤكد الى جانب ذلك ، أن من يرفضه ، هيهات أن يقف مبررا أمام الله !!؟

ان الطابع الالهى للكتاب المقدس يمكن ادراكه من أوجه كثيرة متعددة ، ويكفى أن نقارن على سبيل المثال ، بين تعاليمه . وأية تعاليم أخرى ، فما أوسع الفرق بين الآداب المنحدرة الينا من الشرق الأدنى القديم ،

بين الكتاب المقدس ، ان الفارق بين الاثنين كالفرق بين الزهرة الفيحاء الجميلة ، والبرية الجرداء العارية !! ؟ وهل هنـــاك من قرب بين الآلهة المتعددة كما ترويها الوثائق البابلية القديمة ، وبين ما تتعلم من صفحات الكتاب المقدس عن الاله الواحد الصالح والحق والقدوس ، •• وهـل هناك من شبه بين الأساطير القديمة عن قصة الخلق والصـــورة الرائعة العظيمة عن الخليقة كما جاءت فى الكتاب المقدس ، وهل يمكن أن يدانى فيما نقرأ عن صراعات الناس ونضالهم للتكفير عن الخطايا بهذه الصورة أو تلك من خلال الظلمات السادرة على الديانات القديمة . وما جاء فى الكتاب المقدس ، عن عجز الانسان عن خلاص نفسه . وعن حمل الله الذى أعده الله ليرفع خطية العالم !! •• أجل ما أبهر وأروع هذه العقيدة، عقيدة الخلاص بالنعمة ، وأنت لا يمكن أن تقرأ عن محبة يسوع المسيح المخلصة دون أن تتبين المصدر الالهى ، فى الرسالة المباركة ، اذ ليس فى ظلمات العالم ما يمكن أن يعطى المثيل أو الضريب ، •• فاذا تحولنا الى الفلسفة الآتية من الناس العصريين ، كنت كمن يتحول من ضوء الشمس اللامعة ، الى المغابن الواهنة فى كهف عميق •• ما أتعس أفكار الرجـل العصرى، وما أخجل مواقفه تجاه الخطية والقضاء عليها ، •• وعلى العكس من ذلك ما أبهج أن تقرأ فى الكتاب عن ذلك العمل العجيب الذى تم خارج مدينة أورشليم على هضبة الجلجثة !! ••

ما أكثر الشهادات المقنعة والواضـحة والتى تتحـدث عن الطابع الالهى لكتاب الله ، ومع ذلك فما أكثر الذين رغم وضوحها ليسوا على استعداد لقبولها ، •• وأسباب ذلك ليست صعبة أو عسيرة الفهم ، •• هل هناك عيوب فى بعض الشهادات أو أنها ليست واضحة بالكفاية التى يمكن معها اقناع الناس !! ؟ •• ليس الأمر كذلك فان هذه الشهادات من الوضوح بالدرجة التى لا يمكن معها أن نجد عذرا لمن يرفضها !!•• ان الحقيقة أن عجز الناس عن ادراك هذه الشهادات أو تقبلها يرجع فى الدرجة

الأولى الى الظلمة التى ضربتها الخطية على أفهامهم ، .. وهل يجدى الحديث عندما تصف نور الشمس لرجل أعمى ، انه يمكن أن يأخذ كلمتك على أن الشمس تعطى حقا النور ، ولكنه هو لم يره بنفسه ، انه فى حاجة الى شيء آخر هام : أن تفتح عيناه هو لكى يرى النور ، .. وهكذا الحال مع الجنس البشرى ، .. انه ليس فى حاجة الى نور سماوى ، لأن النور السماوى يسطع أمامه ، .. اذ هو سراج لرجله ، ونور لسبيله ، انه فى حاجة بالأحرى الى ما هو أساسى وجوهرى ، الى فتح عيون ذهنه ، وسيبقى الانسان طالما هو أعمى روحيا عاجزا عن ادراك الحق ، حتى ولو تلألأ أمامه هذا الحق بنوره اللامع فى قلب الظهيرة !! ..

ان المسيحى يؤمن بأن عينيه قد فتحتا ، ويؤمن أن الله هو الذى فتح عينيه ، وليس الناس . وهو مقتنع فى لغة أخرى ، بأن الكتاب المقدس كلمة الله لأن الله أعلن له ذلك ، وهنا نأتى الى العقيدة المباركة ، عقيدة الشهادة الداخلية لروح الله فينا ، والمسيحى مقتنع ومتأكد بالحق المعصوم فى كلمة الله ، وبالسلطان الالهى للكتاب المقدس ، بناء على العمل الداخلى لروح الله فى قلبه ، .. وهذا العمل هو الذى يفتح العينين لتدركا النبيعة الحقيقية لكلمة الله ، كما يعطى الكلمة القوة والحجة حتى يقتنع الناس بالحقيقة أن الكتاب المقدس هو كلمة الله .. والمسيحى سعيد اذ يعلن أن الله يشهد لكلمته ، وأكثر من ذلك يشكره ، لأجل شهادته التى يقدمها لنا عن هذه الكلمة !! ..

فاذا كان السؤال على وجه التحديد . .. ماهو هذا العمل الذى يعمله روح الله !! ؟ .. وأول كل شيء ليس المقصود من هذا العمل هو اتصال روح الله بالمؤمنين ليعطيهم معلومات ليست واردة فى الكتاب المقدس ، .. كما أنه ليس اعطاء أو منحا لمعرفة جديدة ، أو اعلانا جديدا من الله .. انه بالأحرى تلك البصيرة الروحية الخارقة ، التى تتولد فى

حياتنا بالميلاد الثانى ، والتى تنفتح عيون أذهاننا بمقتضاها ، فنستطيع نحن الذين كنا قبلا فى الظلمة وقيود الخطية أن نرى ما لم نكن نراه يوم كنا عميانا من الوجهة الروحية ، .. انها الولادة الجديدة فى حياة المؤمنين ، والتى هى من عمل روح الله وحدها ، والعين المفتوحة واحدة من أعمالها العظيمة والمجيدة المباركة ، وبها يستطيع العقل أن يفهم ويرى بوضوح مالم يكن يستطيع رؤياه لفقدان بصيرته !! .. والخاطىء اذ يكشف الله عن عينيه ، يدرك بهذا الكشف ، أن كتاب الله يختلف تماما عن غيره من الكتب ، وأنه من صنع الله على وجه منفرد ، لا يستطيع أن يجد له نظيرا فى أية كتابات أخرى ، .. كما يستطيع أن يكتشف مصدره الالهى ، وأنه صوت الأب السماوى المرسل اليه بكل وضوح !! ..

وفى الواقع أن الله وحده هو الذى يستطيع أن يعلمنا حقيقة الكتب المقدسة ، ولعل هذا من طبيعة الأمر نفسه ، أو ينبغى أن يكون كذلك ، لأنه اذا كان الانسان يستطيع من تلقاء ذاته ، أن يتوصل الى كنه الكلمة الالهية ، فانه يكون قد وصل الى القوى التى ينفرد بها الله وحده ، واذا كان يملك حقا هذه القوى ، فان الله ، على أية صورة يكون ، ليس هو ذات الاله ، الذى نتعرف عليه فى الكتاب المقدس ، ونقف وجها لوجه أمام عقيدة أخرى ، ألا وهى عقيدة وجود الله ذاته ، وعلينا أن ندرك أنه اذا أخطأنا ولم نتكلم حسنا عن الله ، فانه يخشى أن نخرج عن جادة الصواب فى كل شىء آخر ، بل يخشى أننا لا نستطيع أن نفهم كلمته ذاتها ، ومن واجبنا كمسيحيين ألا نخجل من الاعتراف ، بأن حجتنا الكبرى فى اليقين بأن الكتاب المقدس قد صدر عن الله ، انما تأتى من الله نفسه ، الذى أعطانا فى جوده ونعمته أن نثق بأنه كشف عن ذاته لنا فى كلمته ، وأعطانا هذه الكلمة فى كتابه ، ولا يجوز لنا البتة كمؤمنين أن نقلل من قيمة الشهادة الداخلية لروح الله فينا ، نحن الذين عرفناه ، عندما أخرجنا من الظلمة والضلال الى الحق والنور العجيب !! ..

ان الكنيسة تقف اليوم على مفترق الطرق ، وهى تواجه هـــذا السؤال الحيوى !! •• لمن تصغى !! ؟ أتصغى لله أم تصغى للانسان ! ؟ وهل تتقبل ماينطق به الروح عن الوحى ، أم تعطيه القفا ، وهى تتعلق بالانسان !! ؟ وهنا لابد من الاختيار ، وان كان يؤسفنا فى الوقت عينه ، أن أعدادا كثيرة من الناس ، لاتكاد تحس بأهمية وحتمية هذا الاختيار ، بل لاتكاد ترى المفترق الذى تقف عليه ، وقد غشى بصرها ذلك الضباب الآتى من اللاهوت العصرى الحديث ، والذى لايكاد يبين أمامها معالم الطريق !! •• ان على هؤلاء أن يعلموا أن لابد من اختيار أى الطريقين يســـلكون ، وما لم يحدث شيء ، فانهم للأسف يوغلون فى الطريق الخاطىء ، وسيتبينون آخر الأمر بأنهم بلغوا ، وادى الأمل الضـــائع والموت الأبدى !! ••

ليت الله يعطى شعبه يقظة من الغفلة السادرة عليهم ، بل ليته يعطيهم أن يحذروا الخطر الماحق من اهمال كلمته ، ولينهض من بيننا فى هـــذه الأيام من يدعو الكنيسة الى العودة الى سيدها ، والتوبة العميقة عن هذه السطحية الدينية التى تلف بحياة الكثيرين من أبنائها ، والرجوع الحقيقى الى الله الواحد الأبدى ، فيتحقق ما ذكره اشعياء عنها : « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » اش ٢ : ٣ •• ويجد الكثيرون من الرجال والنساء ممن ترددوا تحت أثقـــال متاعبهم وخطاياهم راحة نفوسهم بل وسد أعوازهم بنعمة ذاك الذى لايمكن أن تنقض كلمته !! ••

لا نستطيع أن نقول عن كتابات الروح القدس ان شيئا منها يمكن أن يكون نافلا أو لا قيمة له حتى ولو بدت غامضة للبعض

اوريجانوس

ليس هناك من تعارض بين الناموس والانجيل ، بل الاتساق ، لأن كليهما صادر عن مؤلف واحد

أسقف الاسكندرية

كل الكتاب كما هو معطى لنا من الله سيبقى متسقا

ايرانيوس

حتى لا يلزم أن نتصور أن اللغة صادرة من الرجال الموحى اليهم بل من الكلمة الالهية المحركة لهم ..

يوستنيان الشهيد

# الفصل الثاني

# إمتداد الوحى

لا يستطيع الانسان أن يدرك الزائف من النقود . الا اذا كان خبيرا بالصحيح منها . عندئذ يسهل عليه أن يتبين الزائف الذى قد يأتى فى طريقه !! .. ومن الجانب الآخر اذا لم يكن ملمـــا الا بما هو زائف . فسيجد صعوبة بالغة فى ادارك الصحيح منها . ولعل هذا هو الذى يدفعنا لأن نصرف مليا من الوقت فى دراسة ما نعتقد أنه العقيدة الصحيحة عن الوحى ، واذا كانت لنا صورة صحيحة لما يعلمه الكتاب عنهـــا ، فاننا سنكون ولا شك فى وضع أفضل . ونحن نتعامل مع الافكار والآراء ، التى وان بدت منتشرة . لكنها مع ذلك لا يمكن أن توضع فى غير وضعها الزائف !! ..

ولعله من الواضح ونحن نطرق الموضوع أن من بين الأسباب التى مالت بالكثيرين الى البحث عن نظريات جديدة فى الوحى . هو قصورهم، وضحالة المعرفة الكتابية عندهم ، واذا راجعنـــا المنبر الأمريكى طوال النصف الأول من القرن الحالى نجد أنه هجر الى حـــد بعيد المواعظ العقائدية . وما يلاحقها من اقرارات الايمان المســـيحى . ومن ثم باتت العضوية البروتستانتية جاهلة الى حد مخز ، لا بالعقيدة المسيحية فحسب، بل ربما بمحتويات الكتاب المقدس نفسه ، .. ومن ثم أضحت فريســـة سهلة للتخبط واللاهوتيات العصرية ، اذ لم تعد مفاهيم الحق القـــديمة

ميسورة لها . ولم تعد هناك غير قلة يسيرة قادرة على التفريق بين ماهو كتابي ، وغير كتابي !! ..

ولو أن العقائد الكتابية الصحيحة كانت أكثر وضوحا أمام الذهن ، لما أمكن لهذه اللاهوتيات المستحدثة أن تشق طريقها بغير صعوبة الى أفكار الكثيرين فى الكنيسة العصرية ، .. ومن ثم فلا مناص لنا الآن الا أن نمتحن بدقة أوفى ما يقول الكتاب نفسه عن الوحى ، .. فاذا كان ماذكرناه فى الفصل السابق صحيحا ، فان الموضوع الكبير أمام الكنيسة هو .. لمن تصغى !! ؟ ألصوت الله أم لصوت الانسان !! ؟ بل يتحول الأمر الى صورة أخرى ألا وهو : هل هى على استعداد أن ترى فى الكتاب المقدس المعلم المؤتمن الموثوق به !! ؟ .. لقد ظلت الكنيسة عبر القرون طوال تاريخها الماضى ترجع اليه تستلهم منه العقيدة كلما استعصى عليها أمر .. على أنها اليوم تريد أن تنبذ شهادة الكتاب عن نفسه لتختار البدائل والعوائض كلما اضطرب أمامها المسلك . .. ان الكتاب هو كلمة الله ، فهى اذ تنبذه ، انما تنبذ صوت الله نفسه ، .. ونحن نواجه فى العصر الحاضر نفس السؤال القديم ، ونعنى به الدين الخارق للطبيعة . أو الدين الذى يصنعه الانسان بنفسه لنفسه !! ..

ان العودة الى الكتاب تبين أنه يصف نفسه بأنه نفخة الله ، وأن رجال الله القديسين وهم محمولون بالروح القدس تكلموا من عند الله ، والسيد المسيح يقول ان المكتوب لا يمكن أن ينقض ، ويلزم لذلك قبل أن تتنبه الى الآراء البديلة المستحدثة أن نمتحن بدقة أكثر التعليم الكتابى ، ومحتوياته ، أن القطع الكتابية التى أوردناها ، تعلم أن الكتاب المقدس كلمة الله ، الكلمة التى خرجت من فمه فعلا ، ويمكن فهم التعبير « كلمة الله » اذا تبينا بوضوح معنى لفظ « كلمة » .. ان الكلمة فى الواقع اذا جاز التعبير ، هى « العربة » التى تنقل الفكر من عقل الى عقل ، ..

وعندما تتكلم عن كلمة الله نقصد بها التعبير الذى يريد به الله أن ينقل أفكار قلبه الينا •• ان الله تكلم الينا لندرك ماذا يريد أن نفعل عن طريق الكلام الذى يعبر عن ارادته !! ••

والكلمة ، من حيث أنها خارجة من فمه أينما وردت صادقة ومؤتمنة، وهى كما يقول المرنم : « كلام الرب كلام نقى كفضة مصفاة فى بوطة فى الأرض ممحوصة سبع مرات » مز ١٢ : ٦ •• وهى اذ تخرج من فم الرب الذى لا يمكن أن يكذب لابد أن تكون نقية وصادقة ، وأية كلمة تخرج من فم الآب السماوى : لابد بطبيعة الحال أن تكون خالية من كل خطأ ،•• والا فالله نفسه لا يمكن أن يكون موثوقا به ومؤتمنا !! ••

فاذا كانت الكتب المقدسة هى كلمة الله ، ونفخة فمه ، فانها تبـاعا لذلك ، صادقة تماما ومعصومة . والرسالة الى تيموثاوس التى أشرنا اليها تؤكد ذلك ، ومع ذلك فهل هذه القطعة من الرسالة منفردة ووحيدة ، وأليس هناك من شواهد أخرى يمكن أن تضم اليها !!؟ ان الآية الواردة فى تيموثاوس لحسن الحظ لا تقف كعلامة منعزلة على الطريق تكشف عن العنصر الالهى فى الكتاب المقدس : اذ أن الشواهد الأخرى عديدة وحاسمة !! ••

عندما تكلم الله فى القديم الى الآباء بالأنبيـــاء ، فى الأوقات العاصفة ، والظروف المختلفة ، كان يكلمهم بالكلمة التى خرجت من فمه، الكلمة الموحى بها . •• وكان الذين أقامهم ليعلنوا للأمة حقه ، يتكلمون بوحيه •• قال الرب : « اجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » تث ١٨ : ١٨ ••• كان الله أولا يعلن كلمته للأنبياء ، ومن أهم الأمور أن نعلم ماذا يقصد بكلمة « اعلان » ، ومن أهم الأمور وأكثرها ضرورة أن ندرك ماذا نعنى بالقول : ان الله كان يعلن كلمته للأنبياء ،•• ان الكلمة

« اعلان » فى المعنى الكتابى تعنى ايصال معلومات ، وكان الله عندما يعلن كلمته للأنبياء ، كان يخبرهم بأشياء لم يكونوا يعرفونها من قبل ، وكان غرض الله من الاعلان مشاركة المعرفة ، وليس ثمة بالضرورة أن تكون هذه المشاركة بالكلام ، اذ أن الخليقة كلها بما فيها الانسان اعلان عن مجد الله وقوته ، وفى اللغة القوية ، ومن غير كلام ، يتحدث هذا الكون المخلوق عن قدرة الله وعظمته الخالقة . .. على أن الله مع ذلك كله ، قد تكلم فى كلمات ، فى الكتاب المقدس . ليعطى أبلغ التأكيد على حقيقة : ان الله تكلم !!

ولكن أية كلمة هذه التى تكلم بها الله الى عبيده الأنبياء !!؟ وهل كانوا مصانين ومحفوظين من الخطأ عندما أذاعوا رسالتهم ، حتى أن الكلمة التى تكلموا بها ، كانت من عند الله حقا ، وكانت اعلان الله لهم ،.. أو فى لغة أخرى هل كانوا هم المعلمين الموحى اليهم من الله ، ان الأمر كان كذلك حسبما يقول الكتاب . اذ وضع الله كلمته فى أفواههم ، وكان ماأعلنوه على وجه قاطع ، هو مايريدهم الله أن يذيعوه ويعلنوه . وليس الوحى فى حد ذاته الا الضبط لما يعلمون ، وصيانتهم من كل خطأ فى هذا التعليم . ولعله من اللازم هنا أن نفرق بين الاعلان والوحى . وان كان الواحد منها يلاصق الآخر . الا أن الوحى فى المعنى الواسع هو صورة أو شكل من صور الاعلان وأشكاله ، .. فاذا كان الاعلان فى الأصل ايصال المعلومات أو المعرفة ، فان الوحى ينصرف أساسا الى ضمان العصمة للتعليم الالهى ، .. فاذا كان الأنبياء هم المتلقين للاعلان ، فان الله قد فعل هذا وتكلم اليهم فى جوده واحسانه ، وأعلن لهم ما كان يعجزون تماما عن الوصول اليه بقوتهم أو حكمتهم الذاتية ، .. وفى الوقت عينه كانت الكلمة التى أعطاهم اياها ، والتى وضعها فى أفواههم ، كانت بصـــدورها منه نقية ، وصادقة ، ومؤتمنة ، وقد قصد أن ينطقوا بها بذات الدقة الكاملة التى تكلموا بها ، ومن ثم صانهم فى تعليمهم العام ، وعصمهم من كل خطأ ،

ولم تكن الكلمة التى تكلموا بها من أفكار قلوبهم ، بل كانت كلمة الله التى أعطاهم اياها ، أو فى لغة أخرى ، كانوا أداة الوحى فيما أعلن لهم !!..

ولعله من المفيد أن نقف مليا الآن من خر ٧ : ١ ، ٢ : « فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك الها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك . أنت تتكلم بكل ما آمرك وهرون أخــوك يكلم فرعون ليطلق بنى اسرائيل من ارضه » .. والكلمات تعنى أن موسى يصبح فى علاقته بفرعون الها . وأن هرون أخاه هو النبى . وهى كلمات جاءت أصلا من الله . فهى اعلان الهى ، وهى لذلك اعلان معصوم . ومؤتمن . وفيها يصبح هرون نبى موسى الذى يتلقى الرسالة ليذيعهـا . وهى تطابق ما جاء قبل ذلك فى خر ٤ : ١٥ « فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان » .. مما يوضح ويبين بجلاء وحى النبى .. كما تتفق فى مدلولها مع ار ١ : ٩ « ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك » .. ولا شبهة فى ادراك ارميا النبى أنه موحى اليه من الله . الذى وضع فى فمه الكلمات التى طالبه بأن يتكلم بهـا : « فيكلمهم بكل ما أمرك به عد ١٧ » .. وكان المطلوب منه ، أن ينشرها ، بكلامه هو كانسان الى الآخرين . وهى ليست بذرة تطرح فى تربة ذهنه لتخصب ثمرا . بل هى كلام حقيقى مصدره الله . وكان عليه أن يعلن هذه الكلمات الالهية بذاتها . وليس شيئا آخر !! ..

ولعل هذا هو السبب فيما درج عليه الأنبياء عندما ألفوا كثيرا أن يقولوا : « هكذا قال الرب » وهم يقصدون أن الكلمات التى ينطقون بها هى ذات الكلمات التى وضعها الله فى أفواههم . وعلى السامع أن يدرك بأن هذه الكلمات ، ليست أقوال النبى ، أو اخصاب البذرة المزروعة فى ذهنه . بل هى ذات كلمات الله المعلنة له . وخير مثال لذلك ما كشفت عنه الحفريات فى الشرق الأدنى ، اذ وجدت خطابات متعددة تحمل هـــذه

العبارة المتكررة : « هكذا يقول س » وهى تعنى بذلك أنها منســوبة مباشرة الى هذا الشخص المشار اليه ، وعندما أعطى الأنبياء رسالتهم كانوا يقصدون على وجه التحديد ، أن يبينو أن هذه الرسالة ليست من بنات أفكارهم ، بل هى كلمات السيد نفسه ، التى ألقاها اليهم ، فاذا كان النبى وهو يتكلم برسالته حقا ، يعلن ذات الكلام الذى كلمه به الرب ، بات واضحا أنه موحى اليه من الله ، وأنه أداة الله الموحى بها للاعلان !! ••

ومن الغريب أن نرى الأنبياء فى العهد القديم يتحولون فى أكثر من حالة الى لغة المتكلم فجأة ، كأنما الله هو المتكلم بنفسه . فاشعياء مثلا فى ذلك المثل الرقيق الرائع عن الكرمة . وهو يتحدث عن حبيبه المفجوع فى كرمه الذى أعده وبذل جهده فيه ، ولكنه أصيب بخيبة أمل عندما أثمر الكرم ، وصنع عنبا رديئا ، وهنا يتحول اشعياء فجأة من أسلوب الغائب الى المتكلم فيقول : « والآن ياسكان أورشـــليم احكموا بينى وبين كرمى » •• اش ٥ : ٣ ، فاذا المتكلم هو الرب نفسه الذى يعلن حكمه لرجال يهوذا عندما يدمر هذا الكرم تدميرا !! •• كيف يجسر اشعياء على الكلام بهذا الأسلوب ، ومن أعطاه هذا الامتياز الذى ينفرد به الله وحده، فيتكلم كأنما لو أنه شخص الله ذاته ،•• بالحقيقة أنه لم يأخذ امتيازا ، بل كان يورد نفس الكلمات التى وضعها الله فى فمه ، ولا يقف اشعياء فريدا بين الأنبياء من هذا القبيل ، فما أكثر ما فعل غيره الشىء نفسه ، اذ سيطرت الكلمة عليهم ،فتكلموا بلغة المتكلم ، دون أدنى خداع ولم يدعوا أن الكلام كلامهم ، كما أن السامعين لم يخدعوا فى فهم الحقيقة نفسها !! •• وأنه صورة بعد هذا أكثر وضوحا عن التعاليم الموحى بها !! ؟ وهل يجوز للحظة أن نفكر أن الكلمات التى نطق بها الأنبياء كانت خاطئة أو حفها الزلل أو الضلال !! ؟ وهل شوه الأنبياء رسائلهم أو أبهموا ما أعطاهم الله من كلمات •• أو فى لغة أخرى هل جاءت كلماتهم غير موثوق بها ، أن الحقيقة الصارخة والتى تقف محتجة على هذ االتصور تؤكد أن هؤلاء

الرجال الشجعان عندما ألقوا رسالتهم فى لغة المتكلم كانوا يتكلمون عن الله ، وكانت كلماتهم هى بالتمام ذات الرسالة التى أخذوها من الله !! ..

فاذا تحولنا الى العهد الجديد نجد الشيء نفسه ، فان الرجال الذين تلقوا اعلان الله ، أخذوا تعليمهم من الروح القدس ، وصانهم الروح من الخطأ ، وهم يعلمون الآخرين كوعد السيد للكنيسة عن عطية الروح القدس : « فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم » يو ١٤ : ٢٦ فالرسل لم يتركوا وحدهم ولم يحتاجوا الى الاعتماد على قلوبهم أو أذهانهم الخاطئة لتخبرهم عما ينبغى أن يقال ، بل بالأحرى كانوا عند وعد معلمهم المعصوم الذى هو الله الروح القدس ، وقد أدركوا هم بأنفسهم هذه الحقيقة فى كلامهم . ومن ثم لا نعجب أن يقول الرسول بولس للتسالونيكيين : « ... نشكر الله بلا انقطاع لأنكم اذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أناس بل هى بالحقيقة ككلمة الله التى تعمل أيضا فيكم أنتم المؤمنين » ١ تس ٢ : ١٣ وهى آية رائعة حقا ، ومن الجنون أن يصور بولس رسالته هكذا الى التسالونيكيين لو لم يكن الأمر كذلك . فاذا كان بولس يذكر الحقيقة ، فانه على يقين من أن الروح القدس معه ، وأن الكلمات التى يتحدث عنها بكل اخلاص وحمية ، لم تكن كلماته هو ، بل هى ذات كلمة الله !! .. أما اذا كان لا يذكر الحق فيما قال . فانه عندئذ يكون أكبر محتال من نوعه ، غير أن رنة الصدق العميق فى كلماته ، تؤكد أنه لم يكن البتة مخادعا ، بل كان على يقين أنه يقدم الحق الذى تسلمه من الله ، وأن كلمة الله هذه تفعل فعلها العميق فيمن سمعوها وقبلوها .. وهل من شك بعد ذلك أن بولس يبدو معلما موحى اليه !! ؟ وأنه يورد الحق بكامل الدقة والانضباط كما تسلمه من الله ذاته !! ؟

فاذا كنا على حق فيما قلنا فانه ينبنى على ذلك أن الله أعطى اعلانه

لأناس كانوا محمولين بالروح القدس . وكانت رسـائلهم التى أعلنوها معصومة وخالية تماما من كل شائبة خطأ ، وأنها هى ذات كلمات الله ، كما أرادها أن تعلن . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الرسالة المكتوبة ، لأنه اذا كان الله قد أوحى الى من جعلهم أداة اعلان كلمته المسـموعة ، فانه ولا شك سيفعل الأمر نفسه مع الكلمة المكتوبة . •• ولكن السؤال مع ذلك باق . وكيف نثق أن هؤلاء الذين تكلموا بالكلمة المسـموعة ، كانوا فعلا موحى اليهم بها من الله !! ؟ •• ان الجواب كله يرتكز بكل يقين على مدى ما لنا من ايمان من أن الكتب المقدسة كما أسلفنا القول كتب مؤتمنة وصادقة . وسينتهى الجدل كله من الأسـاس اذا لم يكن الكتاب المقدس يمثل الصورة الصحيحة الصادقة لوحى الله الى الأنبياء والرسل !! •• ومن ثم نعود الى السؤال العتيد وهل تشـهد الكتب المقدسة عن وحيها !! أو تعلن حقا أنها هى بالحقيقة كلمة الله !! ؟

ان القارىء يعلم ولا شك . وهو يتابع نهجنـا فى الاجابة على السؤال فى الفصل السابق . من خلال القطع الكتابية التى درسناها . أننا نؤمن بأن الكتب المقدسة ، تؤكد أنها كلمة الله . وهى لكونها منه . وترجع اليه فى أصلها . معصـومة . وخالية من الخطأ من كل وجه . واذا كان مؤلفها هو الحق الذى لا يكذب . فان الكتب المقدسـة . كلمته ، هى بدورها أيضا الحق الذى لا يكذب . والشهادات الكتابية على ذلك واضحة ومقنعة . واذ يتعذر أن نوردها جميعا فى هذا المكان . فلا أقل من متابعة أهم الأفكار الرئيسية التى يقدمها الكتاب جوابا على هذا السؤال !! ••

كان العهد الجديد عندما يذكر الكتب المقدسة ، يقصد فى الغالب العهد القديم . ولعله من المفيد ملاحظة النعوت والأوصاف التى أطلقها عليه . فهى «الكتب المقدسة كما يذكرها بولس فى رو ١ : ٢ ، وهى مقدسة لأن مؤلفها قدوس . والكلمة مقدسة تعنى عند بولس ما تتغافل عنه كثيرا

في تعبيرنا اليومي ، فهي عنده مقدسة ، لأنها تعكس طبيعة الله القدوسة ، ولم يتردد بولس في أن يصفها في رو ٣ : ٢ « أقوال الله » أو وحي الله المنزل أو الأشياء التي تكلم الله بها ، وهي ذات كلمات الله وفي الرسالة الى تيموثاوس يعطيها بوضوح مطلق الصبغة الدينية في القول : « تعرف الكتب المقدسة » ٢ تي ٣ : ١٥ ..

على أن الأمر ليس قاصرا على مجرد النعوت والأوصاف التي توصف بها الكتب المقدسة ، بل أن كلماتها تعتبر ذات كلمات الله . ولعل القليل من الأمثلة لذلك يمكن أن يكون كافيا ، ففي رو ٩ : ١٧ : « لأنه يقول الكتاب لفرعون انى لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادى باسمي في كل الأرض » وقد جاءت هذه الكلمات في سفر الخروج منسوبة الى الله نفسه ، اذ قالها الله لفرعون على لسان موسى ، وعند بولس أن الكتاب يورد ذات أقوال الله ، .. فكلمات العهد القديم حقيقة منسوبة الى الله !! .. وفي غل ٣ : ٨ : « والكتاب اذ سبق فرأى أن الله بالايمان يبرر الأمم سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم » .. وهي ذات كلمات الله التي جاءت في تك ٢٢ : ١٨ مما يؤكد أن ما جاء بالكتاب عن بر الأمم عند بولس هو بذاته كلام الله بدون تبديل أو تغيير !! ..

فاذا أضفنا الى ذلك تلك الصلاة الرقيقة الرائعة التي صلاها الرسل ، وجاءت في الأصحاح الرابع من سفر الأعمال : « القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل » أع ٤ : ٢٥ .. وهي ذات الكلمات الواردة في المزمور الثاني ، وهي كلمات الله على لسان داود ، وشبيه بها ما جاء في أع ٢٨ : ٢٥ : « حسنا كلم الروح آباءنا باشعياء النبي » .. مما أخذه بولس من اشعياء في الأصحاح السادس ، .. وكان اشعياء المؤلف البشري للسفر ، ولكن روح الله هو الذي تكلم به فيه !! ..

ولعله من المناسب أن نختم هذا الشرح الموجز عن تعليم الكتاب عن نفسه بتلك الملاحظة المباركة التي ذكرها الرسول بطرس عن رسائل بولس، اذ وصفها وهو يتحدث عنها : « كباقى الكتب » فى عداد أجزاء الكتاب المقدس ، •• بل تقدم أكثر من ذلك فى جرأة بالغة ليقرر أن من يحرف تفسيرها ، انما يفعل ذلك لهلاك نفسه ، ويا له من تعبير مفزع رهيب ، فان الكتب المقدسة عند بطرس ذات أهمية مطلقة كاملة ، الى الدرجة أن من يحرف تفسيرها ، يعرض نفسه للهلاك والضياع الأبدى ، ولسنا نظن أن هناك لغة يمكن أن تكون أعلى من هذه فى وصف رسائل بولس ، ومن المنطقى أن نخلص بعد ذلك الى وضوح شهادة الكتـــاب عن نفسه ، وخاصيته الالهية المعصومة !! •• وعلى الرجل العصرى أن ينكر ما شاء له من انكار هذه الحقيقة ، ولكنها ستصرخ بأعلى صوتها وقوتها ، اذ هى الكلمة المعصومة لله الواحد الحى الحقيقى !! ••

فاذا قال معترض بعد هذا ، ولكن القطع المشار اليها ، لم تعط فى كلمة واحدة رأى المسيح ، وتفسيره للكتب المقدسة ، وهو اعتراض فى حد ذاته وجيه ، لا لأن كلمات المسيح تعتبر أكثر ثقة من أية قطع أخرى كتابية، بل لأنها الحجة النهائية فى سلطان الكتب المقدسة . •• والجواب على ذلك أنه من السهل معرفة رأى المسيح وعقيدته فى شهادة الكتب عن نفسها من خلال أقواله وتعاليمه ، •• فما عقيدة المسيح بالنسبة لهذه الكتب !!؟

لقد أجبنا على ذلك فيما سلف ، عندما أشرنا الى كلمة المســـيح القائلة : « ولا يمكن أن ينقض المكتوب » •• ومن المتوقع أن تتمشى أفكار يسوع المسيح عن الكتاب فى خط متناسق مع هذا الاعلان العظيم، ويكفى أن نلمع ببعض الآيات التى تدل على ذلك ، ألم يقل فى مت ٢٢ : ٤٣ «فكيف يدعوه داود بالروح ربا » •• ولا شبهة فى أن الفادى يرى داود هنا متكلما بالروح القدس ، وهو ينطق بالحديث عن ابن الله الأزلى فى

المزمور المائة والعاشر : « وقال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » •• مز ١١٠ : ١ فاذا أضفنا الى ذلك قوله الجليل الرائع وهو يدحض كلمات المجرب : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » •• مت ٤ : ٤ •• وكان قصد الشيطان فى التجربة محاولة تنحية السيد عن غايته العظيمة فى خلاص خاصته ، • ولجأ المسيح الى المكتوب حتى يسكته ، ومتى قال المكتوب شيئا انتهى الأمر ، ولم يعد للشيطان أية قوة ، فان المكتوب يحسم كل أمر الى النهاية •• قال المسيح فى مرة أخرى ، راجعا الى العهد القديم : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى » يو ٥ : ٣٩ ، كما قال بنفس اللهجة : «لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى فانكم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » يو ٥ : ٤٦ ، ٤٧ •• !!

ومما لا شبهة فيه أن السيد كان يؤمن بأن الكتب المقدسة مؤتمنة وموثوق بها •• وهى حقيقة يسلم بها حتى البعض ممن لا يؤمنون بلاهوته ؛ •• ومهما يكن الخلاف بين الناس حول شخصه ، فان الانطباع المؤكد ، وفقا للصورة الدقيقة التى يعطيها الكتاب عن المسيح ، تبين أنه كان يرى الكتب المقدسة معصومة ، وأنه لا يمكن أن ينقض المكتوب !!••

ومن الواضح أن كل من يقرأ بعناية ما المعنا اليه من قطع كتابية ، يرى أن الفكر عن الوحى وفق التعليم الكتابى يتعارض تماما مع التصور القائل ان الكتاب المقدس معصوم وموثوق به فى بعض أجزائه فقط ، اذ أن الكتاب لا ينقض فقط فى أجزاء معينة فيه دون غيرها ، أو فى عقائده العظيمة فحسب ، بل بالحرى ، فى سائر أجزائه ومحتوياته ، وهو معصوم بالتأكيد متى قبلنا شهادته عن نفسه !! •• ان الكتاب فى الواقع ليس معصوما فى كل سفر فيه فحسب ، بل ان سائر محتويات السفر وجزئياته

كلمة الله المكتوبة ، ومن ثم فهى معصومة ، وخالية تماما من الأخطاء التى تتعرض لها أية كتابات بشرية !! •• ومن ثم فالوحى يمتد لا الى مجرد الحقائق الأدبية والأخلاقية ، فحسب ، بل أكثر من ذلك الى كافة الحالات التى نعرض لها !! •• ان الوحى الذى يراه الكتاب لنفسه ، واحد وكامل . •• انه الوحى المطلق ، أو كما صور السيد هذه العقيدة فى دقة كاملة بالقول : « لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » مت ٥ : ١٧ ، ١٨ ••

فاذا كان الوحى فى الكتاب مطلقا ، فانه يمتد ولابد الى كل كلماته ، أو اتضح الأمر بكل صراحة أنه الوحى اللفظى ، وهذا ظاهر تماما من الأسانيد الكتابية التى ذكرناها ، وقد لا يتفق معنا الكثيرون فى هذا المعتقد الكتابى . اذ أننا نعيش فى عصر يغض فيه الناس البصر عن عقيدة أن الله يتكلم فى كلمات . واذا كان المفكرون العصريون لايكادون يتفقون الا على شىء واحد ، فهو اتفاقهم الحماسى على معارضة الوحى اللفظى . ويكفى أن يطلع المرء على أى كتاب عصرى يتناول طبيعة الكتاب المقدس حتى يجد هنا أو هناك بين دفاته ما يوحى باعتقاد الكاتب بأن الوقت قد حان للوصول الى نظرية جديدة عن الوحى ، مع نبذ الفكر عن الوحى اللفظى •

على أنه من المستحيل عندنا فصل أفكار الكتاب عن كلماته . فالأفكار هى الأفكار التى نفخ بها الله والتى ينبغى أن تنال طاعة النفس الكاملة : اذ أن عقائد الكتاب وتعاليمه هى النهج الصحيح لحياتنا وايماننا ، والسؤال هو بأية صورة أعلن الله أفكاره لنا !! ؟ والجواب على السؤال ان الله أعلن أفكاره فى كلمات ، اذ هذا هو أفضل أسلوب لتوصيل الحقيقة لحياتنا ،

فاذا كان البشر قد ألفوا فى العادة أن يكشفوا عن أفكارهم بالكلام ، فان الله لهذا السبب قد تكلم الينا ، وليس هناك من سبيل للحصول على عقائد الحياة المباركة الآتية الينا من الكتاب دون صياغتها فى كلمات !! •• ومع أننا لسنا الآن بصدد الدفاع عن عقيدة الوحى اللفظى ، الا أنه يكفينا القول حاليا أنها تعاليم الكتاب المقدس ، سواء رضى بذلك الرجل العصرى أو لم يرض ، بل هى أكثر من ذلك معتقد السيد المسيح مهما تكن كراهية العصريين لمثل هذا الفكر أو المعتقد ، •• ان الكتاب المقدس لا يعرف فى الواقع سوى عقيدة واحدة عن الوحى ، مهما يكن عداء الرجل العصرى لها ، ألا وهى عقيدة الوحى المطلق اللفظى !! ••

من المعتقد أن القارىء الذى تابع نقاشنا الذى بسطناه حتى الآن ، عندما يتأمل القطع الكتابية التى وضعت أمام عينيه ، سينتهى ولا شـك الى أن الكتاب المقدس يؤكد بين دفاته أنه كتـــاب الله ، كما يعتقد اذا استقام فكره ، أن هذا الكتاب لابد وأن يكون نقيا وخاليا من كل خطأ !! وهنا يأتى السؤال !! •• هل يمكن أن يحتوى « الكتاب المقدس » على خطأ ، وهل يجوز أن تشوب « أقوال » الله الضلال ، •• ان السؤال قد ينعكس فى دقة الى سؤال أخطر •• هل الله نفسه نقى وخال من كل خطأ !!؟ واذا كان الله هو بذاته الحق دون معين . فلابد أن كلمته الخارجة من فمه . تكون بدورها الحق الذى لا شائبة فيه !! واذا جاز التصـــور أن الكتاب لا ينسب لنفسه العصمة أو لا يقرر خلوه من الخطأ ، فان معنى ذلك امتهان الحقيقة أن الكتاب المقدس كلمة الله . وأنه نقى ومقـــدس وصادق !! ••

فى عام ١٩٢٣ أعلن المحفل العام للكنيسة المشيخية المتحدة فى الولايات المتحدة بأمريكا فى واحد من قراراته ، •• « أن الروح القدس أوحى ، وأرشد وحرك كتاب الكتاب المقدس وصانهم من الخطأ •• » وكان هذا

الاعلان ينسجم ولا شك من جانب المحفل العام مع تعاليم الكتاب ، غير أنه صادف معارضة من كثيرين ، ومن أغرب من تصدى للمعارضة وثيقة صدرت عن جماعة فى مدينة أمريكية اسمها « أوبرن » ومن ثم أطلق عليها « تصريح أوبرن » •• وقد هاجم التصريح ليس الاعلان المذكور فحسب ، بل عقائد مسيحية أخرى ، •• وقد قال بصدد آراء المحفل العام عن الكتب المقدسة : « ليس هنالك تأكيد فى الكتب المقدسة أن كتابها قد حفظوا من الخطأ » •• « ان عقيدة العصمة المقصود بها اعلاء سلطان الكتب المقدسة ، توهن فى الواقع من السلطان الأعلى للايمان والحياة ، وتضعف شهادة الكنيسة عن قوة الله للخلاص فى المسيح يسوع » •• كما يبين أن ما قرره المحفل العام فى عام ١٩٢٣ بتأكيده « أن الروح القدس أوحى ، وأرشد ، وحرك كتاب الكتاب المقدس وصانهم من الخطأ » •• كان يتكلم من غير رخصة سواء من الكتاب المقدس ، أو قانون الايمان « قانون الايمان الوستمنسترى » ••

أما أن المحفل العام كان يتكلم بغير رخصه من قانون الوستمنسترى ، فهذا ما يستطيع القارىء الحكم عليه ، عند نظر هذا القانون العظيم ، أما أنه كان يتكلم بغير رخصة من الكتاب نفسه ، فهذا ما يمكن ادراكه بسهولة ، اذ أن الكتاب المقدس عرف نفسه ، وقد أكد المسيح هذا التعريف ، بأنه معصوم ، وأنه اعلان الله ، الذى يرتفع فوق كل جدل ونزاع ، ومهما ينكر الناس على الكتاب هذه العصمة ، فمما لا شك فيه أن المسيح أوضح ، أنه لايمكن أن ينقض المكتوب ، وأن السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامه لايزول ، •• وأن ابن الله الحى ، وكلى العلم لايمكن أن يعطى رخصته للمزاعم الخاطئة فى تصريح أوبرن !! ••

وقد ذكرنا هذا التصريح لا لما فى أقواله من أهمية ، فهو فى حد

ذاته ضئيل ولا قيمة له ، .. لكنه فى الواقع كان فيما خلف من تأثير أشبه بواقعة الخيانة عند القبض على السيد فى يوم الصليب ، هذا فى الوقت الذى لم تزد فيه مقرراته عن أن تكون جوفاء وغير مقنعة !! ..

عندما أسس المسيح فريضة العشاء الربانى ، جلس مع تلاميذه حول المائدة وكان يتحدث عن موته قائلا : « ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه » مت ٢٦ : ٢٤ .. كان الاثنا عشر جالسين ، وقد تركوا كل شيء وتبعوه ، ومع ذلك كان بينهم الخائن ، .. وكان المسيح يعلم من هو ، وماذا سيفعل ، بل كان يعلم أكثر ، أنه وهو يقدم نفسه للموت ، يتمم المكتوب . بل ان الخيانة نفسها ستتم وفق المكتوب ، اذ كل شيء مقرر ولا بد أن يتم المكتوب .

وعندما جاء المسيح مع تلاميذه الى جبل الزيتون وقال : « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة لأنه مكتوب انى أضرب الراعى فتتبدد الخراف » مر ١٤ : ٢٧ ، قد لايكون من السهل بتاتا تصور المأساة المهولة ، فعند منحدر الجبل والنجوم تلمع فى ظلمة الليل ، وهى شديدة اللمعان فى أراضى فلسطين ، تبدو المجموعة القليلة من التلاميذ وهى فى سبيلها الى الادبار ، والتعثر ، أى مأساة غارقة كهذه المأساة !! ؟ ألا يستطيعون أن يكونوا أكثر قوة !! ؟ ألا يستطيعون أن يمكثوا معه ساعات الألم !! ؟ ولماذا تتابع الصور على هذا المنظر الأليم !! ؟ ان الأمر يرجع ببساطة الى المكتوب الذى لايمكن أن يزول : « لأنه مكتوب » .. لقد انتهى الأمر ، وقضى به ، .. والمسيح لا يمكن أن يتراجع عن عمله ، والتلاميذ لا يستطيعون أن يفعلوا غير ما هم مقدمون على فعله ، لأن الكتاب قد تكلم ، وسيواجه المسيح الموت دون مساعدة من تلاميذه ، .. وبعد هذا كله يريدنا تصريح أوبرن أن نؤمن أن الكتب المقدسة لم تكن ، ولم تعلن عن نفسها أنها معصومة !! ..

عندما ألقى القبض على السيد قال ببساطة : « كل يوم كنت معكم فى الهيكل ولم تمسكونى ولكن لكى تكمل الكتب » مر ١٤ : ٤٩ ، ولعله من الواجب أن نسأل : ولماذا يلزم أن تكمل الكتب !! ؟ والجواب على ذلك لأنها كلمة الله !! •• وما تقوله لابد أن يتم بطبيعة الحال ، وليس هناك من بديل ، •• وكم كان المسيح مطيعا لما قالت الكتب ، اذ أوضح بما لا يقبل الشك ، بعد أن وبخ من ضرب عبد رئيس الكهنة ، أنه كان فى امكانه أن يدعو أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة لمعونته ، وأية معونة يمكن أن تضارع هذه المعونة ، لقد كان من السهل عليه بهذه الجيوش الملائكية ، أن ينجو من الذين قبضوا عليه ، وأليس من الحكمة أن يفعل هذا !! ؟ •• ولكنه لم يقتنص الفرصة : « فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون » مت ٢٦ : ٥٤ •• كان السيد معنيا باتمام الكتب ، أكثر من النجاة من أيدى أعدائه ، •• وألا تبدو هذه الكلمات غريبة على كل من لا يشاطر الفادى تقديره العظيم للكتاب المقدس ، كما تنبه بكل تأكيد عن فهم معناها اذا لم تكن تشهد عن ايمانه بعصمته ، « هكذا ينبغى أن يكون » وليس من سبيل آخر ، ويستحيل البديل ، ولابد أن تكمل الكتب !! ••

وقد أشار البشير متى ، فى تفسيره لجواب المسيح على من تجمعوا للقبض عليه : « أما هذا كله فقد كان لتكمل كتب الأنبياء » مت ٢٦ : ٥٦ وهى لغة رائعة عجيبة اذ أن القبض المخجل ، على من هو « قدوس بلا شر ولا دنس » تم لكى تكمل كتب الأنبياء ، •• ألا نقف هنا بعض الوقت لنتعجب ونحن نرى شرح المأساة كلها ، بل ألا نقف هنا من لب الموضوع ونحن نرى سر الخيانة والقبض ، والحكم غير العادل للسيد المبارك ، •• لقد تم هذا لكى تكمل الكتب ، وقد جلب المخلص فى اكمال الكتب الحياة والخلاص لكل الذين أعطاهم الآب لابنه قبل تأسيس العالم ، •• أجل ومن الملاحظ أن العبارة السائدة فى وصف الأيام الأخيرة

للسـيد قبل الصليب : « لتكمل الكتب » •• لقد ارتفعت فوق مدينة أورشليم غيمة قاتمة اذ جاءت ساعة سلطان الظلام ، عندما رفع الأشرار أيديهم ضد ابن الله ، وكان الشيطان يتهيأ ليسحق عقب نسل المرأة ، وهو يواجه ــ أى الشيطان ــ هزيمته : « الآن دينونة هذا العالم • الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا » يو ١٢ : ٣١ •• كان ابن الله على وشك أن يرتفع عن الأرض ليجذب اليه الجميع •• ولا يستطيع أحد أن يقرأ البتة بامعان قصة الآلام دون ان يسيطر عليه هذا اليقين أن الكتب المقدسة لم تتردد فى نسبة العصمة الى ما سجلت من حوادث !! ••

وفى الاجمال لم يكن تصريح أوبرن موفقا أو صديقا للتعليم الكتابى السليم ، على أنه يلاحظ فى الوقت نفسه ، أنه يوجد من بين من يسلمون بالعقيدة السليمة الصحيحة ، من يجنح لهذا السبب أو ذاك فى ابهـام الموضوع ، وابعاده عن الوضوح الذى يظهر عليه فى كتاب الله ؛ ولعل ماكتبه فرانسس باتون عن « المسيحية الأساسـية » ما يمكن أن يعطى الدليل على ذلك ، •• فقد تعثر الكاتب فى بعض ماقال عن الوحى ، رغم أن كتابه كان واضح الدفاع عن الخارق للطبيعة فى المفهوم الدينى ، غير أنه كبا أكثر من مرة ، فى حديثه عن الأرثوذكسية المسيحية ، •• فمع أنه يبدو فى كتابه مؤمنا بتعريف بولس للوحى الا أنه يتحدث قائلا فى واحدة من عباراته : « ان المرء لا يستطيع فى قبول الوحى الآن التمسك بفكرة أنه معصوم » •• على أن هذا الكلام قد يكون مرتبطا فى ذهنه ببعض الأخطاء الطبيعية أو الاملائية التى لا يدعى بعصمتها عند الطبع أو الاملاء فى النسخ المكتوبة أو المطبوعة ، وان كان من الخطأ أن يلجأ الى مثل هذا الأسلوب غير الموفق لما قد يثير من لبس أو عدم فهم •• على أنه ممـا يؤخذ عليه حقا الفرض الذى وضعه عندما قال : « ان السؤال الحقيقى هو هل الكتاب حق وليس هل هو موحى به » وهو سؤال يبدو فى ظاهره كتابيا ، ولكنه فى الواقع غير صحيح ، لأنه يبحث عن رخصة منفردة لا

معنى لها ، •• ولا يمكن الفصل بتاتا بأية صورة من الصور بين الحق والوحي في الكتاب ، لقد نسب الكتاب لنفسه آنه موحى به ، فهل هـذا حقيقي !! ؟ •• اذا كان كذلك فان الحق والوحي يسيران متلازمين جنبا الى جنب دون أدنى تفرقة ، كمـا لا يجوز أن ننسى بتاتا أن الغرض فى الوحى تحقيق الانضباط الكامل ، لأنه اذا لم نكن مقتنعين بأن الحقائق الكتابية منضبطة تماما ، فليس هناك من يقين بالحقيقة فى أى شيء !! •• يتساءل دكتور باتون : « هل يلزم أن يكون أى كتاب موحى به ليكون حقا » •• والجواب على ذلك بالتأكيد لا !! •• لأنه توجد كتب كثيرة لا حصر لها تتناول الحق ، ولكنها ليست موحى بها ، ولكن السـؤال مع ذلك جانبه التوفيق ، لأنها هذه الكتب مهما يكن نوعها فى الحق الذى تورده ، ليست الكتاب المقدس ، اذ أن أساسها بشرى ، وتتعرض لحقائق تاريخية فى متناول النظر ، وتعرض وقائعها على أساس المشاهدات ، ولا ترجع الى مصادر الهية ، أو تزعم ذلك ، بل تعالج أمورا تقع تحت الملموس العلمى ، وتقرر ذلك !! ••

وعلى غير ذلك يقع الأمر فى الكتاب المقدس ، لأنه اذا لم يكن الكتاب موحى به ، فانه لايمكن أن يكون حقا كاملا ، •• ومن الجائز أن كتابا مقدسا غير موحى به يورد كثيرا من الحقائق ، فيستطيع مثل هذا الكتاب أن يكتب قصة القبر الفارغ بدقة كاملة ، ولكنه لايستطيع أن يتحدث عن معنى القيامة ، التى لا يمكن فهمها من غير المساندة الالهية للذهن البشرى، وهنا لابد من الاعلان ، اذ بدون هذا الاعلان تختلط الحقائق وتبهم أمام الناس ، •• واذا كان الكتاب المقدس اعلان الله ، فانه لابد أن يعلن الحق صادقا ودقيقا ، والا عجزنا عن ادراك موضع الحقيقة بين دفاته ، وكيف لنا أن نتبين الحقيقة فيما يقول عن الخليقة ، وسقوط الانسان ، والتثليث ، وشخص المسيح ، والكفارة ، والحياة الآتية ، والمجيء الثانى !! ؟ ان هذه المواضيع لا سبيل لنا الى ادراكها دون اعلان من الكتاب !! ؟ ••

وكيف لنا أن نوقن أنه يتكلم الحق عنها •• اننا نوقن بذلك لأننا نثق بالكتاب المؤتمن كله ، فيما يقول ، وهو مؤتمن لسبب واحد بسيط ، أنه كلمة الله !! •• ان القول انه ينبغى أن ندرك الحق فى الكتاب ، وبعدئذ نتحول الى السؤال عن وحيه ، كما يريدنا دكتور باتون أن نفعل ، هو من باب مخادعة النفس ، وهو فى الواقع أسلوب دفاع من أوشك أن ينهزم فى المعركة ، ان الروح القدس هو الذى ترك طابعه الالهى على الكتاب حتى يمكننا قبوله كالتسالونيكيين القدامى : « لا ككلمة أناس بل كما هى بالحقيقة ككلمة الله التى تعمل أيضا فيكم أنتم المؤمنين » ١ تس ٢ : ١٣ وعندما يفتح روح الله العيون ، سنثق ولا شك بطابعه الالهى ، كما نضع ثقتنا فيما يذكر من وقائع ، للسبب البسيط أن هذه الوقائع موجودة فى الكتاب المقدس !! ••

والسؤال الآن عن النسخ التى بين أيدينا ، •• فماذا عن النسخة المترجمة ، والتى نقرأها فى تعبدنا اليومى ، وفى عبادتنا الكنسية !! •• هل هذه هى الموحى بها •• وماذا عن النسخة فى الأصلين العبرانى واليونانى ، والتى بين أيدينا •• هل هى الموحى بها !! ؟ •• لقد ذكرنا فى التعبير الدقيق للوحى أنه نفخة الله لرجال محمولين بروح الله ، •• وهذا ينصرف أساسا على النسخة الأصلية التى تلقاها النبى أو الرسول ، ومن ثم فهى الأصل الذى ينصرف اليه المعنى ، •• وليس هذا هو المستخلص من التعليم الكتابى فحسب ، بل ما ساد العقيدة الكنسية أيضا ، فالقانون النيقوى يقول ان الروح القدس تكلم بالأنبياء ، فما نطق به الأنبياء فهو نفخة الروح ، ويتمشى القانون الوستمنسترى فى ذات الاتجاه فيعرف الكتاب المقدس بأنه هو « الموحى به مباشرة من الله » أو بدون تدخل وساطة اذ صدر رأسا بقوة الله المباشرة ، وعليه فان النص الأصلى للكتاب هو الموحى به حسب القانون الوستمنسترى !! ••

قد يتصور البعض فى القول ان المعول عليه فى الوحى هو النص الأصلى ، حسب الشهادات التى ذكرناها ، •• انما هو من باب الابتداع المتأخر الذى يقصد به تفادى الصـــعوبة ، اذا ظهرت أخطاء مكتوبة أو مطبوعة من نسخة هنا أو هناك ، •• لكن هـذا ليس الصحيح على الاطلاق ، •• ولكن الصحيح أن الوحى هو ما نفخ به الله ، وهذه النفخة بحسب ورودها فى الأصل هى التى لايمكن أو يتصور أنها تخطىء !!•• ولا شىء غير ذلك !! ••

على أن الذين لا يقبلون عقيدة العصمة ، يثيرون من الوجه الآخر . الرأى أن الله لم ير من الضرورى حفظ النسخة الأصلية بين يدينا ، وكأنما يصورون ، بأنه يرضى بالنسخ الموجودة بين أيدينا ، وأنها كافية حتى ولو لم تكن معصومة ، •• ومن الطبيعى أن النسخ الأولى الأصلية ليست بين أيدينا ، فهل حدث ضرر كبير من ذلك !! ؟ وهل تستطيع النسخ الحالية أن تعطينا كلمة الله الحقيقة أم أنها تتباعد عن الأصل ، !! ؟ فاذا كانت تختلف عن الأصل ، فمن يستطيع بعد ذاك أن يعرفنا ارادة الله !! ؟ وألا نكون بعد ذاك فى موقف دقيق لا نستطيع معه أن نتبين الحقيقة !!؟ قد تقول اننا على حق ، ولكن من يعلم !! ؟فاننا فى هذه الحالة لا نكون عند الثقة بكتاب مؤتمن ، ونترك فى الحقيقة لتصورنا وخيالنا . • فمثلا اذا أردنا أن نعرف شيئا عن موت سيدنا ، فسنجد الرواية فى التلمود مختلطة بالتقاليد البالية التى أفسدت الحقيقة ، والتى لا يستطاع معها اليقين بما يذكر . فهل يكون الأمر هكذا فى النسخة الكتابية فى وضعها الحالى !! ؟ ••

مما لاشبهة فيه أن الكتاب فى وضعه الحالى . على صورة مثيرة ، ومن نواح متعددة ، آية فى الدقة ، ويماثل فيما نعتقد المخطوطات الأصلية !! •• اذا كتبت الى رئيس الجمهورية خطابا ، وجاءك رد ، ومن

فرط سرورك أمليت هذا الرد على مجموعة من الناس لتكتبه ، ربمـــا يغفل واحد حرفا أو نقطة ، أو كلمة ، ولا يمكن أن يقال ان هذه الصور من الاغفال أو السهو ، قد غيرت الرد أو أفسدته أو أصبح من الصعب مماثلته تماما للأصل ، اذ أن مراجعة المجموعة كلها ستخرج الصـــورة الصحيحة والسليمة والتى لا شبهة فيها . ٠٠ وما من شك بأن الكتــاب المقدس اذا كان قد حدث شيء من الســهو أو الاغفال أو الخطأ عنــد النسخ وهو كتاب كبير ضخم ، فان مراجعة المخطوطات المتعددة ، تصحح ما يمكن أن تتعرض له أية مخطوطة . ٠٠ فاذا أضيف الى ذلك صــعوبة القواعد الكتابية واللغوية فى العبرانية واليونانية ، وما بهما من سكنات أو حركات أو نقط أو ما أشــبه ، تتبين الصــعوبة البالغة عند نســخ المخطوطات ، ومع ذلك فالتطابق العام بين النسخ المتعددة يكشف عن روعة واعجاز العناية الالهية . فى حفظ الكتاب على الدقة التى وصــل الينا بها !!

ويحل دكتور تشارلس هودج ، وهو فى مقدمة المدافعين عن الوحى المطلق واللفظى طبيعة الصعوبات التى قد تواجه النسخ الحالية الكتــابية بما يلى :

ان تصور أن هناك تعارضا بين الكتاب وأنفسهم ، أو بينهم وبين غيرهم من الكتاب، يمكن الرد عليه لا فى مجلد واحد ، بل فى مجلدات متعددة ، لاثبات أنه ظاهرى فقط ، ويكفى أن نشير هنا فى عجالة الى « ١ » أن هذا التعارض الظاهرى . حتى وأنت تعدد ، لا يمس الأصل بتاتا ، بل انه ينصرف مرات كثيرة الى أعداد أو تواريخ !! ٠٠ « ٢ » أن الغالبية العظمى فيه تحل بالامتحان والفحص الدقيق « ٣ » أن الكثير منها يرجع الى أخطاء فى النسخ فى بعض المخطوطات « ٤ » غير أن وجه الاعجاز والعجب أن القليل منها هو الذى يمكن أن يثير الانتباه ، فاذا ذكرنا أن

مجموعة أسفار الكتاب كتبها كتاب مختلفون ، وهم رجال متباينو الثقافة ، وعاشوا فى عصور مختلفة ما بين ألف وخمسمائة وألفين من الأعوام ، وعلى مثل هذا التوافق العجيب ، فانه ليس هناك من تصور آخر يمكن أن يخالج النفس ، سوى أنهم مقادون بروح الله عندما كتبوا ، وفى الحقيقة أن الكتاب يقف هنا فريدا فى بابه ، .. وليس الأمر فى مجرد الاجلال والرهبة ، وهو يورد أعظم الحقائق ، ويتكلم بسلطان الله ، دون أن تمسه أخطاء اليد البشرية ، بل هو فى الواقع مبرأ من أوهام المستريبين فى أى خطأ فيه !! ..

على أنه لابد لنا هنا من ملاحظة هامة ، لا نستطيع تجاهلها أو تجاوزها ، ان هناك الكثير من الأمور فى الكتاب ، مما لا يمكن فهمه فهما كاملا ، كما أن هناك من الصعاب ما لا يستطاع حله حلا نهائيا ، ومن المؤسف أن هناك الكثيرين الذين لا هم لهم الا البحث عن التعارض الظاهرى ، دون الغوص الحقيقى وراء الأعماق ، والصيحة المرتفعة بأن هناك أخطاء فى الكتاب ، وسيتاح لنا فيما بعد مناقشة بعض الصور للتعارض المزعوم ، دون طرح عقيدتنا الكتابية فى الوحى ، وعدم التمسك بها ، .. من السهل حقا أن تسير وراء كل فكر ضحل ، ومن السهل أن تتواكب مع الكثيرين فى ذلك ، وتخرج كما لو أنك ظفرت ببعض المغانم ، .. لكننا نعتقد أن هذا ليس طريقنا ، وسنقبل الطريق مهما كان فيه من صعاب ومشقة ، .. ومن المحال أن نضحى بعقيدتنا عن الوحى الالهى ، بل من الجهالة أن تفعل ذلك ، لمجرد أن بعض العقبات يعلو فهمها على العقل البشرى ، .. فمثلا فى عقيدة التثليث هناك ما يتجاوز الفهم البشرى لمحدودية ذهننا وادراكنا ، فهل نعرض عن هذه العقيدة المباركة ، لمجرد أننا لا نستطيع سبر أغوارها !! ؟ .. وهناك أسئلة محيرة ، فيما يذكره الكتاب المقدس عن شخص سيدنا ، فهل تتحول عن يسوع المسيح لمجرد أننا نعجز عن الجواب النهائى على هذه الأسئلة !! ؟

وهناك أفكار متعددة تنهض أمام الذهن المسيحى عن شخص الله ، فهل نرفض الايمان به لمجرد أننا نعجز عن الوصـول الى العمق الكافى ذلك ، من الحماقة أن نفعل ذلك ، لأننا نعلم أن العقل البشرى المحدود مهما اتسع ، سيقف عند نقطة معينة لا يستطيع تجاوزها ، وهو يواجه الحقائق الالهية المعلنة ، .. وسيبقى ثمة أمر أكيد ، أنه مهما بدا من بعض الأمور الغامضة فى المسيحية ، فان الحلول البديلة المبذولة مرات كثيرة ما تكون أكثر عسرا وتعقيدا ، .. انه مما لا شـك فيه أننا نواجه فى عقيدتنا عن الوحى ، الكثير من الصعاب المربكة ، والحقيقية ، ومن الحق أن نعترف بذلك ، .. لكن هذه الصعاب فى حد ذاتها ، لايمكن أن تقارن بالصعوبات الرهيبة والمتعددة التى تواجه من يرفضون العقيدة الكتابية ؟ فاذا كان المرء يرفض شهادة الكتاب عن نفسه ، فانه لابد أن يشرح بعد ذلك كيف جاء ، وكيف وجدت العقائد السماوية بين دفتيه . وما أصلها !!؟ هذه هى بعض الأسئلة المحيرة ، التى سيجد نفسه يواجهها وهو لايدرى ، ورغم استخدام النظريات الحديثة للكثير من المصطلحات التقليدية فان أصحاب هذه النظريات يجدون أنفسهم آخر الأمر عاجزين عن أن يمسكوا بناصية الحقيقة فيها !! ..

هناك صـعاب لاشك فيهـا فى المعتقدات الكتابية ، وهى حقيقة لا يستطاع تجاهلها ، وليس من حقنا مادمنا من الخلائق المحدودة المعرفة أن نطلب ما فى حوزة العارف بكل شىء . وليس من العجب بعد ذلك أن هناك أشياء فى الكتاب المقدس تعلو على معرفتنا !! ..

ومن الجدير بالملاحظـة ، أنه كلما تزايدت المعرفة ، كلما اتضحت حقائق كانت قبل ذلك غامضة .. فى القرن الماضى خرج عالم اسـمه هارتمان يتساءل عما اذا كان العالم كان يعرف الكتابة أيام موسى ، .. وزعمت نظريته أن العبرانيين لم يكونوا يعرفون الكتابة حتى عصر القضاة ،

وأن موسى لذلك لا يمكن أن يكون كاتب الأسفار الخمسة ، وبالتالى تكون شهادة المسيح أن موسى كتب عنه موضع شك وتساؤل !! ●● ولكن هل يقبل أحد الآن هذه النظرية ، وقد كشف علم الآثار أن الكتابة كانت معروفة قبل عصر موسى بدهر طويل ، وأنه لا يوجد واحد من المتعلمين على استعداد أن يقبل النظرية الخرقاء ، والتى ترفض نسبة الأسفار الخمسة لموسى ، لأن الكتابة كانت مجهولة فى عصره !! ●●

ان هذا المثل الذى أشرنا اليه . قد يكون مفيدا ومحذرا فى الوقت نفسه . اذ أن الكثير من المشكلات والصعاب الكتابية ، والتى لا يستطاع حلها حلا كاملا ، لا يرجع الأمر فى صعوبة حلها ، الى ضخامة المشكلة فى حد ذاتها ، بل الى محدودية العقل البشرى فى تناولها . ●● وما أكثر المشاكل التى ظن العلماء فى الماضى ، أنها بغير حل ، لكنها أضحت محلولة الآن ، وقد غير علم الآثار كثيرا من الآراء . وجاءت الاكتشافات الحديثة مساندة الى أبعد الحدود كتاب الله بين أيدينا !! ●●

فاذا كان لنا أن ننتهى الى قول ، فانه يمكن أن نقول ان الوحى يمتد الى النسخ الأصلية فى الكتاب . وهذه النسخ هى بلا شك معصومة من كل خطأ ، فاذا كانت النسخ الأصلية ليست بين أيدينا بفعل الزمن ، فانه من المسلم به امكانية وقوع بعض المخطوطات القديمة فى الخطأ فى هذا أو ذاك عند نسخها ، كما أنه ليس هناك من يتجاهل صعوبة تفسير الكثير من المشكلات بها ، غير أن هذا لا ينفى أنه بمقارنة المخطوطات الكثيرة ، يمكن ادراك الحقيقة التى لا شائبة فيها ، أن كلمة الله بين أيدينا صحيحة وكاملة ، ●● ومع أننا لا نعلم لماذا لم يبق الله على المخطوطات الأولى للكتاب ، وهل أدرك فى حكمته الكاملة ، أنها يمكن أن تتحول الى صنم يتعبد له أو يتبرك به الكثيرون ، ●● الا أنه على أى حال صان بعنايته المعجزية الكتاب الموضوع بين أيدينا ، وحفظه على نحو خارق مثل الأصل القديم ، ليكون كلمة الله الحقيقة المعتمدة والموثوق بها !! ●●

كم هو طيب الله الذى أعطانا الكتاب المقدس ، ومهما كانت حاجتنا فانه يمكن أن نعثر فيه على صوت الآب السماوى الذى يتكلم الينا ، ولسنا فى حاجة الى بذل الجهد المضنى لادراك هذا الصوت الالهى ، كما أننا لا نستطيع أن نبلغه اذا كان الهدف مجرد البحث عن عبارة يتصور أنها تقوم دليلا على خطأ !! .. ان الكتاب فى غناه وشموله هو كتاب الله الذى يواجه كافة احتياجاتنا وطلباتنا ، وما ألطفه فى أوامره ، وأرقه فى طلباته ، وأسماه فى عقيدته .. انه الكتاب المقدس !! .. « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » ..

« كما يمر الضوء خــلال الزجاج الملون من نافذة الكاتدرائية ، يقولون لنا ، هــكذا يأتى الضوء من السماء مصبوغا بلون الزجاج الذى يمر به ، وهكذا كلمة الله عندما تمر فى ذهن أى انســان ونفسه ، اذ لابد أن تصطبغ بالشخصية التى تمر بها ، والى الدرجة التى لا تتغير معهــا من أن تكون كلمة الله الصافية ••• وأية شخصية هذه التى صاغها الله لتكون على ما تكون عليه، وللغرض المحــدد ، لتوصيل الكلمة التى أعطيت لها ، وبنفس اللون الذى تقدمه !!؟ وأى ألوان هذه من نافذة الزجــاج الملون والتى أبدعها المهندس لترســـل ضــوءها على ذات الكمية والحدود التى قصد أن تكون لها !!؟ ••• وماذا اذا كانت كلمــة الله التى تأتى الى شــعبه على الصورة التى رسم أن تكون عليها ، وبملكات الناس الذين أعدهم ليقدموها !! ؟ » •••

بنيامين ب وورفيلد

# الفصل الثالث

# الكتاب البشريون للكتاب المقدس

من أهم الدراسات اللازمة فى عقيدة الوحى ، ما أطلقنا عليه فى اللغة المبسطة الجانب البشرى فى الكتب المقدسة . قال الرسول بطرس : « تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » .. أو « محمولين بالروح القدس » ، ولم تتكلم الا اليسير عن هؤلاء الرجال القديسين الذين استخدمهم الله فى انشاء الكتاب . وذلك بتوضيح الحقيقة التى أكدوها هم بأنفسهم أن هذه الكتب من الله ؛ .. وقد كان هذا ضروريا فى سياق الاقناع بالعنصر الالهى لكلمة الله ، وفحوى الحقيقة الداعية الى قبوله .

على أنه من الجانب الآخر يبدو هاما وضروريا أن نعطى كامل الانتباه لما يقوله الكتاب عن الجانب البشرى فيه !! .. وقد تزايد الاهتمام اليوم بهذا الأمر لما يشاهد الآن من التحريف الدائم لهذه الناحية من العقيدة ، فالكتاب البشريون يصورون مثلا مجرد حسلة أقلام يتحركون تحت قيادة الروح القدس ، والعقيدة التاريخية كثيرا ما تصور على أسلوب ساخر بأنها « ساكنة » يتحول فيها الكتاب الى مجرد آلات مسجلة تكتب ما يملى عليها ، وقد توالت صرخات الكتاب العصريين بأننا لا نريد نظرية آلية عن الوحى ، مما يوحى الانطباع بأنهم عثروا على خطأ حقيقى ، يريدون دحضه والقضاء عليه ، وحقيقة الواقع ان النظرية الآلية عن الوحى ليست الا وهما يراود أذهانهم ، والكتاب المحدثون المحافظون

يعطون أوفى الاهتمام للجانب البشرى فى كتاب الله ، وهم أبعد الناس عن نظرية الاملاء الآلى فى الوحى !! ..

فما هو الرأى فيما يتصل بعقيدة الاملاء هذه !! .. ان كلفن وهو يناقش هذه العقيدة ، لم يتردد فى القول : « ان من يريد أن يستخدم الكتب المقدسة ، عليه أن يتأكد أولا كأمر أساسى : أن الناموس والأنبياء لم يصدرا قط وفق مشيئة البشر أو رغباتهم ، بل باملاء الروح القدس» !! وهو يتابع هنا كلمات الكتاب نفسه ، اذ لم يتردد بولس وهو يكتب الى الكورنثيين نفس الحقيقة عندما قال : « التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات » ١ كو ٢ : ١٣ .. ويمكننا ادراك ما فى هذه الكلمات من قوة ، اذ توقفنا عند القول : « بما يعلمه الروح القدس » أى أن بوس تكلم الكلمات التى علمه اياها روح الله . .. وهذا ما كان يقصده كلفن فى أقواله !! ..

على أن الكلمة املاء فى حد ذاتها . وان لم يعترض عليها ، واذا كانت تعبر بقوة عن العنصر الالهى فى كلمة الله ، الا أنه لايجوز استخدامها فى أيامنا هذه ، دون اضفاء بعض الأوصاف اللاحقة بها ، اذ أنها تتضمن الآن ما لم يكن معروفا فى وقت كلفن .. ففى أيامنا هذه عندما نستعمل كلمة املاء ، يتبادر الى الذهن فى العادة رجل الأعمال الذى يملى خطابا على كاتب الاختزال . والمدرس الذى يعطى تمرينا للتلاميذ فى المدرسة . ولا فارق فى الحالين لمن يتلقى الاملاء ، فكاتب الاختزال يمكنه أن يكتب كما يكتب أى كاتب مثله ، والتلميذ كأى تلميذ آخر ، دون زيادة أو نقص فيما يملى عليه ، .. والكاتب أو التلميذ ليس العنصر الأساسى فى الموضوع نسبيا ، غير أن الأمر ليس هكذا فيما يتصل بالكتاب البشريين للكتاب المقدس ، فالحقيقة أن الكلمات التى استخدموها ، تعلموها من الروح القدس ، ولكن ليس

معنى ذلك ، أن لا فارق بين كاتب وآخر فيما كتبوا ، .. فبطرس لم يكن صحيحا أنه كان سيكتب الرسائل البولسية كما كتبها بولس نفسه ، وينبنى على ذلك أن نوضح بجلاء ، أنه وان كان الكتاب فى أصله ، هو فى الحقيقة كلمات الله ، الا أن هذه الكلمات ليست مجرد الاملاء الآلى للوحى الالهى !! ..

لقد تناول رجال مثل تورتين ، وكلفن ، وغيرهما ، هذا الموضوع فأوفوا الجانب البشرى فى الكتاب حقه ، تماما كما فعل بعض المعترضين العصريين سواء بسواء ، .. الا أنه من المحزن أن بعض الكتاب يتعلقون فى أيامنا بأوهام ، جعلتهم لا يولون الأمر مجرد الاهتمام الواجب ، بل أكثر من ذلك يشنون الهجمات ، دون أن يتمشوا مع التعليم الكتابى ذاته فى الموضوع ، .. وفى الواقع أن كل المؤمنين بالكتاب ، ممن تسيطرعليهم روح العدالة ، لابد يدحضون ، نظرية الاملاء الآلى للوحى ، الذى يصور فيه الكتاب الموحى اليهم ، مجرد آلات تسجيلية ، وليس أكثر من ذلك !! ..

وفى الحقيقة أنه من الممكن ملاحظة ما يؤكده الكتاب عن الجانب البشرى . اذا تأملنا مثلا قول السيد المسيح : « فكيف يدعوه داود بالروح ربا » مت ٢٢ : ٤٣ ، .. وداود هنا تحت سيطرة الروح يفعل ذلك ، أو فى لغة أخرى ، أنه فى وقت ما ، وهو يتكلم عن الرب المسيح ، يكون تحت سلطان الروح ، ويتكلم هذا ، .. أو هو موحى اليه .. وفى وقت آخر ، ليس تحت هذا السلطان ، وبالتالى ليس موحى اليه ، .. وداود هو المؤلف البشرى لهذه الكلمات التى يعيها وهى صـادرة منه . .. على أنه وهو يتكلم لم يكن فى وضـعه العادى كل يوم ، فلم يتكلم كمجرد انسان عادى ، بل كان فى وضع خاص . اذ كان داود فى الروح !! ..

وقد ذكر الأمر نفسه فى انجيل مرقس : « لأن داود نفسه قال بالروح القدس » مر ١٢ : ٣٦ مما يعطى التأكيد أن الرجل داود هو المتكلم ،

كما أن لوقا قال : « وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير » لو ٢٠ : ٤٢ مما يؤكد ذات المعنى ، ويشير الى نسبة الكلام لداود فى سفر المزامير ، •• واللغة واضحة أن الروح تكلم فى سفر المزامير ، ولكن بلغة داود وعلى لسانه !! ••

وفى الصلاة المرفوعة الى الله من الرسل فى سفر الأعمال تأتى الكلمات : « القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل » •• وهى مأخوذة من المزمور الثانى لداود ؛ حيث تأتى هذه الكلمات من الله ، والله نفسه ، هو الذى تكلم بها ، ومع ذلك فانه تكلم بها على فم داود عبده ، •• وشبيه بذلك ما جاء فى انجيل متى : « وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل » مت ١ : ٢٢ فى النبوة الرقيقة المعجزية عن العذراء والتى تكلم بها الله على فم النبى !! ••

فاذا عدنا فى الاشارة عن العليقة كما جاءت فى انجيل مرقس حيث يقول السيد المسيح : « أفما قرأتم فى كتاب موسى فى أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا ••• » مر ١٢ : ٢٦ تتبين أن كلمات الله ، قد وصلتنا فى كتاب هذا الرجل موسى !! •• وفى مكان آخر يأتى السؤال : « أما قرأتم » مت ٢٢ : ٣٢ ، وهى كلمات الله المقروءة فى كتاب ، كما أن الرسول بولس على صورة مماثلة أشار الى ما جاء فى العهد القديم : « حسنا كلم الروح القدس آباءنا باشعياء النبى قائلا •• » أع ٢٨ : ٢٥ ، ٢٦ مما يبين أن الروح القدس هو المتكلم على لسان اشعياء ، فاذا كان النبى هو المؤلف البشرى للرسالة ، فان المتكلم فى الحقيقة هو الروح القدس الذى استخدم اشعياء فى الكلام !! ••

ان هذه القطع الكتابية المشار اليها آنفا ، تعنى عند الدراسة المدققة أن الله عندما أعلن كلمته استخدم الوسيلة البشرية ، لقد كان

الرجال الذين استخدمهم الله رجالا قديسين ، عرفوا الههم وأحبوه ، وليس معنى هذا أنهم لم يخطئوا ، لقد كانوا خطاة ، وبعضهم أخطأ على نحو رهيب ، فداود مثلا ارتكب من الخطايا ، ما لا يكاد يغفر ،.. ولكنه مع ذلك كان واحدا ممن كلمهم الروح ، .. لقد كان كتاب الكتاب المقدس خطاة كغيرهم، .. ولكنهم مع ذلك رغم خطاياهم ، كانوا ممن أحبوا الله ، واستخدمهم الله فى انشاء كتابه !! ..

على أنه من الظلم البين التصور أن الله عندما أراد أن يقدم كتابه تطلع هنا وهناك فى الأرض ، ليرى عما اذا كان هناك رجل يمكن أن يتكلم بواسطته الى الناس ، وليس فى الكتاب نفسه مايمكن أن يؤيد أو يساند هذا الرأى ، بل العكس هو الصحيح ، .. هل كان الله يهتم بمن سيكتب هذا الكتاب !! ؟ أجل ، ولا شك أنه اهتم بذلك اهتماما عظيما !! .. عندما أرعد عاموس بنبوته الرهيبة ، والتى جاءت فى تسعة أصحاحات قصيرة ، عرفنا من هو الرجل من خلال نبوته ، ورأيناه يختلف تماما عن هوشع الذى اجتاز مأساته القاسية المحزنة ، .. ومع أن الرجلين يختلفان تماما فى الحياة والظروف الا أن الله استخدمها كل على حدة فى ابلاغ الرسالة التى أراد أن يتكلم بها الى الناس .

فاذا تحولنا الى العهد الجديد ، رأينا الأمر ذاته ، اذ اختلف الكتاب البشريون عن بعضهم البعض اختلافا عظيما !! .. بل لقد بدا كما لو أن الله اختار أناسا معينين ليكتبوا أجزاء معينة من كلمته ، أجل وهذا حق ، وقد استخدم الله أكثر من ذلك خصائصهم كرجال ، اذ لم تكن شخصياتهم ملغاة ، ومواهبهم مدفونة ، .. أو كانوا فى نوع من أنواع التجمد ، كلا بل كانوا على العكس من ذلك الناس الذين استخدمهم الله كما هم ، وكما أعطاهم من وزنات وهبات ، مدربة ومصقولة !! ..

وخير الأمثلة على ذلك لا يمكن أن نراه فى قصة بولس الرسول ، فلم يتطلع الله ليرى هنا أو هنـــاك على وجه الأرض رجلا يمكن أن يستخدمه لكتابة الرسائل التى نطلق عليها الآن الرسائل البولسية ، •• كان هناك رجل واحد يمكن أن يكتب هذه الرسائل ، وهـذا الرجل اسمه بولس . •• وقد درب هذا الرجل باعداد متلاحق وطويل ليؤدى الرسالة السامية التى أتيح له أن يؤديها فيما بعد ، كان من المهم أن يولد ويترعرع فى مدينة طرسوس ، وأن يتربى عنـد رجلى غمالائيل وأن يتعلم صناعة الخيام ، وأن يكون فريسيا ، وأن تكون هذه جميعها الخلفية التى كمنت وراءه طوال حياته على الأرض . •• ولم يكن أقل من ذلك قدرته على استخدام اللغة اليونانية كلاما ووعظا ، والسنوات الثلاث التى قضاها فى العربية للدراسة والتأمل !! ••

هل حدث هذا كله بمحض الصدفة !! ؟ كلا •• بل هى يد الله التى تشكل حياته ، وتعده للعمل الذى أعده الله له . والذى أمكنه فيما بعد ليكتب رسائله العظيمة ، ان يد العنـاية التى أعدته ، وعلمته ، ودربته ، ليؤهل لذلك العمل الذى قام به خلال حياته اليومية !! ••

ولقد حدث هذا بالتمام مع موسى ، خلال السنوات الطويلة من تدريبه واعداده لعمله العظيم ، •• لقد وعى فى صباه وشبابه ما يعانى اخوته من آلام ومتاعب فى مصر ، وعرف كيف يتعـامل مع العقلية المصرية ومع المسخرين ، وقضى تلك الفترة الطويلة بين الرمال الجرداء يفكر ويتأمل ، وتحول بعد ذلك الى السنوات التى شارك فيها فى قصة الخروج العظيمة ، •• وفى كل هذه كان موسى يجهز لكتابة الأســفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس ، ولا حاجة الى القول ان هــذه الأسفار ، تكشف عن فكر منظم ، وعن عقل عظيم ، ولم يكن غير موسى

ليكتب هذه الأسفار . ذلك الرجل الذى أدخله الله فى مدرسة العناية ، وحوله على النحو الرائع من الخادم العنيف العنيد ، الى الانسان الذى أعد بالعناية المتدرجة لكتابة هذه الأسفار العظيمة !! ..

أجل وما أروعها من عناية تلك التى أعدت وجهزت أولئك الرجال الذين كان عليهم أن يكونوا الأداة البشرية فى كتابة كتاب الله ، .. انها العناية العظيمة ، التى تنهض من بين الناس من هو مثل اشعياء ، أو ارميا أو يوحنا ، أو بولس ، ليلاحق الواحد منهم الآخر ، ويكمل العمل الذى أراده الله له . انها العناية التى حمل بها الروح القدس انســـان الله القديس ٢ بط ١ : ٢١ . وليس مجرد أى انسان يتصادف وجوده ، بل الانسان القديس الذى جهزه الله . وأعده خلال السنوات الطويلة ليكتب الجزء المحدد من كتاب الله الذى شاء له الله أن يكتبه !! ..

والسؤال الذى لا بد منه هو هذا . ولكن كيف يضـــبط الله هؤلاء الكتاب . ليكتب الواحد منهم بالروح ما يريده الله أن يكتب ، وفى الوقت عينه يكون الشخص المسئول الذى لا تضـيع شخصيته أو تفقد !! .. أو كيف يكتب النبى مثلا « أقوال عاموس .. التى رآها » .. والا يبدو هنا ، من التناقض ما يحتاج معه الى التفسير ، اذ كيف تكون الكلمات فى الوقت نفسه صادرة من عاموس ، وأصلها من عند الله ، وكيف يكون للكلمة الواحدة مؤلفان ، عاموس والله !!؟

ان هذه الأمثلة على أهميتها لا يمكن أن تعطى الجواب النهـائى الشافى . اذ قد لا يكون من حكمة الله أن يكشف بالتمـام عن الطريق التى يوصل بها الكلمة الى خدامه . ويجعلهـا فى أفواههم . وكيف يحملهم حتى تكتب بالصورة المنضبطة التى يريدها لها ، وهناك لا شك الكثير من الأسرار الالهية غير المعلنة ، والتى يصمت فيها الكتاب عن

الافصاح عن الطريق التى يحفظ بها كلمته ويصونها من كل خطأ . واذا كانت هناك عقائد كثيرة ، محاطة بالأسرار ، وليس من السهل ادراك كنهها ، وسبر غورها ، فان العقيدة الخاصة بالوحى لن تختلف عن ذلك، وعلينا آن ندرك أننا بشر محدودو الذهن والمعرفة ، ومن حقنا أن نعرف ما يعرفه المخلوق المحدود ، بينما الله وحده هو الخالق غير المحدود فى المعرفة والادراك ، وليس لنا أن نطالب بمعرفة كافة أعماله على وجه مطلق ونهائى ، أو استشفاف ذاته تحت مجهر الذهن البشرى !! ..

ألا تبدو عقيدة التثليث مثلا سرا كبيرا ، ويخدع نفسه من يظن أنه قادر على الاحاطة بها على نحو كامل شامل ، ولا شىء أفضل من أن نقبلها بالايمان والفرح لأن الله شاء فى جوده آن يعلن هذا السر فى كلمته، وما أعجبه من اله ، وأعظمه من قدوس ، الذى وهو الاله الواحد الحى الحقيقى كشف عن نفسه ، فاذا بنا وجها لوجه أمام الله المثلث الأقانيم ،.. واذ نتأمل فى الآب والابن والروح القدس ، نجد أنفسنا فى الوقت نفسه أمام الواحد الذى لا شريك له ، .. الواحد يذكرنا بالثالوث والثالوث بالواحد ، واذ نتحنى أمامه ، ونتعبد له ، ونمجد اسمه ، ونتأمل فى صفاته وكمالاته اللانهائية ، نجد أنفسنا آخر الأمر أعجز من أن نسبر الغور فى اعلانه الذى أعطاه لنا عن التثليث !! ..

والأمر كذلك فيما يتصل بعقيدة الوحى ، اذ لا بد من التوقف عن السير ، مهما بلغنا من أشواط ، ومهما نفكر فى أسئلة متعددة ، فانه تبقى هناك أسئلة لا نملك الآن الاجابة عليها ؛ وواجبنا آن نؤمن بكل ما أعلنه الله لنا ، ونحنى رءوسنا خضوعا للحق الذى أعلنه ، .. لقد تكلم الكتاب ، وأعطانا أن نعرف الكثير عن الوحى ، .. ومع ذلك لم يخبرنا بكل شىء ومن الواجب آن نقر بأن هناك أشياء صعبة لا يتيسر معرفتها ، وأسئلة كثيرة ليس من السهل الاجابة عليها ، ..

وعلينا أن نؤمن أن الله تكلم ، وأن واجبنا أن نسمع صوته ، دون أن نجتاز الخطوط التى أرادنا أن نقف عندها !! ••

وفى الوقت عينه من واجبنا أن نصيخ السمع الى اعتراض كثيرا ما يثار فى هذه الأيام ، اذ يقال انه ما دامت كلمة الله تأتى عن طريق الوسيلة البشرية ، فانها كثيرا ما تأتى غامضة . والله اذ يختار وسيلة محدودة ، للاتصال بنا ، فانه فى العادة يختار أفضل وسيلة ممكنة ، غير أن طبيعة الاعلان مع ذلك ، لا ترجع الى شخص الله فحسب ، بل ترتبط أيضا بالوسيلة البشرية التى تأتى من خلالها !! ••

فاذا كانت الكلمة تأتى من خلال الأسلوب أو الوسيلة البشرية ، فانها لا تخلو من أن تكون ممتزجة ببعض الأخطاء أو النقصات التى توجد فى كل شىء بشرى ، •• كما يحدث عندما تغمس ذراعك فى مياه طينية وتخرجها ، فاذا ببعض الطين سيعلق ولا شك بذراعك . أو اذا نفذ شعاع الشمس خلال نافذة قذرة ، فان بهاءه سيكون ولا شك أقل من ذلك الذى ينفذ من نافذة صافية !! ••

وطبيعة الاعلان الالهى ، وفقا لهذا الرأى ، لا تعتمد على الله فحسب ، لكنها تعتمد أيضا على الوسيلة البشرية التى تأتى من خلالها ، فاذا كانت الوسيلة خاطئة فلا تثريب على الاعلان اذا جاء هو أيضا محفوفا بالخطأ . واذا كانت الوسيلة التى اختارها الله محدودة . وعلى قدر ما يملك الانسان من اعلان عن الله وحقه ، وفى الحدود التى يستطيعها ، فانها ستأتى مرتبطة بالقصور البشرى : الذى يمكنه أن يشوه ويمنع الاعلان من الوصول الى البشر !! ••

والذين يصورون الكلمة الالهية ، وقد جاءت بهذه الوسيلة البشرية المصحوبة بالأخطاء والقصور ، يعتقدون أنه من الممكن تحديد هذه الأخطاء ، وهم فى العادة يردونها الى أخطاء ونقصات يسيرة فى

الحقائق أو التاريخ ، ولعل من أعجب الأمور المقارنة الغريبة ، بين مة يتصورون وحقيقة التجسد ، .. فاذا كان الكلمة المتجسد قد خضع لكل الحدود والصعاب التى واجهت الحياة البشرية ، فانه يمكن على هذا المثال أن تكون كلمة الله فى تاريخ شعب كالشعب العبرانى ، بكل ما صاحب هذا الشعب من قصور أو أخطاء !! ..

ولعله من السهل ملاحظة مايكتب فى هذه الأيام عن هذا الموضوع ، ويكاد الكثيرون من الكتاب يرون من الضرورى ابراز الأخطاء التى يتصورون أنها قائمة بسبب الأداة البشرية المستخدمة فى كتابة الكتاب ، وكأنما هو أمر محتوم ، ولابد منه ، ومن طبيعة الأشياء، مادامت هى اليد البشرية التى خطته وأظهرته !! ..

ان من يسمع مثل هذا الاعتراض على التعليم الكتابى ، تبرز أمامه ولا شك عدة أسئلة ، وأولها أى اله هذا الذى لا يستطيع أن يعلن رسالته الى العالم محررة من الخطـأ !! ؟ انه لابد أن يكون مقيدا ومحدودا ، فاذا كان بيننا من يستخدم بين الحين والآخر ، كاتبا من كتاب الاختزال ، وهو سعيد بهذا الكاتب الذى ينجز عمله صحيحا مضبوطا ، فاذا تبين على العكس من ذلك ، أنه يخطىء ، وأن أخطاءه متعددة ، وتبهم أو تشوه ما يقوم به من أعمال ، فانه ولا شك يعمل على تغييره ، .. فاذا صح أن الانسان يفعل هذا متى تبين وجه الضرورة فيه ، فهل يكون الله أقل من البشر وأعجز عن أن يفعل ذلك ، واذا كنا نملك أن نستأجر من نشاء ، ليقوم بالعمل الذى نريده ، على أفضل وجه ، فهل يكون الله أقل قدرة منا على ذلك !! ؟ وهل لا يملك الله وهو يقدم رسالته المكتوبة الى الجنس البشرى ، هل لا يملك أن يفعل ذلك ، دون أن تشوه هذه الرسالة بالأخطاء الفاضحة !! ..

ان من الواجب أن نتأمل مليا هذا السؤال ، اذ يقولون ان الله يستخدم الوسائل لاتمام غرضه ، وان هذه الوسائل بشرية ، فاذا كان وهو يعلن كلمته يستخدم كتابا بشريين بما يتسمون من خصــائص ، ومنها الخطأ ، والجهل ، والفجاجة ، تعين أن نسأل أى اله ضعيف وفقير هذا الذى يعترض طريقه الانسان ، وهل يستحق مثل هذا الاله أى معرفة أو اجلال !! ؟

ان مثل هذا الاله ، ان صح أنه محدود بالواسطة البشرية التى يقدم بها كلمته ، قد يكون الها ، ولكنه ليس الاله المعروف فى الكتاب المقدس ، انه يمكن أن يكون الاله الذى يخدم اللاهوت العصرى . ولكنه قطعا ليس الاله الواحد الحى الحقيقى خالق السموات والأرض . واذا صح أنه كذلك .. والشكر لله أنه ليس كذلك .. فان الآب السماوى الذى يستطيع الانسان أن يحد قدرته وسلطانه فى اعلان كلمته ، ليس فى أفضل الحالات الا كائنا محدودا نظيرنا . قد يكون أكثر قدرة . غير أن هذا الفرض فى حد ذاته ما يزال موضع التساؤل . .. واذا كنا نملك كبشر تشويه الاعلان باخطائنا .. فان الاله الذى يمكن أن يحد بخلائقه هذا الاله ، لايمكن أن يكون الها على الاطلاق !! ..

ما أبعد الفرق بين هذا الاله والاله الذى يتكلم عنه الكتــــاب المقدس ، الاله الذى يعبده المسيحى كالخالق والذى يصنع ما يشاء : « ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل » دا ٤ : ٣٥ والمذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم ، ويستطيع حمل الكتاب الذى يكتبون على الكتابة بما يشاء أو يريد على أكمل وجه من الدقة والانضباط ، هذا الاله الذى فى قدرته اللانهائية يستطيع أن يستخدم الأداة البشرية الساقطة بكل ما تملك من هبات ووزنات وخصائص لتكون القلم الذى

يكتب كلمته ، وفى الوقت نفسه يعزل هذه الكلمة ، ويصونها من كل خطأ ، قد يتسرب اليها من الطبيعة الخاطئة للكاتب البشرى الذى يقوم بكتابتها !! ..

وثمة أمر آخر يمكن أن يثار اذ أن الذين يعتقدون بأن هناك أخطاء فى الكتاب ، وأن هذه الأخطاء المزعومة ترجع فى أصلها الى قصور الكتاب البشريين ، وما دام هؤلاء الكتاب قاصرين ، فلابد وأن يتناول القصور الكتاب أيضا ، واذا صح هذا الزعم فان القصور ، لا يتناول أجزاء من الكتاب فحسب بل يتناول الكتاب كله ، لأن كلمة الله وقد وصلت الينا جميعها خلال الأداة الانسانية القاصرة ، وكل مايمر خلال القاصر ، على حد زعمهم ، لابد أن يكون قاصرا ، ومن ثم فلا مهرب من النتيجة أن الكتاب كله أضحى قاصرا ، وليس مجرد المزاعم التاريخية أو الجغرافية على حد تصورهم !! .. والقول بغير ذلك ، فيه مجافاة واضحة للمنطق ، .. ان الخطأ المزعوم يفرض احتماله فى هذه الحالة على كل الأجزاء فى الكتاب ، ويكون شأنه شأن الغبار الذى ينتشر فى الجو ، ولا يستطاع رفعه وازالته !! ..

قد يقول البعض ، ولكن هذا القصور لم يدر بخلد الكتاب العصريين اذ لم يقولوا بشىء مثل هذا !! ؟ ليكن ، غير أن هذه هى النتيجة المنطقية المحتومة ، سواء أرادوا أو لم يريدوا ذلك ، وعلى الكتاب الذين وصموا الكتاب بهذه الوصمة أن يتحملوا نتائج زعمهم ، وعليهم أن يدركوا أنهم بذلك لم يتمكنوا من حل المشكلة ، فى حد ذاتها ، بل على العكس ، خلقوا مشاكل أقسى وأفدح وهم لا يدرون ..

فاذا ضربنا مثلا على سبيل القياس ، .. كم نشعر بالنقص اذا ذهبنا الى بيت دخله الموت ، وكم نحس أن مجرد الكلمات البشرية

الصادرة منا فى حد ذاتها تافهة وضعيفة ، وكم تضيق قلوب المحزونين باللغة البشرية التى لا تستطيع أن تردد الا كلمات جوفاء ركيكة بغير معنى أو مداول ، .. فهل لا يملك الانسان أكثر من ذلك ، فى المواساة والتعزية !! ؟ .. اذهب الى صفحات الكتاب واقرأ : « أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الأبد » .. يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ .. والسؤال الذى يسأله المحزون : هل هذا حقيقى !! ؟ وهل أخذ المسيح حبيبى ليكون معه !! ؟ ونحن نجيب هذا حقيقى ، غير أن هذه الكلمة ، كأى كلمة أخرى فى الكتاب ليست مؤكدة العصمة ، ويمكن أن يحف بها النقص والخطأ !! ..

هل اذا جاء الجواب على هذه الصورة ، يكون مريحا ومعزيا ، أم يكون سخرية ما بعدها سخرية بالمتكلم والسامع معا ، ولكنهـا الحقيقة المفترضة والتى لا معدى منها ، اذا كان الكتاب المقدس غير معصوم . فلن يكون هناك يقين البتة سواء كان الحديث عن الله أو عن الأسس والمبادىء الأخلاقية التى نعيش بها على هـذه الأرض ، بل ستكون النتائج المخيفة المترتبة على هذا التصور ، بغير حدود أو نهاية ، اننا لا يمكن أن نعطى الجواب على هذه الصورة . اذ ان أصحاب الفكرة نفسها ليسوا على استقرار فيما يقولون ، وليس لنا أن نساير منطقا يمكن أن يقود الى مثل هذا التخبط ، .. ان رأينا الذى نحمد الله عليه ، ان كلمته المباركة لا يمكن أن تكون ناقصة ، وهى تجتاز الأداة البشرية الناقصة ، اذ ليس لهذه الأداة مهما كان شأنها ، أن تحده جل جلاله أو تحيط به ، بل على العكس تخضع له تحت سلطان روحه ، وتتمم مشيئته كاملة وعلى وجه دقيق منضبط !! ..

بل وأكثر من هذا ، اذا كان الكتاب البشريون الذين أعطوا كتاب الله غير معصومين ، فكيف لنا أن نتأكد ، ونحن فى الغالب نظيرهم غير

معصومين . الصواب من الخطأ عند دراسة الكتاب وابداء الرأى فيه !!؟ ربما الجواب أن تزايد المعرفة قد أعان على كشف أخطاء الكتاب القدامى ، الذين لم تكن لهم درايتنا الحالية فى الجغرافيا والتاريخ . فاذا جانبوا الصواب فانه يمكن ردهم الى الحقيقة بمعرفتنا المتزايدة . .. غير أن هذا مع ذلك لا يعطى الحل . اذ يبقى الكثير من الكتاب مما لا يسهل فحصه . .. وماذا نعمل تجاه هذه الأجزاء التى لا تفحص . وكيف يمكن أن نعزل أو نفصل بين الصواب والخطأ فيها !! ؟ ..

ولنأخذ على سبيل المثال ما يقوله الكتاب عن فلسطين وأورشليم . وهما مكانان قائمان يسهل الذهاب اليهما ، ومطابقة ما فيهما على الكتاب ، كما أن الكتاب يتحدث عن عادات معينة قديمة . كزواج ابراهيم من هاجر جاريته ، وانجاب ابن منها ، وقد كشف علم الآثار أن مثل هذا كان يحدث عادة فى أيام ابراهيم . ومن ثم فهو صحيح . لكن كيف تتوصل الى ما لا يمكن فحصه وادراكه ، .. وكيف نستطيع ادراك اله الكتاب ، وكيف يمكن أن نعزل الحنطة من التبن فى التعاليم الخاصة به !! ؟ .. هنا المنطقة التى لا سبيل على الاطلاق فى الوصول الى كنهها . واذا لم يكن الكتاب معصوما فمن المحتمل أن ما يعلمه عن الله هو أيضا بدوره غير معصوم ، ولا سبيل لنا لمعرفة الصحيح من الخطأ على هذا المنوال ، واذا كان الانسان معرضا للخطأ ، فكيف له أن يحكم على الكتاب ، واذا كنا لا نستطيع الحكم على الكتاب ، فنحن فى الواقع أمام مأساة اللاأدرية اليائسة ، ويمكن القول بأن المعرفة الحديثة لم تعجز فحسب ، عن فصل التبن عن الحنطة ، بل أنها أكثر من ذلك لم تفعل شيئا على الاطلاق ، .. ان السبيل الوحيد للنجاة من هذا كله . ليس الا فى الايمان بالكلمة المعصومة من الله . .. فاذا لم يكن الله قادرا على اعطائنا كلمة معصومة ، فليس لنا من بديل على

الاطلاق . ونكون فى هذه الحالة ، ازاء كتاب ملىء بالأخطاء . نحاول أن ننتقى أفضل ما فيه ، ومهما تكن النتيجة مروعة وقاســـية ، فانها النهاية التى لابد من الوصول اليها ، فى النهج الذى يسلكه العصريون فى هذا السبيل !! ..

ولعل هذا يقودنا الى نقطة أخرى فى مواجهة الزعم بأن القصور البشرى يمنع عصمة الكتاب المقدس ، اذ أن المنادين به فى أغلب الأوضاع ليسوا على حال واحد من الاستقرار ، اذ عندهم . كما يقولون ، بعض أجزاء الكتاب ، نقية ، وحقيقية ، وعلى سبيل المثال الوصـــية بمحبة الأعداء والتى يقبلها اللاهوتيون العصريون ، ويؤكدون أنها كلمة الله الواجبة الطاعة ، على أنهم بهذا القول . يهدمون وهم لا يدرون . القاعدة التى بنوها ، لأنه اذا كان من الممكن أن يأتى ولو جزء واحد من الكتاب نقيا ، ومعصوما ، وموثوقا به خلال الأداة البشرية الساقطة ، فانهم بهذا يعترفون بامكانية مجىء المعصوم من غير المعصوم ، دون أن تؤثر فيه الأداة البشرية الساقطة ، .. أجل انه حق مبرأ من الخطأ . وجدير بالثقة والاعتماد ، والواجب الصحيح أن نحب أعداءنا ، .. على أنه اذا جاز أن يكون هذا الجزء من الكتاب صحيحا ، وهو يجتاز الأداة البشرية الناقصة . فلماذا لا يكون غيره من أجزاء الكتـــاب كذلك . .. أما أن يقصر الأمر على البعض دون الآخر ، فهو طرح للقضية بكاملها ، .. فاذا كان من الممكن صـــيانة بعض الأجزاء . وحفظها من النقص ، فمن المؤكد امكانية حفظ غيرها ، .. بل ان الأمر يتجاوز ذلك كثيرا ، فاذا كانت الانسانية لمجرد أنها انسانية قاصرة ، يمكن أن تعطل الاعلان الالهى ، عن أن يصل الينا ســـليما مبرأ من التشويه ، فماذا نقول عن يسوع المسيح !! ؟ .. لقد كان انســـانا حقيقيا ، فهل الانسانية لمجرد أنها انسانية ، يلزم أن تكون قاصرة ، ..

فهل يمتد القصور الى يسوع المسيح ، •• لو صح هـذا الفرض ، واقترب القصور منه ، •• فانه حاشا له أن يكون مخلصنا الكامل الذى عرفناه !! ••

وعلينا أن ندرك أنه لا مهرب من هذه النتيجة ، ولا حق لاحد من استثناء المسيح سيدنا ، اذا كان مجرد الانسانية يستلزم بالضرورة مثل هذا القصور ، فهل جاء المسـيح قاصرا ، وهـل يمكن قبول النتيجة المحزنة المترتبة على مثل هذا الفرض التعس ، •• واذا كان سـيدنا ، بحسب الطبيعة البشرية ، خاضعا لمثل هذا القصور الضرورى ، فانه لا يمكن أن يكون نفس الشخص وعلى الصـــورة التى نسبها الى نفسه . واذا فهو قابل للخطية . ولا مهرب على الاطلاق بأية صـورة من القصور من هذه النتيجة ، واذا كان يسوع المسيح خاطئا ــ اذا أن القصور نتيجة الخطية ــ فلابد من مواجهة النتيجة ، انه ليس هو ، ولا يمكن أن يكون ، السيد الذى عرفناه مخلصا لحياتنا ، •• وحاشا أن يكون الأمر كذلك ، •• فى الواقع أن هذا الفرض لا يمكن قبوله ،•• ونحن نعبد الها قادرا على صيانة اعلانه ، خلال الأداة البشرية القاصرة التى يمر بها ، من كل نقص أو تلوث بشرى ، •• كما أنه هو الاله القادر الذى فى شخص ابنه أخذ الطبيعة البشرية دون أن تمسها الخطية ، ومع أن القصور والخطية قد تسللا فى الانسان الى هذه الطبيعة لكنهمـــا ليسا أصلا من خصائصها الذاتية .

قد يقال فى بعض الأحايين ، ان الأمر اذا أخذناه من الوجهـــة المنطقية ، لا يمكن أن يقبل ، اذ أن الله لا يمكن أن يعطى اعلانا معصوما خلال أداة بشرية غير معصومة ، فاذا كان الانسان غير معصوم ، وهو الأداة البشرية الوحيدة التى يمكن أن يمر بهـا الاعلان ، فان مجرد

المنطق يستتبع أن هذا الاعلان يمكن أن يأخذ حصته من ذلك ، .. وتكون المنازعة حول الأمر مرفوضة منطقيا !! ..

والسؤال هل الأمر حقيقة مرفوض منطقيا ، ومع أن التهمة ثقيلة ، وتقوم أساسا على قدرة الانسان فى تكييف اعلان الله أو التأثير فيه ، عندما يمر به ، لكن السؤال مع ذلك يبقى قائما ، هل هذا فرض تعززه الحقائق !! ؟ وهل يمكن للانسان أن يقيد اعلان الله !! ؟ وهل الله المعلن خاضع للانسان !! ؟ ... ان هذا الفرض يعد حسب الكتاب المقدس باطلا تماما ، ولا أساس له من الصحة ، اذ أن الله حسب الرواية الكتابية خلق الانسان على صورته ، والانسان لذلك خاضع لله ومعتمد عليه ، والله من الجانب الآخر مستقل عن الانسان ، وغير معتمد عليه : « لأن منه وبه وله كل الأشياء » رو ١١ : ٣٦ !! ..

ان الانسان خاضع بالتمام لناموس الله ، وقد خلق الله الانسان ، وان كان قد خلقه محدودا ، الا أنه لم يخلق ساقطا . وقد أخطأ آدم وجلب الخطية على الجنس البشرى كله ، والانسان بهذا المعنى خليقة خاطئة ، وكخاطىء ، قابل للسقوط . ولكن الله الكلى القدرة كخالق مسيطر على خليقته يستطيع فى صلاحه وجوده أن يضبط ويصون كتاب الكتاب المقدس ، فيكتبون الاعلان الالهى وفق مشيئته تماما ، .. والأمر فى واقع الحال يتكيف على قدر تصورنا الصحيح لله ، وكل شىء سيبدو صحيحا على قدر رؤيانا الصحيحة لله ، فاذا رأيناه جل جلاله يضبط كل شىء ، ويسيطر على كل شىء ، رأينا العقيدة الكتابية السليمة ، .. حتى وان كانت سرية ، وعالية على الفهم ، لا يمكن أن توصف بأنها غير منطقية !! ..

ولعل هذا يقودنا الى السؤال الأساسى فى الفكر الحديث عن

الكلمة الالهية !! •• وماذا فى ذهن اللاهوتيين العصريين وهم يتكلمون عن كلمة الله !! ؟ •• ومن هو هـذا الاله الذين يهتمون بكلمته بمثل هذا الاهتمام !! ؟ ربما يبدو من الصعب ادراك كنهه ، اذ هو فى الواقع حسبما ينتهون اليه ، مخلوق على صورة الانسان ، وليس هو الاله المثلث الأقانيم الذى يحدثنا عنه الكتاب المقدس !! •• ان السـؤال فى حقيقته وجوهره ، سؤال عن الله •• من هو الهنا !! ؟ وهل نحن تابعون للملك أم نحن منحنون لبعل !! ؟ ولسنا نستطيع على الاطلاق أن نتكلم بروية وحسن ، عن الكلمة التى تخرج من فم الله ، قبل أن ندرك أننا أولاد الله ، ونتعرف عليه كالهنا الحى الوحيد الحقيقى !! •• أما الاله الآخر الحديث ، صنعة البشر ، فانه يحيـا ويحكم فى مدينة الهلاك . ولا شأن لنا به ، اذ قد انقذنا منه ، ومن حكمه ، الاله الحكيم الوحيد سيدنا ومخلصنا ، اله الكتاب المقدس !! ••

ولا يجوز لنا أن ندرك من هذا النقاش كله أننا نعتبر الكتـاب المقدس نتاجا مشتركا بين الله والانسان ، ولم يقل الكتاب شيئا من هذا لقد كان هناك ولا شك كتاب بشريون للكتاب ولكن ليس معنى ذلك أنهم مؤلفون مشـــتركون مع الله . اذ ليس الأمر أن الله كتب بعض الأجزاء . وأضاف الانسان اليها أجزاء أخرى ، أو أن الانسان كتب أغلب الأجزاء . وجاء الله وأضاف ما أضاف الى هذه الكتابة ، أو أن الله والانسان عقدا مجلسا للتشاور فيما ينبغى أن يكتب فى الكتـاب المقدس . •• كلا لم يستشر الله الانسان فيما يكتب ، اذ أن الكتـاب هو بالحقيقة كلمة الله وبدون الله ما كان للكتـاب المقدس أن يظهر ، وقد كان من الممكن أن يخرج الكتاب حتى بدون الانسان ، اذ أن الله قادر على أن يعطى كلمته بالطريقة الخاصـة التى يشاؤها ، وقد اختار فى الواقع الانسان ليتمم هذا العمل ، وان لم يكن مجبرا على ذلك ..•

وهو ليس الاله المحدود بأية صورة من الصور ، .. وقد شاء فى نعمته وجوده أن يختار كتابا بشريين لكتابة كتابه ، ومن الواجب أن نعظمه ونمجده ، لأنه كرم الجنس البشرى ، اذ استخدم أناسا خاطئين ليكتبوا كتابه النقى المقدس ، ومع أن المؤلفين البشريين كانوا فعلا مؤلفين حقيقيين لكنهم لم يكونوا الأصحاب الأصليين للكلمات والأفكار التى جاءت فى الكتاب ، كانوا رجالا مقدسين حقا ، ولكنهم كانوا الرجال المقدسين والمحمولين بروح الله !! ..

والسؤال الذى قد يسأل هل كان هؤلاء الرجال معصومين حتى ولو فى الأوقات التى لم يكونوا فيها محمولين بالروح !! ؟ فى الواقع ان الكتاب المقدس لا يعلم شيئا من هذا القبيل ، اذ أنهم كانوا ابناء عصرهم ، وكانت معلوماتهم ، عن الفلك مثلا ، لا تتجاوز اطلاقا معلومات معاصريهم . ومن الجانب الآخر . كانوا حملة أقلام الروح القدس ، الذين استخدمهم روح الله فى اعلان كلمته . وما سطروه من أفكار ، كان اعلانا من الله لهم . اذ أخضع الله عقولهم لروحه ، وليس يجدى القول انهم كانوا لا يستطيعون الكتابة عن الخليقة بالأسلوب العلمى المنضبط . لأنهم كانوا لا يعرفون علم الفلك الحديث ، اذ أن موسى كان من الممكن أن يعطى تصويرا أخرق عن الخليقة لو أنه أخذ منبعه من الحكمة المصرية . كما كان من الممكن أن يكون الأصحاح الأول من سفر التكوين أدنى الى الخيال البابلى الأحمق فى الخرافة والتشويه ، لو أنه استقى وحيه من صميم ذاته أو أفكاره الخاصة ، لكن موسى وهو يكتب هذا الأصحاح . لم يكن يستلهم فكره أو مشاعره ، بل كان يتلقى اعلان الله فيه . كان حامل القلم الموحى اليه من الله ، .. ومع أننا لا نعلم ماذا كان يجول فى أفكاره عندما كتب . لكنه كان يكتب ولا شك تحت احساس الانسان المسئول ، وكان

يعلم أن هناك أغوارا بعيدة يسطرها دون أن يصـــل الى قرارها وعمقها !! •• ومع أننا لا نعلم كيف جلس ليكتب ، أو كيف كان يجمع مواد الكتابة ، أو هل كان يكتب ، ويمحو ، ويهذب ، أو ما الى ذلك الا أننا نعلم شيئا واحدا أن ما انتهى اليه من الكتابة ، كان هو الحاصل النهائى الكامل من الحق الذى أراده الله أن يعلن ، كان كلمة الله !! ••

وما من شك بأن موسى كتب فى أوقات أخرى ، وقال ، وعمل أشياء كثيرة ، ولكنها لم تكن معصومة أو محررة من الخطأ ، شـأنها فى ذلك شأن أفضل الكتابات أو الانجازات التى جاءت من الانسان البشرى ، فهو لم يكن فى كل وقت مبرأ من الخطأ ، الا فى الوقت الذى كان يستخدمه الله لكتابة الوحى المقدس ، •• ومثل هذا ينطبق أيضا على غيره من الكتاب ، ومن ثم فانه من الحماقة أن يتصور ريماريوس ، أن بعض الكتاب كان لا يجوز أن يكونوا من حملة الوحى نسبة الى الخطايا التى ارتكبوها فى حياتهم ، •• اذ أن الله لم يعط كتابه للبشر ، عن طريق رجال معصومين من الخطية ، •• كانت حياة داود ملطخـة بالخطية ، ومع ذلك كتب أروع المزامير التى أعطاه الله اياها ، كان موسى قاتلا ، •• وكان بولس مضطهد الكنيسة ، ولكن الله اختارهم وغيرهم كتابا للوحى ، ولكن ليس معنى ذلك أن الله كان لا يبالى أو يقلل من خطاياهم ، بل على العكس كان ذنبهم أمامه قاسيا ، كما لم تكن كتاباتهم الأخرى ، وهم غير محمولين بالروح القدس ، كتابات معصومة أو مبرأة من الخطأ ، •• اذ كانت تخضع للخطأ الذى يخضع له سائر الناس ، لكنهم كانوا فقط معصومين عندما حملهم الروح ليكتبوا الكتـاب المقدس !! ••

فى سفر صموئيل الثانى كتب داود مكتوبا الى قائده يوآب ، ٢ صم ١١ : ١٥ ، وكان هذا المكتوب كما نعلم مكتوبا شائنا مخزيا ، ومن

المحزن أن الرجل الذى كتب أروع المزامير يكتب فى هذا المكتوب : « اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت » .. وقد بقى هذا المكتوب لطخة سواء فى حياة داود . وكان عندما كتبه دون أدنى شك بعيدا عن الوحى فى العمل الشائن ، اذ لم يكن سوى خدعة قصد بها القضاء على أوريا البرىء تغطية لخطيته ، ولا يمكن أن يقال البتة ان داود كتبه تحت عمل روح الله وسلطانه !! ..

على أن السؤال قد يأتى لهذا السبب من جانب آخر ، اذا كان الوحى لا يمكن أن يسجل الا الكتابات التى يسيطر عليها روح الله ، فلماذا جاءت صورة هذا المكتوب فى الكتاب المقدس !! ؟ والجواب على ذلك أن كاتب سفر صموئيل كان لابد أن يضمن سفره هـذا المكتوب حسب الوحى ، ومع أن المكتوب فى حد ذاته كان مكروها أمام الله ، كعمل من أعمال داود ، ولا يرضى الله عنه ، الا أن الله أراد أن يضمنه السفر المقدس ، كصورة للعمل القبيح الشرير الذى يغضب الله ، وتسجيل الواقعة على وضعها الدقيق المنضبط ، فى الوحى الالهى ، لا يعنى بحال ما الرضى الالهى عليها !! ..

ويمكن أن نقول آخر الأمر بكل يقين ، ان كتاب الكتاب المقدس كانوا يتلقون الوحى فقط وهم يكتبون أسفاره الالهية المقدسة . أما فيما عدا ذلك ، فقد كانوا أبناء عصورهم يخطئون فيما يخطىء فيه غيرهم من الناس ، .. ولم يحفظهم الوحى من أن يكونوا من طينة أخرى غير طينة البشرية ، أجل وهذه العقيدة فى الوحى رائعة جدا ، وهى من أروع ما يعلمه الكتاب عن نفسه ، .. ويمكن اجمالها فى القول ان الكتاب المقدس كلمة الله ، وفى الوقت نفسه هو عمل الناس ، .. وعندما كتب ، لم يكن يكتبه الكتاب بقوتهم الخاصة أو تحت املاء

الظروف العادية التى أحاطت بهم ، •• بل لقد أولاهم الله ذلك الشرف الذى ارتفعوا اليه بما يكتبون ، كما أنه رقى بهم فوق المستوى العادى للاختبار البشرى فى اللحظات التى كانوا فيها يكتبون ، وضبطهم وصانهم عن الزلة والخطأ فيما يكتبون . وكانوا بالحقيقة تحت سلطان الروح ، على نحو عظيم ونادر لم يعرفه فى الجنس البشرى سوى تلك القلة المتميزة من بنى الانسان والتى يطلق عليها « كتاب الكتاب المقدس » •• !!

ان الكتب المقدسة كاملة ، اذ هى صادرة من الله وروحه ، حتى وان عجزنا عن ادراك أسرارها

ايرانيوس

كلمات الأنبياء هى كلمات الله

ثاوفيلس الأنطاكى

ان شهادة الانجيل هى أقوال الرب ، وهى أقوال كالفضة الممحصة سبع مرات فى النار

أوريجانوس

# الفصل الرابع

# بعض الخواطر عن الوحي

لم يكن الحديث الذى ألمعنا به فيما سلف الا محاولة واضحة مبسطة لما يذكره الكتاب المقدس نفسه عن الوحى ، وقد يكون هناك قليل من الخلاف الجدى ، حول ما اذا كان الكتاب المقدس ينادى فعلا بعقيدة الوحى اللفظى ، غير أنه لا شبهة على الاطلاق فى أن ما تناولناه آنفا ، لم يكن الا التركيز الخالص لما يعلمه الكتاب عن هذه العقيدة ،.. والواقع أن الاعتراض عليها ليس فى حقيقته ، الا اعتراضا على الكتاب نفسه ، وليس هذا بالمستغرب عند أعداد كثيرة من العصريين ، ممن لا يريدون لأفكارهم أن تقاد بكتاب الله ، .. قد يتفقون معنا ، ان عرضنا للعقيدة كان سائغا وسليما ، غير أنهم مع ذلك يحتجون على العقيدة نفسها ، .. وقد يكون لهم الكثير مما يثيرون من اعتراضات ، وسنبذل الجهد فى تناولها والرد عليها ، ولن يكون جهدنا فى هذا المجال عقيما أو ضائعا ، اذ أنه فضلا عن وقوفه فى وجه التيارات النقدية للعقيدة الكتابية السليمة عن الوحى ، فانه أكثر من ذلك سيعين على وضوح الرؤيا لمن يدرس هذه العقيدة بتأمل وامعان ، .. وها نحن نتابع هذه الأفكار فيما يلى !! ..

قد يكون من السياسة عند البعض أن أفضل طريق للهجوم على شىء ، الادعاء بعدم أهميته وجدواه ، ولعل هذا ما يفعله بعض الكتاب، وهم يتناولون عقيدة الوحى اللفظى ، .. وتقوم نظريتهم على أن

النسخة الأصلية من مخطوطة الكتاب لم تعد موجودة بعد ، ولا يستطيع أحد الرجوع اليها لفحص النص فيها ، كما أن الله نفسه لم ير ضرورة فى الاحتفاظ بها ، والابقاء عليها ، .. والباحث فى الكتاب اذا أراد أن يسلك نهجا علميا فى البحث . عليه فى الوقت الحاضر الرجوع الى النصين الأصليين فى اللغة العبرانية واليونانية من النسخ الحالية ، كما أن القارىء المتعبد يمكنه أن يقنع بالترجمة التى بين يديه دون الحاجة الى النص الأصلى ، وليس هو فى حاجة فى تعبده ، الى شرط النص الأصلى الموحى به والمعصوم ، ولن تمتنع عليه البركة التى تأتيه من درس الكلمة الالهية ، على فرض وجود أى خطأ فى الأصل ، ومن الحماقة أن يقال انه لن يحصل على هذه البركة الا من أصل مبرأ من الخطأ !! ..

والسؤال الذى يمكن أن يثار هنا ، هل نعتبر العقيدة فى أصل مبرأ من الخطأ عقيدة غير هامة حقا !! ؟ ان أبسط تفكير يجعل العكس صحيحا ، .. لأنه اذا افترضنا أن الله أعطى الكتاب المقدس باعلان خاص . فما هو الفكر الأساسى الذى يمكن أن ينهض من وراء ذلك !! ؟ اذا كان هذا الكتاب قد جاء كنفخة من فم الله !! ؟ أفليس غريبا بعد ذلك أن يقال ان الوقائع الواردة فيه . تباين الحقيقة !! ؟ ان السؤال على هذا الوضع يحمل معه جوابه !! .. وهو جواب رهيب : فى حد ذاته ، اذ يضع فى الحقيقة صدق الله نفسه فى مكمن الخطر !! ..

من أشد ما يؤذى الشعور والاحساس عدم الدقة والانضباط ولو فى أصغر الأمور : فاذا تلقيت خطابا مليئا بالأخطاء التافهة والهجاء غير الصحيح ، فانه ولا شك سيؤذى مشاعرك كقارىء ، ويعكس فى ذهنك أقدح الصور عن كاتبه ، وارساله على هذه الصورة يقع معيبا من نواح متعددة ، ونحن أحرص مايكون عند كتابة أى خطاب أن يجىء صحيحا من كل وجه ، سواء فى الاملاء أو التعبير الدقيق الخالى من التكرار

واللغو ، .. ونعتقد أن أى انسان لا يكلف نفسه المشقة فى الكتابة على هذا المنوال ، اما أنه غبى أو جلف ، ولا يستحق أدنى الاحترام اذا دأب على ذلك !! .. ومن المتصور أن يغتفر مثل هذا العمل اذا صــدر عن أمى ، أو محدود الفهم ، ولكنه لا يمكن تصوره ، اذا صــدر عن عالم راسخ فى علمه !! ..

نحن نقول ان الله أعلن كلمته لنا ، فهل فكرنا ماذا يعنى هذا عندما تأتى هذه الكلمة حافلة بأخطاء تافهة ومؤذية !! .. وهل لا يستطيع الله الكلى المعرفة والقدرة أن يعطى مثل هذه الكلمة خالية ومبرأة من كل خطأ !! ؟

وهل يكون كريما أن ننسب الى الله أن الكلمة التى صــدرت من فمه مشحونة بالخطأ !! ؟ .. ان هذا الأمر ليس بالكريم البتة اذ ينسب الى الله ، بل هو فج ومعيب ، ومن الصعوبة بمكان اجلال أى اله يكون على هذه الصورة ، بل كيف نعبده ونثق بمن يعجز عن أن يعطى كلمة غير موثوق بها للجنس البشرى ، .. ان هذا الأمر يدخلنا فى الواقع الى لب الموضوع ، لأنه اذا كانت الكلمة الالهية التى ترجع الى نفخة الله ، لا تخلو من الخطأ ، فان النتيجة اللاحقة لذلك بداهة ، انه هو لا يخلو من الخطأ !! ..

يقول الله عن كلمته انها نقية ، فاذا حف بها الخطأ ، فمعنى ذلك أننا أدرى منه ، وانها ليست نقية ، .. يقول هو ان أحكامه بارة ، ولكننا ونحن أدرى نقول انها مشوبة بالخطأ ، .. فاذا كان المؤلف الذى صدر عنه لا يخلو من الخطأ ، فمعنى ذلك انه لم يقل الحق فى كلمته ، واذا أمكن أن نتصور أن الكلمة الخارجة من فمه تحتوى على أخطاء ، فمن المتصور أنه يخطىء ، وحاشا لله فى ذلك ، .. اننا نعتقد بكل يقين أن

النص الأصلى الذى صدر عنه معصوم من كل خطأ ، للسبب البسيط أنه قد صدر منه مباشرة !! ••• ومع ذلك لا يشترط أن تكون الآية المعصومة وحدها نافعة للتعبد المسيحى ، أو لمن تقتصر عقيدتهم على هذا المبدأ ، فما أكثر ما جاءت الآلاف من بنى الانسان ، وعرفت حق الله ، ونالت الحياة الأبدية ، قبل أن تتعرف بعد على الكلمة المعصومة ، •• واذا درس الانسان الكلمة فى الترجمات المختلفة ، فانها يمكن أن تعينه على اختلافها فى الحياة المسيحية العميقة ، حتى ولو لم تكن له أدنى دراية بالنص الأصلى المعصوم !! ••

على أن الدارس المتعمق ولا شك يرغب ما أمكنه السبيل الرجوع الى النص الأصلى ، ولقد ذكرنا سابقا ، اننا اذا كتبنا الى رئيس الجمهورية ، وجاء الرد ، ومن فرط الفرح والسرور بالرد ، أمليناه على مجموعة من الناس ، فقد يتعرض الناسخون للاغفال أو الخطأ ( ولا يتصور أن ننسب الى الأصل الخطأ مهما كان يسيرا ) كما أننا لا نقبل الاستمرار فى خطأ الناسخين ، بل نجتهد فى المطابقة بين النسخ ، حتى ولو لم نعثر على الأصل الأول ، لتخرج النسخ مطابقة تماما للأصل الصحيح ، ومن الثابت أن الاختلاف بين كافة النسخ محدود ويسير ولا يؤثر بحال ما فى الجوهر ، حتى أن القارىء يمكنه التعمق فى الفهم الكتابى والحقائق الالهية ، من أية نسخة موجودة الآن بين الناس ، والاستقراء الدائم للكتاب فى مختلف النسخ ، يؤكد وحدته ، ودقته ، وصحته ، بكيفية تعلو على أية منازعة أو جدل ، كما يؤكد أنه : « نافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر » •• ( ٢ تى ٣ : ١٦ ) •• وبعد هذا كله لا نملك الا أن نعود الى اليقين ، بأن النص الأصلى لكلمة الله ، والذى صدر من فم الله ، معصوم ، وأن أى تهاون ، فى قبول هذه النتيجة ، لا يضع الكتاب نفسه فى خطر ، بل أكثر من ذلك يضع الله ذاته فى كرامته وصدقه ومجده فى أدق المواضع ، •• ان

تصور أن النص الأصلى لكلمة الله خاطىء وغير معصوم يعنى أن الكلمة التى خرجت من فم الله ليست كاملة ، وان اله الحق نفسه مدان بالذنب ، واذا كانت كلمة الله باطلة ، وهو مدان بالبعد عن الحق ، فانه ينبنى على ذلك النتيجة التى لا مهرب منها ، وهى أن الديانة المسيحية ديانة باطلة ،.. ومن ثم فان المسكين بالعقيدة الكتابية السليمة فى الوحى ، يعتبرونه من أهم الأمور عدم التزحزح قيد أنملة ، عن اليقين بسلامة النص الأصلى وبعده الكامل عن أى خطأ أو تحريف !! ..

وفى الوقت عينه لابد أن ندرك تماما ، أنه اذا جاز التصـــور أن هناك أخطاء حقيقية فى الأصل الكتابى فانه يستحيل تحديد هذه الأخطاء وما أولها وما آخرها ، فاذا جاز أن الله يخطىء فى نقطة ما فى كلامه ، فمن يدرينا أنه على صواب فى الأخرى ، واذا تجاوز الحق مرة واحدة ، فمن الممكن أن يفعل ذلك مرة أخرى ، واذا غفا وهو أصل كل حق عن أمر ما من الأمور الصغيرة ، فمن يدرينا أنه لا يفعل ذلك فى الأمور الكبيرة ،.. والنتيجة لا مهرب منها ، ومهما يزعم الزاعمون بضآلة الأخطاء التاريخية أو الأثرية المتصورة والمنسوبة الى الكتاب ، فان الحق الذى لا مراء فيه أن تجاوز الله عن الحق فى مثل هذه الأمور ، حتى ولو ضؤلت ، لا يمنع من تجاوزه الحق ، فيما يتكلم به عن ذاته ، وحاشا له أن يفعل ذلك ،.. ويبقى أن نسأل مرة أخرى : وهل هذا أمر تافه ويسير !! ؟ .. محـــال وألف محال !! .. اذا أورد الأصل الكتابى ، خطأ مهمـــا يكن شأنه فى الحقائق والوقائع ، فمعنى ذلك أن كلمة الله لايمكن أن يوثق بها ، وأن الله جل جلاله لايمكن أن يوثق به ، وأنه ليس لنا مقياس البتة ، فيما هو صادق من أقواله أو غير صادق ، واذا جاز أن الله لا يهتم بالحق فى الأمور التى يتصورون أنها ضئيلة الشأن ، فمن ذا الذى يدرينا اهتمامه بالأمور التى يتصور أنها كبيرة ، .. واذا جاوز الحق فى أصغر الأمور فمن يعرف اذ كان يهتم بأى حق على الاطلاق !! ؟ واذا كان الله اله الحق ، فانه يكون

من الغريب أن يظهر الحق للناس على هذه الصـــورة ، وتكون الأخطاء المزعوم أنها تمس التاريخ أو ما أشبه ، والمقول أنها موجودة بالكتـــاب ترجع الى الكتاب البشريين الذين كتبوه ، وانها ليســـــت من اله الحق نفسه !! ..

ومن الغريب بعد هذا كله أن يزعم اللاهوتيون العصريون أن العقيدة المتمسكة بعصمة الأصل الكتابي لا يجوز لها أن تأخذ هـــذا القدر من الأهمية فى ذهن الناس ، واذا كان من الممكن للانسان البشرى أن ينال بركات الله قبل تعرفه على الكلمة المعصومة ، أو دون أن تكون له الدراية بالأصل المعصوم ، فانه يستخلص من هذا أن العقيدة لايمكن أن تكون على مثل هذا المستوى من الأهمية التى ينادى بها أصحابها ومعتنقوها ، وقد استطردوا فى زهو الواثق برأيه ، والمعتد بأفكاره ، الى القول ، ان عقائد الايمان المسيحى الكبرى قد أمكن استخلاصها من النسخ الموجودة بين أيدينا ، دون أن تتقيد الكنيسة بنسخة معينة معصومة ، فلماذا نشغل أنفسنا بهذه العقيدة !! ? واذا كانت النسخة الأصلية الأولى التى صدرت عن الكتاب غير موجودة ، فكيف يمكن معرفة ما كانت عليه !! ? ويدور اللاهوتى العصرى فى هذا كله بين أمرين ، اما الكف عن المناقشـــة فى الموضوع ، فاذا لم يكن من ذلك بد ، فلا بأس من التشـــكك ولو فى الأصل الكتابى ، الذى يراوده الخيال فى أنه لم يكن معصوما !! ..

ولعله من الملاحظة أن الآخذين بهذا الفكر يدفعون بحجة أخرى منتشرة، يحاولون بها مداورة الصعوبة فى التمسك بأصل معصوم ، وتنهض حجتهم على ربط الاعلان الالهى ، بالأعمال العادية فى العناية الالهية ، ولا يتورعون لذلك عن المقارنة بين الكتاب وسائر الكتابات الأخرى الرائعة التى ظهرت بين الناس ، وعلى سبيل المثال الالياذة والأوديسة للشاعر الاغريقى العظيم هوميرس ، ومع أننا هنا لسنا بصدد السؤال عما اذا كان الكتـــابان

المنسوبان الى الشاعر من عمله هو أو من عمل غيره ، الا أننا على أى حال أمام عمل عبقرى عظيم شاءت عناية الله أن تظهره للناس مهما يكن العقل الذى أبدعه ، من الجائز أن نقول بمعنى ما ، ان هـذا العمل قد أعطى للناس من الله ، اذ أن العبقرية العظيمة التى أبدعته ، كان من المستحيل أن تصل الى الذروة التى بلغتها دون المعونة الالهية ، بل لعله من واجبنا أن نشكر الله على الوزنات والمواهب ، التى تتيح للانسان أن يخرج مثل هذه الروائع أو الدرر بين الناس ، .. لكننا لا نستطيع فى الوقت نفسه أن نقول ان الشاعر الاغريقى تلقى كلمات الالياذة والأوديسة من الله ، ولا نستطيع أن نقول انه كتبها وهو محمول بالروح القدس ، كما لايمكن أن نرد الى الله أية خرافات أو أخطاء قد يمتلىء بها الكتابان المذكوران ، كما لا يعنينا على الاطلاق ان كانت النسخة الأصلية ممتلئة بالأخطاء ، أو اذا كان المؤلف شخصا اخر غير هوميرس ، فالشاعر على أى حال لم يأخذ اعلانا خاصا مباشرا من الله ، وان كان من المؤسف أن بعض العصريين يريدون أن يعاملوا الكتاب المقدس على هذه الصورة ، فهو عندهم مجرد عمل من أعمال العناية الالهية العادية ، وينكرون أن يصدر بعناية متميزة خاصة من عند الله ، وهو أدنى الى أن يكون عملا مماثلا لعمل الشـاعر الاغريقى العظيم !! ..

ولو صح هذا الزعم فان الكتاب المقدس لا يمكن أن يزيد عن واحد من الكتب الأخرى العالمية ، كما أن الرجال الذين كتبوه ربما يكونون من جبابرة العقول ، لـكنهم لا يمكن أن يكونوا الرجال المحمولين بالروح القدس ، والذين تلقوا الكلمة من فم الرب ، وهم أبناء عصرهم بمـا يخضع له العصر من محدودية أو جهل !! ..

فاذا استطردنا فى التصور ، فانه من الممكن أن يكونوا من جبابرة العقول ، أما أن يوصفوا بالصلاح ، فمسألة فيها نظر !! .. وذلك لأنهم

عندما أعطوا الكلمة للعالم ، لم ينسبوا هذه الكلمة الى أنفسهم ، بل نسبوها الى الاعلان المباشر من الله ، فاذا لم يكونوا قد قالوا الحق فى هذا الأمر الجوهرى ، فكيف يمكن أن يكونوا رجالا صالحين !! ؟ كلا بل يكونون فى الواقع مخادعين غشاشين ؛ •• بل أكثر من ذلك لو أن الكتاب المقدس قد جاء كغيره من الكتب العادية ، بمجرد العناية الالهية العادية ، فانه لايمكن أن يكون كتابا صالحا ، لأنه درج على أن ينسب ظهوره بين الناس الى عناية متميزة خاصة من عند الله !! ••

هذه هى النتائج التى لا مهرب منها ، اذا لم يكن الكتاب المقدس فى أصله مختلفا عن بقية الكتب الأخرى ، ولسنا نجد فى أقوال الآخذين بهذا الفكر ما يشجع على التصور أنهم مقتنعون بأنه الكتاب الصادر من فم الرب ، •• واذا كان الكتاب قد جاء بمجرد أعمال العناية العادية لله ، أو فى لغة أخرى ، اذا كان هذا الكتاب يماثل غيره من الكتب ، فليس يجدى على الاطلاق ، البحث فى الأصل ، وهل صدر مبرأ من الخطأ أم لا !! ؟ أما اذا كان العكس ، وعلى غير ما يأخذ به هؤلاء اللاهوتيون العصريون ، وهو أن الكتاب جاء من الله الواحد الحى الحقيقى باعلان خاص متميز ، فيكون أمرا هاما جدا مناقشة عصمته وتحرره من كل خطأ •• ويبقى السؤال هل هذا الكتاب ، هو كلمة الله حقا ، وهل هذه الكلمة معصومة من الخطأ !! ؟ أم أن الله مقيد بالمحدودية والأخطاء التى تحف بالبشرية الخاطئة ••• هــذا هو الأمر الذى لا يمكن تجنبه أو الهروب منــه !! ••

••• ان ننبذ الكتاب المقدس كاعلان الله الخاص فهذا شىء ، أما ان نمسك بعقيدة الوحى بالمعنى الكتابى الذى ندافع عنه ، فهذا شىء آخر ، ويقودنا بكل تحقيق الى الكثير مما يترتب على ذلك !! •• ان الكتــاب يؤكد أنه كلمة الله الحقيقية ، فاذا آمنا بهذا التأكيد ، فلنا أن نتابع النتائج

المترتبة عليه ، كما أنه من الخير الكثير فى المجال الدينى ، لمن لا يقبل هذا المعتقد ، الا يظهر فيما يكتب أو يتكلم به ، كما لو أنه يعتقد به ، اذ أن أى انسان يقول انه يؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله يترك الانطباع لدى أى مسيحى وديع بالمعانى العميقة القوية المتضمنة فى التعبير ، فاذا لم يكن له هو هذا الانطباع ، فان مجرد الأمانة يقتضيه أن يفصح للناس بحقيقة ما يعتقد ، ومكونات أفكاره عن المصطلحات الكتابية !! ..

ان من يقبل التعليم الكتابى عن الوحى لا يمكن أن يخجل أبدا ، فالكتاب يؤكد من نواح متعددة مصدره الالهى ، كما يؤكد أنه جاء من الله على صورة خارقة متميزة ، ومن واجبنا ، عند الاعتراف بايماننا به ، أن نقبل بالجدية الكاملة ما ينسبه الى نفسه ، قبل محاولة تحليله ، ولنذكر أن الهنا لايمكن أن يكذب ، فاذا كان كذلك ، فلنؤمن أن كلمته هى الحق بنفسه ، وأنه وهو الاله القادر على كل شىء ، قد أصدر كتابا معصوما ومبرأ من كل خطأ ، ومهما يقل الناس خلاف هذا ، أو مهما يحاولوا فى ابهام الموضوع ، فان طبيعة الأمر وحقيقته لا تحتملان قط الشبهة والتردد !! ..

### اعتراض

يثير بعضهم اعتراضا ، يمكن ذكره بكل اختصار ، وهو أننا اذا كنا نصر على أن الله لايمكن أن يخطىء ، وان الكلمة التى تخرج من فمه يلزم أن تكون معصومة ، الا أنه فى نظرهم لا تلازم بالضرورة بين الأمرين ، .. ويجادلون على سبيل المثال قائلين : أليس المسيح ابن الله الكامل ، والذى لا يمكن أن يموت ، ومع ذلك مات ، فاذا كان ابن الله المعصوم قد ذاق الموت ، فهل من الضرورة بعد ذلك التمسك بأن الروح القدس لا يستطيع أن يغض الطرف عن خطية الكتاب الذين كتبوا الكتاب المقدس أو فقرهم أو خطئهم .. ويمكن الرد على الاعتراض من وجوه متعددة ، فهو أساسا لا يفرق بين الخطية فى حد ذاتها ، وبين النتائج

المترتبة عليها ، .. وعلينا أن نؤمن أنه الله ، لأنه الحق ، يلزم أن كل مايتكلم به لابد أن يكون حقيقيا ومطابقا للواقع ، ومن يتمسك بأن الله يجوز أن يتكلم بما هو باطل أو بما لا يتفق مع الواقع فمعنى ذلك فى الحقيقة أنه ينسب الى الله الكذب .. فاذا تعرضنا لموت المسيح وعلاقته بالخطية ، فكلنا يعلم أن يسوع المسيح حسب الكتاب هو الله الذى صار انسانا ، وعندما أخذ الأقنوم الثانى فى الثالوث المبارك الطبيعة البشرية أخذ هذه الطبيعة من غير خطية ، ومن هنا عرفنا عقيدة الميلاد العذراوى ، وأصبح الطفل القدوس المولود من العذراء ابن الله ، ومع أنه صار جسدا وحل بيننا ، ومع أنه صار انسانا بكل ما فى الكلمة من معنى ، الا أنه صار الانسان المعصوم من الخطية والذى عاش حياته على الأرض بلا شر أو دنس ، فلم مات اذا !! ؟ ان الموت كما نعلم يلاحق بالضرورة الخطاة ، أما هو فلم يخطىء ويتعدى الناموس ، .. لقد مات المسيح لأنه أخذ مكاننا فى الخطية ، وحمل عنا عقوبة ذنبنا ، وكان على تلك الصورة الرائعة المذكورة فى اشعياء : « وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » ( اش ٥٣ : ٥ ) وهو عين ما ذكره الرسول بولس للكورنثيين : « لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » ( ٢ كو ٥ : ٢١ ) ، ومن المتصور أن يكون للاعتراض المشار اليه قوته ، لو أن المسيح كان يحمل فى شخصه طبيعة خاطئة ، وأنه مات لذلك نتيجة خطيته ، .. لكن الأمر لم يكن هكذا اطلاقا ، اذ أنه لم يمت لخطية ارتكبها ، بل لأجل خطايا الآخرين ، .. أجل لو كان المسيح خاطئا ، لكان من المتوقع أن يموت ، لأن الخطية تنتج موتا ، ويصاحبها دائما الخطأ ، والسقوط ، .. ونحن لا نقبل التصور أن الله يخطىء على أننا فى الوقت عينه ، عندما نقول ان المسيح مات ، فهذا لا يعنى أنه مات نتيجة خطية ارتكبها ، وموت المسيح لا يشير بأى معنى من المعانى ، الى أنه كان انسانا خاطئا ، فاذا كان المسيح معصوما ومع

ذلك مات ، فانه مات من أجل الآخرين ، ولا يمكن أن تؤخذ عصمته وموته حجة يتذرع بها بعض اللاهوتيين العصريين قائلين انه اذا كان من للمسيح المعصوم أن يموت ، فانه من الممكن أيضا أن الله المعصوم يصدر كتابا غير معصوم ، والمقارنة هنا لغو لا معنى له ، وليس لها أدنى قابلية للقياس أو للتقابل • أو المشابهة المنطقية الصحيحة !! ••

## نظرة جديدة

على أنه من وجهة أخرى قد يقال ان عقيدة النص الأصلي المعصوم حديثة نسبيا ، •• وأنها انتشرت على يد اللاهوتيين المحافظين خلال القرن الماضي ، ولم يظهر فى كتابات لوثر أو كلفن شيء من هذا القبيل ، كما أن آباء الكنيسة لم ينادوا بها فى تعاليمهم . ولا يمكن أن تكون على هذا الأساس واحدة من عقائد الكنيسة الجامعة ، بل هى عقيدة جماعة صغيرة فى الكنيسة المسيحية •

واللاهوتيون العصريون يحاولون الاستهانة بالعقيدة بالفكر أنها حديثة فى التاريخ المسيحى ، ولا نعتقد أن أية عقيدة يمكن أن تكون باطلة بالضرورة لمجرد أن مضمونها قد اتضح متأخرا أمام الناس ، ألم يعش الناس قرونا طويلة فى الكنيسة يؤمنون أن البر بالايمان ، قبل أن تأخذ هذه العقيدة قوتها العظيمة أيام مارتن لوثر ، •• ومن الحقيقة أنها لم تظهر بوضوحها الكامل بالصورة التى عرفت بها فى عهد الاصلاح الدينى ، وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر انشغل عديد من الناس ممن أحبوا الرب يسوع وكنيسته بمتضمنات التعليم الكتابى عن الوحى ، ولم يفعلوا هذا جريا وراء أفكار فلسفية أو نزعات صوفية تشبع أذهانهم أو تغذى عواطفهم ، بل كان وقوفا فى مواجهة قوة طاغية معادية تنكر على

الكتاب المقدس سلطانه الأعلى النهائى ، وتضع بديلا له الكنيسة ، كانت روما هى هذه القوة ، وكان الموضوع المتنازع عليه حيويا ، ويضرب جذوره الى الأساس فى الديانة المسيحية ، ويدور حول السؤال : الى أى سلطة أعلى ينبغى على المسيحى الوديع المؤمن أن يطيع !! ؟ اله أن يصغى الى ما تقول الكنيسة !! ؟ وهل للكنيسة أن تعلمه ما يؤمن به ، ويعيش عليه !! ؟ وقد أجابت روما على ذلك بالايجاب ، ودعمت جوابها بالحجج والأدلة القوية ، •• ومع ذلك كان الاصغاء الى الكنيسة بمثابة العودة الى أوهام الاستحقاق الدينى الذى ساد العصور الوسطى وأغلق باب النعمة المجانية لاله رحيم ، وقيد النفس بالقيود الرهيبة التى ناضل رجال الاصلاح العظام أمثال لوثر وكلفن للقضاء عليها وتحطيمها !! ••

كان هناك اذا من رفض التقهقر والعودة الى ظلمات العصور الوسطى وأساطيرها ، وقد أدرك هؤلاء أن الاصغاء الى الكنيسة ، يعنى فى الوقت عينه اغلاق الأذن لصوت الله ، وأن الكنيسة قد أخذت مكانا ليس لها ، بل لله وحده ، •• وكان السؤال : هل هذا الكتاب المبارك ، الكتاب الذى أخرج لوثر من الليل الداجى لطغيان الاكليروس وسلطانهم ، الى نعمة الله العجيبة والمجانية ، هل هذا الكتاب يمكن أن يوثق به !!؟ •• كان الكتاب يؤكد من غير لبس أنه كلمة الله !! •• ولكن بأى معنى تؤخذ هذه الكلمة !! ؟ هل يمكن أن يكون سلطانها تاليا لسلطان الكنيسة فيما تطلب من الناس أن يؤمنوا به !! ؟ هذا ما كانت روما فى الواقع تعنيه وتبتغيه !! ؟ •• أم كان الأمر بصورة أخرى مخالفة ، •• أى أن يكون المرجع النهائى الذى يرجع اليه الناس فى سبيل الخلاص !! ؟

عند هذا المنعطف التاريخى كان هناك الكثيرون ممن لمس الله قلبهم ، أناس أدركوا أن المسيح مات لأجلهم ، وقد أحبوا سيدهم الذى أنقذهم من خطاياهم ، وكان من المستحيل عليهم أن يجلسوا فى أماكنهم ، ليروا

الكتاب المقدس فى وضعه الثانوى الذى وضعته فيه روما ، •• ومن ثم عكفوا على المدراسة ليروا ماذا يقول الكتاب عن نفسه ، حتى يمكن أن يوضع فى موضعه الصحيح الذى يليق به ، •• وأخذوا فى أثر ذلك يكتبون ، وأثرت الكنيسة اثراء عظيما ، من كتاباتهم !! •• وقد خلف فرانسس تيرتن مثلا ذلك الدفاع الرائع عن الكتب المقدسة ، الدفاع الذى ينعته المنتقدون له ولأمثاله ، بما يطلقون عليه «المساجلات اللاهوتية» التى عرفت بها العصور الوسطى ، •• ولكن مهما تكن كتابات تيرتن وأمثاله ، فانها ليست الا كتابات أناس امتلأت قلوبهم بلهب التعبد للمسيح الذى مات من أجلهم ، وكانوا شديدى الرغبة فى الولاء لله حسبما تعلن كلمته المقدسة !! ••

ومما لا شك فيه أن متضمنات العقيدة الخاصة بالوحى الالهى الكتابى قد ظهرت فى وضوح أجلى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ولعله من الواجب أن نشكر الله علىأمثال هؤلاء الناس من المؤمنين، الذين ملأ الله قلوبهم بهذا التعبد ، فعكفوا على ما كتبوا وأثروا به الفكر المسيحى ، وليس هناك من مأساة تعدل الامتناع عن دراسة ماكتب الأساتذة العظام فى اللاهوت البروتستانتى !! ••

على أن هذا لايعنى أننا نوافق على كل ماكتبوه ، بل من واجبنا بالأحرى، أن نناقش ما كتبوا ، لنرى مدى تطابقه بالفعل لكلمة الله ، وغير خاف بأن هناك من المساجلات مالا نستطيع الموافقة عليه وقبوله فى الوقت الحاضر ، وربما نجد فى كتاباتهم ما يحتاج الى تصحيح فى الصياغة أو الأسلوب ، غير أنه على أى حال مهما كانت نقصاتهم أو أخطاؤهم ، فانهم أدوا عملا رائعا للكنيسة ينبغى أن نشكر الله عليه من الأعماق !! ••

ومن الحقيقى أيضا أن القرن التاسع عشر صاحبته تلك الحملة الشعواء الهادمة والتى تركت أثرها البالغ فى تاريخ الكنيسة ، الا أننا ينبغى أن نشكر الله على أبطال الدفاع عن حقيقة الوحى الكتابى فيه . وكم نحن مدينون لرجال أمثال تشارلس هودج وأرتشيبلد ألكسندر هودج وبنيامين وورفيلد وغيرهم ممن قدموا للكنيسة أروع الحجج الكتابية وأعظمها ، التى تغنى الكثيرين من دارسى الكتاب وطلاب الخدمة الدينية وتعطيهم أكثر جدا مما يزعم الكتاب الذين يطلقون على أنفسهم فى الوقت الحاضر الأرثوذكسية الحديثة تقديمه لخدمة الكنيسة !! .. ولعله من المناسب أن تقدم هنا قطعتين من كتابات أ . أ . هودج و ب . ب . وورفيلد لنرى مدى التعمق ، والبصيرة النافذة ، والولاء العميق لكليهما تجاه كتاب الله !! ..

« نحن نؤمن أن الغالبية العظمى من معارضى فكرة الوحى اللفظى ، قد يندفعون الى ذلك تحت معدل يزيد أو ينقص الى أن الفكرة قد تعنى فى جوهرها عملية املاء لفظى ، أو بصورة ما اعلان الفكرة للكاتب ، أو الوحى له ، عن طريق انتقاء الألفاظ التى يختارها الله له . وقد يكون هناك بعض العذر لمن أساءوا الفهم فى الأمر ، ولعل هذا يرجع الى حد كبير الى تطرف بعض المدافعين عن الوحى اللفظى ، وتصورهم للفكرة عند مناقشة التعبير « اللفظى » ونحن لسنا أقل معارضة لاستخدام اللفظ بالمعنى الآلى ، اذ أن المدافعين الحقيقيين لايسلمون قط أن الفكر الالهى أعلن نتيجة املاء الكلمات على الكاتب ، بل يقصدون بالوحى تلك السيطرة الالهية الخارقة للعادة ، والتى تمتد الى اللفظ والفكر معا ، بحيث أن الكتاب المقدس باعتباره سجلا . أو تقريرا لكلمات الاعلان الالهى ، هو كلمة الله ، .. وأنه فى كافة اقراراته ، مهما كان نوعها ، لا يأتيه الخطأ سواء فى لفظ النص الأصلى لمخطوطاته ، أو الأفكار التى يحملها هذا النص ، ومع أن هذه الأفكار والألفاظ فى حد ذاتها بشرية ، وتقع فى نطاق

المحدودية البشرية ، الا أن السيطرة الالهية الخارقة ، والضمان الالهى ، يمتد للواحدة أو الأخرى على حد سواء » ..

والقطعة الثانية للكاتبين توضح بصورة أعمق ما يقصدان وهما يقولان :

« ان الكتاب المقدس ، أكثر من ذلك . وهو نتاج عمل الروح القدس لغايات روحية . قد جهز كل كاتب تجهيزا دقيقا لعمله . بالتعامل الشخصى للروح القدس مع نفسه ، ومع أن الانارة الروحية تختلف تمام الاختلاف مابين الاعلان أو الوحى . الا أنها أسهمت بعناية الله . بالنصيب الوافى فى الكتاب المقدس ، باضفاء العنصر الالهى عليه ليصبح كلمة الله ، فالمزامير كانت السجلات الالهية الموحى بها للاختبارات الدينية لكتابها . ومع ذلك أصبحت بالسلطان الالهى نموذجا ومثالا لكل الناس الى الأبد ، وكان بونس ويوحنا وبطرس يستمدون مصادرهم ويستقون ينابيعهم ، ويزودون مناهلهم العقائدية من خلال الاختبارات الدينية الشخصية التى يجتازونها ، وما من شك بأن هذه الاختبارات كانت جزءا من الترتيب الالهى فى قصة حياتهم . وكانوا وهم يجتازون اختباراتهم ، يتممون فى الوقت نفسه نصيبهم المعين فى كتاب الله ، وقد جهزهم الله ، فى نطاق استعدادهم الطبيعى ، بكل المعرفة اللازمة لعملهم المعين بالرؤيا أو الايحاء ، أو تلقين أو رفع الملكات أو ماأشبه ، لاتمام مشيئته ، وقد استمدوا معرفتهم الطبيعية من كافة المصادر سواء كانت من التقاليد أو الوثائق أو الشهادات أو الملاحظات أو الذكريات الشخصية ، وما يمكن أن يصلوا اليها أيضا بالبصيرة ، وتداعى المنطق لأفكارهم ، ومشاعرهم واختباراتهم .. الخ ، وكانوا فيها جميعا تحت سلطان العناية الالهية المباشرة ، وقد تعانقت المعرفتان الالهية الخارقة والطبيعية البشرية على نحو لا يجافى أو يخالف ناموس الذهن أو الحرية ، وقد كان الروح القدس فى كل العمل حاضرا

ينشط الملكات الذاتية للكاتب ، ويرفعها ، ويوجهها وفق المطلوب ، وعلى النحو الذى يأتى فيه التعبير اللغوى . وفق الفكر الالهى المعين من الله !! » .

وفى الواقع أن هذا هو المعنى الدقيق لكلمة الوحى ، .. وكم نشكر الله لأجل الجماعات التى عكفت على الدرس الكتابى ، لتكتشف متضمنات العقائد الكتابية السليمة فى الكنيسة ، وكم يليق بنا الاعتزاز بذلك الجهد المدقق فى دراسة الكتاب المقدس ، والذى كان السمة البارزة عند هؤلاء الدارسين العظام من رجال الله ، وكم لنا أن نفرح ونسر بالدراسات التى أعطتنا صورة أوضح وأجلى عن العقيدة الكتابية الصحيحة للوحى المقدس !! ..

فاذا كان لنا أن نرجع الى الوراء الى التاريخ الكنسى قبل عصر الاصلاح ، فان هناك شيئا هاما يستحوذ على النفس ، ويسترعى الانتباه ، ألا وهو الاحترام الذى كانت تناله الكتب المقدسة ، فيوستنيان الشهيد كان يلجأ الى الكتاب وهو يدافع عن لاهوت المسيح ، ولم يكن يفعل ذلك الا لأنه يراه المرجع النهائى القاطع فى الدفاع ، .. فاذا أنصتنا الى أوريجانوس ، وهو يناضل سيالسيوس فى الدفاع عن المسيحية ، ومهما يكن توفيقه فى حد ذاته فى هذا الدفاع ، ومدى ما فيه من قوة أو ضعف ، الا أنه واضح ، أنه كان يستمد حجته النهائية من الكتاب المقدس ، ومع أن كتاباته قد امتلأت بالأسلوب الرمزى ، الذى أغرق نفسه فيه ، وكأن المأخذ الذى يؤخذ عليه ، الا أن مرجعه الواضح على أى حال كان الكتاب المقدس ، فحيث يتكلم الكتاب كان يصغى ، وحيث يأمر كان يطيع وعندما عكف على ترجمة « الهكسابلا » وهى ترجمة الكتاب المقدس التى جاء فيها النص العبرانى مقابل اليونانى فى ستة أعمدة متوازية ، وكانت من أروع الجهود التى تدل على عمق التأمل وقوة التعبد ، وقد قضى فيها عشرين

عاما وهو يقابل النصين مما يدل على يقينه الشديد بعقيدة الوحى اللفظى للكتاب المقدس !! ••

لم يكن العمل الضخم الذى قام به أوريجانوس مجرد بحث يستهدف الدراسة التاريخية ، للعمل العلمى البحت ، اذ لم يكن مجـــرد بحاثة تستهويه الدراسات العلمية ، بل كان أكثر من ذلك عبدا للمسيح ، وخادما للانجيل ، وقد قصد بالترجمة التى قام بها أن تصل الكنيسة الى معرفة أوفى بالكتاب وأن يبشر بالانجيل بنجاح أعظم ،•• وهذا الولاء العميق للكتاب المقدس وكلماته الصحيحة يعطى الانطباع بأن أوريجانوس لو كان يعيش فيما بيننا اليوم لما تردد البتة أن يكون واحدا من أعظم المدافعين عن عقيدة الوحى اللفظى !!••

••• على أن أوريجانوس لا يقف وحده فى الولاء للكتب المقدسة ، فان هناك أمثلة متعددة للكثيرين الذين يضعون ثقتهم فيها كالمرجع الوحيد النهائى ، •• ولا يتعرض السؤال هنا لأية أسفار هى الموحى بها ، اذا ناقشنا الأمر من ناحية القانونية ، وأية أســفار هى المسلم بهــا قانونا ، فالخلاف هنا قد يحدث ــ وهذا الموضوع كما أســلفنا القول فى مطلع الكتاب ليس مجال نقاشنا الآن ــ انما يكفينا هنا أن ما تسلم به الكنيسة فى تاريخها بأنه الكتاب المقدس ، فانها تعنى بهذا التسليم أنها ملتزمة بأنه كلمة الله الحقيقية !! ••

وقد كان لوثر هنا مضرب المثل عندما يقول : « ان المجادلات التى تبنى على العقل البشرى لايمكن أن تحســم أمرا ، أما ما يقول الروح القدس انه حق ، فلابد أن يكون حقيقيا » •• وكانت كلماته الرائعة فى مجمع ورمس أشجع كلمات من هـــذا القبيل عندما قال : « ما لم أقتنع بشهادة الكتاب أو الحجة الواضحة ــ اذ لا أستطيع الايمان ما يقوله البابا

أو المجامع وحدها ، فمن الثابت أنها كثيرا ما تخطىء أو تناقض بعضها البعض ـ فانى أخضع لما كتبت ، وضميرى أسير لكلمة الله ، ولا أستطيع التراجع ، اذ ليس من الأمان أو الأمانة أن يعمل الانسان ضد ضميره » .. كما قال مرة وهو يشير الى موقف أوغسطينس : « لقد تعلمت أن أعطى هذا المركز « العصمة » وأقصره فقط على الكتب التى يطلق عليها « القانونية » فهى الجديرة وحدها بأن يقال ان كتابها كانوا معصومين . أما غيرهم من الكتاب . فمهما كانت قداستهم أو تعاليمهم ، فانى لا أستطيع أن أقبل من كتاباتهم أو أعتبرها صحيحة ، لمجرد اعتقادهم فيها كذلك ، بل لاعتقادى بمطابقتها الأسفار القانونية أو الاستنتاج الواضح الصريح !! »

ولا حاجة الى القول ان شعب الله من أيام الرسل الى الآن قد أحب الكلمة المقدسة ، لقد وجد المحزونون عزاءهم فى مواعيدها . كما أخذوا قوتهم وراحتهم فى شهاداتها . كما أن السعداء تفجرت ينابيع سعادتهم من وصاياها وأحكامها . اذ أدركوا أن كلماتها هى كلمات الله المصحوبة بالبركة لنفوسهم . ومع أن الكثير من متضمنات العقيدة الخاصة بالوحى لم تعرف على وجه الوضوح قبل أيام الاصلاح ، الا أن الايمان بالوحى اللفظى لازم الكنيسة من مطلع تاريخها . وهناك شىء واضح أكيد ولا لبس فيه . .. وهو أن هذه العقيدة التى يدافع عنها المتمسكون بها اليوم ، هى نفسها العقيدة التى وجدت من يدافع عنها من أيام الرسل حتى الآن !! .. وهى بذاتها العقيدة التى آمن بها الرسل ، وفوق الكل سيدنا نفسه . أما أفكار العصريين والأرثوذكسية الحديثة والنقد الهدام فانها لايمكن أن تكون امتدادا طبيعيا لفكر الكنيسة الثابت المتميز عن الكتاب المقدس منذ نشأتها حتى اليوم . ولا يمكن لأحد أن يعتبر نفسه فى اتجاه الخط الكنسى والرسولى ، الا من آمن حقا بالنص المعصوم والوحى اللفظى !! ..

## هل الكتاب المقدس معصوم فقط فى قواعد الايمان والأعمال ! ! ؟

على أن هناك اعتراضا آخر لا يلبث أن ينهض ، ويزعم أن التمسك بعصمة الكتب المقدسة سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية ، انما يذهب فى الواقع ، أكثر مما ينبغى أو يجوز ، والمنادون بهذا الزعم على استعداد لأن يسلموا بهذه العصمة ، ولكن فقط فى القواعد المختصة بالايمان والأعمال ، ولكنهم لا يستطيعون أن يسيروا قط أبعد من هذا الشوط ، وقد قالوا لهذا السبب : ان الكتب المقدسة هى القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال ، .. وهم يقصدون بذلك ما جاء فى لغة واحد منهم وهو تشارلس أ . بريجز عندما قال :

« ان الكتب المقدسة معصومة فى كل الأمور الخاصة بالاعلان الالهى ، وفى كل ما يحتاجه الناس من ارشاد الهى معصوم ، .. على أننا لا نعتقد أن كاتبا يسكن أرض فلسطين له معرفة معصومة بأقطار لم يزرها ، وبتواريخ أحداث لم يختبرها ، ويكتب معتمدا على تقاليد أو سجلات بشرية ناقصة ويستطيع فى الوقت نفسه أن يقدم تقارير دقيقة ومعصومة لكلمات التى قيلت فى قرون سابقة ، وربما لم يسبق لأحد تسجيلها ، أو يعطى وصفا لأحداث جرت فى بلاد وعصور بعيدة ، وفى الوقت عينه يحررها من المبالغات أو الأخطاء التى يمكن أن تحف بالتقاليد المرتبطة بها ،.. كما لا نعتقد أن كاتبا يكتب منظومة شعرية عن الخليقة ويعرف فى الجيولوجيا والفلك والتاريخ الطبيعى أكثر مما يعرف العلماء المتخصصون فى ذلك فى العصر الحديث ، فى الوقت الذى يقصد منه أن يعلمنا

علم الله والفداء وفن الحياة المقدسة والمعيشة الالهية ، •• ان الكتاب المقدس معصوم فقط فى قوانين الايمان والأعمال » ••

لقد أجمل بريجز فى كلماته السالفة مايريد هو أو غيره من المعترضين أن يقولوا ممن يحددون عصمة الوحى فى الايمان والأعمال ، ونعتقد أن هذا الاعتراض قصر عن الوصول الى الحقيقة ، لأنه حتى وان كان يبدو مرتديا مسوح التقوى ، أو يأخذ ببعض مظاهر الحقيقة ، الا أنه يعجز عن الوقوف على قدميه لأكثر من سبب !! ••

فهو أولا وقبل كل شيء اعتراض لا يدرك طبيعة الايمان الحقيقية . أو كما يقول المعترضون أنهم لا يؤمنون بعصمة الكتاب فيما خلا الايمان والأعمال ، فهو كتاب غير معصوم فى الفلسفة . وهو غير معصوم فى الفلك ، وهو غير معصوم فى العلوم الأخرى . وهو غير معصوم الا فيما يخبرهم عما يؤمنون به ويعتقدون ، فاذا امتحنا الأمر بأكثر دقة نجد أن هذا الايمان الذى يريدون التسليم به ، مؤسس فى الأصل على الركائز التاريخية التى قام عليها ، •• والايمان المسيحى المعلن فى الكتاب ليس هو مجموعة من المجردات المنعزلة عن التاريخ ، انه ليس حقائق أو مثلا عليا أبدية ، بل هو فى الواقع ما صنعه الله فعلا على هذه الأرض فى قصة التاريخ . ومن ثم يبدو من أهم الأمور أن نعرف ماذا يقول الكتاب عن الأمور التاريخية ونصيبها من الصحة أو عدمه !! ••

ان خلاصنا يبنى كما يذكر الكتاب على موت المسيح على هضبة الجلجثة ، وقيامته اللاحقة من الأموات . ومن الضرورى والهام جدا متابعة الوقائع التى جرت لمعرفة القبر الذى وضع فيه ، وهل أصبح فارغا فى اليوم الثالث ، وهل كانت هناك قيامة تاريخية حقيقية أم لا !! ؟ وهى أسئلة تفرض نفسها ولا شك ، ولا سبيل الى ازاحتها أو التخلص

منها ، وهل كان الكتاب صادقا فيما رواه عنها أم لا !! ؟ فاذا لم يكن الاطار التاريخى لأعمال الله الفدائية صحيحا أو يوثق به ، فمن يدرينا اذا كان الفداء نفسه يمكن أن يكون صادقا أو صحيحا !! ؟

اننا لا نستطيع أن نفصل على الاطلاق بين الايمان والتاريخ ، فالواحد منهما يتمشى مع الآخر ، فاذا أزلت الأسس التاريخية ضاع الايمان ، ولن نستطيع أن نفهم ايماننا على الوجه الصحيح ، ما لم ندرس التاريخ ، وهذا التاريخ قدمه لنا الله فى الكتاب المقدس . وليس من المنطق فى شيء أن نقول ان رواية التاريخ غير معصومة ، ولكن الرواية المختصة بالايمان معصومة، ولن نجد الايمان معزولا عن التاريخ ، وكل محاولة يبذلها البعض للفصل بينهما لا يمكن الا أن تكون مستحيلة !! .. والايمان الصحيح الوحيد الجدير بالاسم المسيحى هو الذى يرتكز على حقائق تاريخية ، ولا يمكن البتة الفصل بين الاثنين !! ..

وثمة أمر آخر يلزم ملاحظته والانتباه له ، اذ من ذا الذى يستطيع أن يقول ماهو الايمان وما هو غيره !! ؟ والذين قالوا ان الكتاب معصوم فى قواعد الايمان ، لم يبينوا متى يبدأ الايمـــان ومتى ينتهى !! ؟ ولعل الأصحاح الأول من سفر التكوين يعطينا مثلا لهذه الحقيقة ، فالى أى حد تمتد العصمة فى الكتاب بالنظر الى هذا الأصحاح ، وهل كل ما فى هذا الأصحاح بالضرورة خطأ أو أن بعض الوقائع فيه حق ، وغيرها باطلة ، وأين ينتهى «الايمان» ويبدأ «التاريخ» أو فى لغة أخرى ماهى الحدود القاطعة « للايمان » فى الأصحاح الأول من سفر التكوين ، .. أو ما هى أمور الايمان المعلنة والتى يمكن أن يقال ازاءها ان الكتاب معصوم !! ؟ بل وأكثر من ذلك يمكن السؤال : ومن ذا الذى يخبرنا ما هو أو ما ليس هو من الايمان !! ؟ هذه هى الأسئلة التى صمت ازاءها على وجه غريب ، أولئك الذين يدعون أن العصمة فى الكتاب تقتصر على قواعد الايمـــان

والأعمال فحسب ، ومن المحتمل أن البعض منهم يقبل الاعتراف بعصمة الكتاب المقدس ، وهو يورد أن الله خالق الخليقة ، ومن بينهم فيما نعتقد دكتور بريجز الذى اقتطفنا من أقواله القطعة المقتبسة التى أوردناها فيما سلف ، على أن غيره قد لا يتفق معه فى هذا المعتقد ، اذ هو على استعداد أن يقبل الآية الأولى فقط من سفر التكوين وعلى استعداد أن يتكلم عن الله كخالق ، لكنه فى الوقت عينه من الواضح لا يقبل الفكر عن الخليقة كما يجرى فى كل الأصحاح الأول من التكوين !! •• ومهما اتسع أو ضاق اختلاف المختلفين فمما لا شك فيه أنهم جميعا يرغبون فى أن يعترف الناس بهم جميعا كمسيحيين ، واذا كان دكتور بريجز يدخل كما ذكرنا الخليقة فى نطاق الايمان ، فان غيره على العكس من ذلك لا يشاطره ضرورة اعتبار تعليم الخليقة جزءا من الايمان . بل وأكثر من ذلك يعتبره عندما يؤخذ بهذا المعنى ضارا ضررا بليغا . •• والسؤال هنا من الذى يحسم الأمر ، ومن ذا الذى يخبرنا عما هو أو ما ليس هو من الايمان ، قد يكون لدكتور بريجز آراء عن الايمان لا يشاطره فيها غيره ، فاذا قيل ان الكتاب معصوم فى أمور الايمان ، فاننا معذورون اذا سألنا هذا السؤال البسيط : ولكن ما هو الايمان !! ؟ ومن الواضح أن الذين يصرون على فصل التاريخ عن الايمان والأعمال . ويعتبرون العصمة فى الكتاب قاصرة على هذين الأخيرين ، هم فى الواقع ممن يعتبرون العقل البشرى الحكم النهائى فيما هو ايمان أو غير ايمان . •• كما أننا نحن لا نعتقد البتة أن الكتاب البشريين الذين كتبوا الكتاب المقدس . هم فى ذواتهم معصومون فى كل معرفتهم ، ونحن أبعد الناس مثلا عن اعتبار أن موسى كان يملك معرفة متقدمة على غيره فى العلم الحديث ، ولو أنه اعتمد على معلوماته الخاصة عن الخليقة لكان من الممكن أن يكتب ماهو غير معصوم ، أجل لم يعتمد موسى على آرائه الخاصة فيما كتب عن الخليقة ، بل كتب فقط ما أخذ من اعلان الهى !! ••

ولعلنا قد وصلنا هنا الآن الى لب الموضوع ، اذ أن الذين يؤكدون أن الكتاب معصوم فقط فى الأمور الخاصة بالايمان ، يبدو أنهم لا يؤيدون الرأى القائل انه اعلان من الله . ونحن اذ نؤكد أن الكتاب معصـــوم ، لا نبنى هذه العصمة على المعرفة النابعة من الكتاب البشريين !! .. وقد لا تكون آراء اشعياء ويوحنا وبولس الخاصة فى علم الفلك مطابقة لما نعلم اليوم ، كما أن أفكارهم الخاصة فى كثير من الأمور تعتبر من نواح متعددة مخالفة لما وصلنا اليه من معارف فى الوقت الحاضر . الا أن الكتاب المقدس ليس عمل اشعياء ويوحنا وبولس . اذ لو أنه كذلك لامتلأ بألوان التعثر والتخبط والأخطاء ، وربما يكون فى أجمل صوره أفضل من كتاب الآثار العظماء . .. ان الكتاب المقدس فى حقيقته اعلان الله . وما يقدم من معلومات ليس الا المعلومات التى يقدمها الله على يد الكتاب البشريين . وهذا هو السبب الذى يجعل الأصحاح الأول من سفر التكوين ، كما لو أنه كتب بالأمس فقط ، اذ هو اعلان لموسى . .. ولا يستطيع أحد ممن ينادون بسبق الكتاب المقدس للبحث العلمى ، أن يثبت غلطة علمية واحدة فى الأصحاح الأول من سفر التكوين !! ...

كثيرا ما نسمع القول ان الكتاب المقدس ليس كتابا فى علم الفلك ، ونحن نؤيد هذا تماما ، اذ ليس فى الكتاب ما يوحى بذلك . لكننا نستطيع مع ذلك أن نقول انه يمكن أن يكون كتابا فى فلسفة الفلك . وما الأصحاح الأول فى سفر التكوين وهو يتحدث عن أمور فلكية الا الدليل على ذلك، ولا يغير من ذلك أو يبهمه سوى سوء الفهم أو التفسيرات البشرية الخاطئة التى قد يفسر بها هذا الأصحاح . ويمكننا الوصول الى المعنى الحقيقى فى الموضوع ، اذا استطعنا أن نفهمه بهذه الصورة الموضوعة فى الكتاب ، .. والكتاب ليس كتابا فى الجغرافيا ، لكنه وهو يتكلم عن أمور جغرافية ، انما يتكلم بسلطان مطلق فى الموضـــوع ، .. والكتـــاب ليس كتابا فى الجيولوجيا ولكنه وهو يتحدث عن أمور جيولوجية فهو معصوم فى كل

ما يتحدث ، وقد تتغير النظريات الفلكية والجغرافية والجيولوجية وتتبدل، لكن الكتاب وهو يتناول هذه الموضوعات ، لا يمكن أن يغاير الحقيقة فى شيء ، •• ومن الجائز أن يقع الخلاف بين الكتاب وبعض النظريات ، وهذا ممكن، أما أن يقع الخلاف بين الكتاب والحقيقة فهذا مستحيل اذ أن الكتاب والحقيقة كليهما من الله ، •• وننتهى من هذا كله الى أن الكتاب معصوم فى كل شيء ، والا فلا يمكن أن نكون واثقين أنه معصوم فى أى شيء ، ولن نستطيع بحال ما أن نقول انه معصوم فقط فى الأمور الخاصة بالايمان والأعمال •

## هل يسيىء البروتستانت استخدام الكتاب !!؟

كثيرا ما يشاع فى هذه الأيام أن لوثر حرر المسيحية من ربقة « بابا روما » وقد حان الوقت لتحررها من « بابا الكتاب » •• ويقولون ان الكنيسة الى وقت الاصلاح كانت تعتبر معصومة ، ولكن الكتاب الآن جاء ليأخذ مكانها ؛ أو يأخذ السلطان الذى كان لها ، وقد أحلت البروتستانتية الكتاب المعصوم محل الكنيسة المعصومة ، وهذا أمر سيىء ، اذ أن الكتاب لا يدعى لنفسه مثل هذا المكان ، وليس هناك سوى واحد ينبغى أن يأخذ السلطة المطلقة ، ونعنى به يسوع المسيح ، وقد وضعت البروتستانتية على حد زعمهم ، الكتاب مكان المسيح ، وهذا واحد من أكبر ضعفاتها !! ••

وقد يبدو هذا الكلام فى ظاهره براقا جميلا غير أنه باطل ومضلل عند النظرة الفاحصة ، حتى ولو ترك أصحابه الانطباع أنهم توصلوا الى نظرية جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وهى نظرية مهما يقل عن حداثتها زائفة ومنحرفة !! ••

فأولا وقبل كل شيء ، لقد أفرط هذا الزعم فى تبسيط الحقائق على الصورة التى أوردها ههنا ، اذ ليس صحيحا أن الكنيسة ظلت فى تاريخها الطويل حتى عصر الاصلاح صاحبة السلطة المعصومة ، وان الكتاب عاش تاليا لها ، أو كما يزعم وليم نيل فى كتابه : اعادة اكتشاف الكتاب طبعة ١٩٥٤ حيث يقول : « عندما أطلق الاصلاح القط بين الحمام الكنسى، كان من المحتوم آلا ينقضى وقت طويل حتى يأخذ الكتاب نفس المكان الزائف الذى كان للكنيسة من قبل » ..

ومن الحق أن السلطان الكنسى أخذ فى التزايد والقوة خلال السنين الطويلة لنمو الكنيسة ، غير أنها فى الوقت عينه كانت تتمسك باحترامها للكتاب ، والرجوع اليها كلما حزب الأمر فى موضوع عقائدى ، ثم لم يلبث أن أخذ سلطان الكتاب الأعلى فى التراجع والانزواء شيئا فشيئا .. ولم يفعل الاصلاح أكثر من اعادة الكتاب الى سلطانه المنفرد الذى كان له ، ولا يملك من يقرأ العهد الجديد الا أن يدرك أن الكنيسة كانت منذ نشأتها تعطى الكتاب سلطانه المنفرد الصحيح ، حتى جاء التقليد ليعتدى ببطء وثبات على الموقف ، ويأخذ نفس المكان الذى كان للكتاب أول الأمر ، .. ولم يفعل الاصلاح أكثر من اعادة الأمر الى وضعه الصحيح بتنحية التقليد ، ودعوة الناس مرة أخرى الى الكتاب باعتباره السلطان المعصوم ، لقد شاء الله فى عنايته الطيبة أن يقوم الاصلاح بنهضة عارمة مطهرة تكتسح فى الطريق الأخطاء المتراكمة للتقليد البشرى والخرافات التى سادت العصور الوسطى ، ويحل محلها مرة أخرى كلمة الله المعصومة بكل مافيها من جلال ونقاوة !! ..

على أنه فى دعوة الناس الى العودة للكتاب يبقى السؤال حقا : هل احله المصلحون فى المكان الذى يأخذه المسيح وحده !! ؟ وهل كان عليهم وهم يسعون فى توحيد جهاد البروتستانتية ضد روما أن يوجدوا سلطة

أخرى تحل محل المسيح نفسه !! ؟ وهل خادعوا فى الواقع مســـتبدلين المسيح بالكتاب !! ؟ وهل جاء الكتاب بين الايمان المسيحى ومؤلفه !! ؟ وهل وقعت البروتستاتنية ضحية خدعة كتابية غاشة !! ؟ من الغريب أن هذه التهمة ، لا يمكن أن تلصق بلوثر نفسه بأية صورة من الصور ، الذى يخرجونه من دائرتها فى سياق التفسير الخاطىء لبعض أقواله وتعاليمه ، بينما يلحقونها بكلفن وبعض الآخرين ممن يتهمونهم باعطاء الكتـــاب الأولوية التى تخص المسيح وحده !! ..

على أنه يحق لنا أن نسأل : ولكن كيف يمكن للكتاب أن يخادع ويستبدل مكان المسيح ، مع أنه من المحتمل أننا كنا لا نعرف عن المسيح شيئا لو لم يكن هناك الكتـــاب !! ؟ بل ان هؤلاء اللاهوتيين العصريين أنفسهم الذين يزعمون الغيرة على ســـلطان المســـيح . كيف كان لهم أن يعرفوا السيد من غير الكتاب !! ؟ .. لقد عرفوه . مهما يكن فكرهم عنه ، من كلمات الكتاب نفسه اذ لم يستقوا هذه المعرفة ، من كلمات مبهمة سرية مأخوذة من مكان منعزل عن الكلمات الفعلية للكتاب المقدس ، ومهمـــا يكن من بغض اللاهوت العصرى لكلمات الكتاب المقدس ، الا أن الحقيقة الواضحة أنه من هذه الكلمات المكروهة . ومنها وحدها ، عرفنا من هو يسوع المسيح !! .. وكم يكون طيبا أن نضـــع هذه الحقيقة فى الذهن ونحن نناقش هذا الموضوع !! ..

ان ما يقال هنا واضح الى الدرجة التى لا يحتاج معها الى نقاش ، ويكفى أن الأطفـــال يغنون من أعمـــاق قلوبهم ما يبدو أن اللاهوتيين العصريين أعجز من أن يدركوه !!

« يسوع يحبنى .. هذا ما أعرف

لأن الكتاب هكذا يخبرنى .. »

هذه هى الأغنية التى يغنيها الطفل الصغير ، ولكنها تحمل من صفاء الرؤيا ما لا يستطيع ادراكه الكثيرون من اللاهوتيين العصريين ممن يظنون أنهم قادرون على الفصل بين المسيح وكلمته الالهية الخارجة من فم الله .. وهل كان من الممكن من غير كلمات الكتاب أن نعرف شيئا عن محبة المسيح للخطاة الضالين أو عن موته الكفارى وقيامته المجيدة أو عن عطية روحه المبارك . أو الوعود الخاصة بمجيئه الثانى الأكيد ، وهل من عجب بعد ذلك أن نسمع الأطفال يشدون :

« كتابى المقدس كتابى الالهى

كنز ثمين أنت لى ..

منك عرفت من أين جئت !!

ومنك أعرف أين أنا !! ..

ومنك الهدى اذا ما انحرفت

ومنك علمت حب المسيح

ومنك الرشاد ومنك الحمى

وخير الثواب وشر العقاب

ومن الناس من يظن أن هذه الكلمات لا تعدو أن تكون مجرد مصطلحات دينية ، وهى أشبه عندهم بالصرخات التى يمكن طرحها ، ويكفيهم على حد زعمهم مجرد المعرفة التى يقدمها الكتاب عن المسيح ،..

ولكن هل هذه مجرد مصطلحات دينية !! ؟ وهل يعبد البروتستانت الكتاب المقدس !! ؟ اننا من جانبنا لا نعرف شيئا من هذا !! .. ونعلم أن البروتستانت لا يعبدون الورق والحبر والغلاف التي يتكون منها هذا الكتاب ، على أنه من ناحية المضمون وباعتباره كلمة الله يحمل أعمق الأثر في حياتهم ، أليس هو الكتاب الذي يصاحبنا في رحلة الحياة كلها ، وهو الرفيق الدائم أينما سرنا في داخل البلاد أو في خارجها ، ولا شبهة على الاطلاق في المكانة الخاصة التي يأخذها من قلوبنا ، ونحن ان كنا نحبه ، فهو أعمق جدا من أن يكون مجرد قطعة مادية من الأثاث في بيوتنا ، .. اننا نحب الكتاب لأنه رسالة الله الينا ، ونخبيء كلماته في قلوبنا لأن هذه الكلمات عطية الله لنا ، وكم ينمو حبنا لله ونحن تتأمل في ساعات الصباح الباكرة أجزاءا متعددة منه ، وكم نبتهج ونحن نردد لأنفسنا كلماته ، لما تحمل من بركات الحق المتضمن فيها ، .. وهل يجوز أن يقال ان هذه كلها تنزل المسيح عن عرشه وسلطانه المطلق على حياتنا !! ؟ ان من يزعمون هذا لا يستطيعون أن يدركوا الا اليسير عن العلاقة بين المسيح وكلمته ، وأنه من خلال كلمته المباركة المعلنة قد أمكن لقلوبنا الخاطئة أن تأخذ الطريق اليه ، وتمتليء حبا لشخصه المبارك !! ..

ان رجال الاصلاح لم يحلوا قط الكتاب المعصوم محل المسيح المعصوم ، بل انهم على العكس من ذلك بشروا بالمسيح يسوع ، وهم يقدمون للعالم كتابا مفتوحا ، فكلفن مثلا وهو يقدم كتابه العظيم « النظم المسيحية » كان يفتح الطريق أمام أعمق الدراسات وأجلها ، الدراسات التي تقود الى معرفة أوفى برب المجد يسوع ، فاذا عدنا الى لوثر فهل يستطيع أحد أن يقول انه أغمض أو أبهم معرفة الناس بيسوع المسيح ، ألم يقبع بعد دفاعه الرائع التاريخي في مجمع ورمس في قصر قديم ليخرج على العالم ، بالوسيلة العظمى التي تنادي بيسوع المسيح وتبشر بسلطانه المطلق ، لقد ارتكب لوثر حماقة ، لو صح زعم اللاهوتيين العصريين ، ولله

الشكر على هذه الحماقة ، لو صح أنها كذلك ، لقد أقدم لوثر على ترجمة الانجيل الى اللغة الألمانية ، حتى يستطيع الشعب أن يتعرف بنفسه على كلمات الرب يسوع التي تكلم بها ، ولم يكن يعرف لوثر هذه التفرقة المزعومة التي تفصل بين المسيح كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس ، ٠٠ واذ كان أمين النفس أدرك أن أفضل السبل لمعرفة الناس للمسيح هو أن يقدمه لهم في الكتاب المقدس بلغتهم الخاصة المعروفة التي يستطيعون فهمها ، واذ عرفوا الكلمة الالهية ، أمكنهم أن يتعرفوا على المسيح يسوع ربا وفاديا ومخلصا ، واذ أعطى لوثر شعبه الكتاب المقدس ، أعطاهم في الوقت نفسه يسوع المسيح سيدا وربا من غير منازع !! ٠٠

حقا انه اذا كانت هناك ريبة فان هذه الريبة ليست في احلال الكتاب المعصوم محل المسيح المعصوم ، على ما يزعم القائلون بذلك ، بل هي في الواقع في القائلين أنفسهم ، اذ أنهم أعطوا ذواتهم «السلطان» أو «العصمة» وهم يدرون أو لايدرون، فأجلسوا أنفسهم على العرش ، ليصبح «المعصوم» عقل الانسان ، ولم يعد الأمر أمر الكنيسة المعصومة أو « الكتاب المعصوم » بل هو « العقل المعصوم » الذي يطلبون من المسيحية أن تنحني أمامه ، كما أننا في الوقت عينه لا ندرى أيضا أى مسيح هذا الذي يزعمون أن الكتاب أنزله من عرشه !! ؟ أهو المسيح ابن الله الأزلي ، والأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس ، الذي من أجل خطايانا ، تسربل الطبيعة البشرية ، بدون خطية ، وولد من مريم العذراء ، وعاش في الأرض حياة معصومة ، وكرئيس كهنتنا ، مات على الصليب بدلا عنا وقام من الأموات !! ؟ أهذا هو المسيح الذي يعنيه اللاهوت العصرى فيما يقول !!؟ وأهذه هي وظيفته التي أهدرها الكتاب !! ؟ ٠٠ كلا بل على العكس من ذلك ، أنه هو المسيح المبارك الذي يتحدث عنه كتاب الله ، وهذا الكتاب لم ينزل المسيح التاريخي عن عرشه ، بل لعله أنزل مسيحا آخر لا ندريه ،

واذا كان كثيرون يقولون عن أنفسهم « أنا المسيح » فلعله هو واحد ممن يبدو أن اللاهوتيين العصريين يعنونه ويقصدونه !! ؟ واذا كان الأمر كذلك فاننا نعلم أن مثل هذا المسيح هو أفضل ما يستطيع العقل البشرى صنعه ، غير أنه ليس قطعا المسيح الاله حسب الكتاب المقدس !! قد يبدو مسيحا لطيفا بحسب المعايير والمقاييس العالمية ، وينال استحسان الناس !! ؟ وقد يثير الهتاف ، أو يكسب على الأقل الأصوات فى المجامع الكنسية !! ؟ لكن هذا ليس المسيح الذى نعرفه أو نود أن نعرفه ، اذ ليس هو المسيح الذى يقدر أن يغفر خطايانا ، الخطايا التى نعرف عمقها وحقيقتها بقراءة الكلمة الالهية المقدسة ، وما أكثر المسحاء الكذبة ممن يأتون وقد وصفهم السيد قائلا « ... أنظروا لا ترتاعوا لأنه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهى بعد » ( مت ٢٤ : ٦ ) ونحن لا يمكن أن تقبل الا المسيح التاريخى المخلص ، مسيح الكتاب المقدس ، أما ما دون ذلك ، فهو مسيح مصنوع أقامه العقل البشرى « المعصوم » وعلى صورة شوهاء يريد منا أن نقبلها وتتعبد لها !! ..

ان الموضوع القائم أمام الكنيسة اليوم لا يمكن أن يكون نزاعا بين من يتمسكون بنص أصلى معصوم للكتاب المقدس ، وبين من لا يتمسكون بالنص المعصوم ، ثم يؤمنون فى الوقت عينه بمسيحية انجيلية خارقة للطبيعة اذ أن هذا الوضع ان جاز أنه حدث فى الماضى ، فهو لايمكن أن يكون نفس الصورة التى نراه فيها فى الوقت الحاضر ، .. ربما وجد فى الماضى فى بعض اللحظات من آمن بالكتاب وكان شديد الاخلاص لعقائده ، ولم يتمسك فى الوقت عينه بعصمته ، الا أن هذا ان كان قد حدث فى الماضى ، فانه نلدر الحدوث اليوم .. ان الذين ينازعون اليوم فى النص الأصلى المعصوم ، انما ينازعون فيما يزعمون أنها أخطاء غير يسيرة ، ولو قصر الأمر عندهم على توهم أخطاء يسيرة ، لربما بدا البلاء محتملا ، وما بدا

موقفهم قانطا وبغير علاج ان الموقف الآن يتمثل بكل وضوح فى شىء آخر فى أولئك الذين يرفضون شهادة الكتاب المقدس عن نفسه ، ويسيرون وراء ما يتصور أن العقل البشرى يهديهم اليه !! ••

ان حقيقة السر عند هؤلاء تنحصر فى رفضهم العقيدة الكتابية الصحيحة عن الوحى ، •• ولو تحرينا سر رفضهم للنص المعصوم لرأيناه نابعا فى واقع الحال من رفضهم لعقيدة الوحى المقدس الكتابية نفسها ، وهم لا يقبلون العقيدة أساسا التى تحمل فى تلافيفها النص الكتابى المعصوم !! •• والكتاب المقدس ــ ونتكلم هنا عن النص الأصلى ــ أما أنه كتاب غير معصوم لأنه غير موحى به ، أو أنه كتاب موحى به فهو معصوم . ولا وسط بين الأمرين ، وقد حاول الكثيرون عبثا الاهتداء الى أمر وسط بين الاثنين ، التمسك بالوحى من جانب وفى الوقت عينه التفريط فى التمسك بعقيدة النص المعصوم ، وقد بدا ظاهرا أن هذا النوع من الوحى الذى يتمسكون به ، ليس هو الوحى الذى يعلم به الكتاب المقدس !! ••

فى مدينة جنيف هناك نصب تذكارى مشهور ، وهو جدار ضخم رسم عليه أعظم أبطال الاصلاح ، وقد كتب أسفل النصب « بعد الظلام نور » وهى عبارة رائعة عميقة المغزى ، اذ بعد أن ساد الظلام فى العصور الوسطى ، حين أغلق الكتاب ، وقيد خلف اهواء وأغراض مختلفة ، جاء النور ، وجاء على وجه غريب مثير ، اذ جاء عندما فتحت صفحات الكتاب ، وبشر الناس بالحق الذى فيه ، وآمنوا به ، وحفظوه وأودعوه فى خلجات نفوسهم وأعماق قلوبهم !! ••

واذا ساد الظلام اليوم وغطى الناس والأرض ، فان النور الذى يجىء لا يمكن أن يكون نتيجة عمل بشرى ، بل بعمل روح الله القدوس وحده ، وسينبلج النور كما تؤمن ، عندما يعمل روح الله فى القلوب ويتحول الناس من السطحية التى تتسم بها الحياة الدينية العصرية الى كلمة الله الواحد الحى الحقيقى ، وعندئذ تتحول العيون الى كلمة الله التى تعطى الحياة ، الى الكتاب المقدس الذى هو : « نافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى للبر لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح » ..

« ولهذا فكل الكتاب نفخة الله ونافع للتعليم من كل وجه ، ولعل أفضل ما يفعله الانسان ولخير نفسه أن يفتش الكتب المقدسة » ..

يوحنا الدمشقى

« لا يجمل بالانسان أن يفصل العهد القديم من الجديد ، وليس له أن يقول ان روحا واحدا هنا وآخر هناك .. فاننا نعلم أن الروح القدس هو الذى تكلم الى الأنبياء . وهو الذى حل على الرسل يوم الخمسين » ..

كيرلس الدمشقى

« ان الكتاب كله ينقسم الى العهدين .. وقد استعمل اليهود العهد القديم ، ونحن الجديد ، ومع ذلك فليس هناك تناقض ، اذ أن الجديد هو اتمام للقديم ، والشاهد فى كليهما هو المسيح » ..

لاكتانتيوس

# الفصل الخامس

# ماهي العصمة !! ؟

## - ١ -

كثر استعمالنا فيما أسلفنا من حديث عن الكلمة « عصمة » « منزه عن الخطأ » .. وقلنا ان الكتب المقدسة اذ هي صادرة من فم الله « المعصوم » لابد أن تكون بذاتها كمؤلفها الالهى « معصومة » .. فماذا نقصد ياترى بمعنى هذه الكلمة « عصمة » وعلى وجه الخصوص أننا أكثرنا من استعمالها دون أن نحدد معناها أو مدلولها !! ؟ .. وقد ينشأ عن هذا الكثير من الابهام والغموض ، ونحن نردد الكلمة فى أحاديثنا الجارية عن الوحى ، .. ولن يستطاع الحديث بدقة عن الكتاب المعصوم دون أن ندرك معنى الكلمة « معصوم » وعلى وجه الخصوص أن بعض الناس يرفضون التسليم بكتاب معصوم ، لما يزعمون من وجود أخطاء لغوية فيه ، أو ضعف فى الأسلوب أو تباين فى الاقتباس .. فهل حقا توجد هذه فى الكتاب ، واذا وجدت ، فهل يمكن أن يقال انه غير معصوم لذلك !! ؟ واذ كثرت مثل هذه الاعتراضات بات من الضرورى طرح السؤال : ماذا نعنى بكتاب مقدس معصوم ومنزه عن كل خطأ !! ..

- تعنى الكلمة « معصوم » فى الاصلاح الكتابى ، أن الكتاب المقدس يملك سلطانا لايزول أو كما عبر المسيح عنه : « لا يمكن أن ينقض » يو ١٠ : ٣١ .. وهذا يعنى أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يسقط أو يزول فى أحكامه وقراراته ، وأن تعاليمه جميعا ذات سلطان نهائى دائم ولا تقبل

العكس أو الخطأ أو المناقضـــة ، وتعلو على البطلان والزيف والمروق والشطط ، ويمكن أن يقال عن الحق المتضمن فيها ، ان السماء والأرض تزولان دون أن يزول هذا الحق أو يتراجع أو يبيد أو ينقض !! ..

فالكلمة « معصوم » أو « منزه عن الخطأ » يمكن والحالة هـذه تفسيرها بالنسبة للكتب المقدسة أنها الكتب التي تحمل في طبيعتها التحرر من كل خطأ ، والتنزه عن الغلط ، وعدم القابلية للشرود أو الانحراف . وهي كاملة فيما تنطق بالحق ، والبعد كل البعد عن المين والبهتـــان والكذب !! ..

فهل نأخذ هذه المعاني جميعا كرأي أو فكر أو قياس مسبق ، نحاول أن نقيس به الكتب المقدسة ، لعلنا نســـتطيع أن نظفر بالمعنى الدقيق الصحيح لمعنى العصمة ، أم نجهد النفس في فهم العصـــمة عند الكتب المقدسة في الأديان الأخرى ، ونضع نوعا من المقارنة بينها وبين المسيحية في مفهوم العصمة ، ونخرج بالرأي الأدق أو الأصح أو الأدنى ، وعلى وجه الخصوص ان هذه المقارنات جاءت في مؤلفات وكتب كثيرة !! .. ان هذه كلها قد تأتي نافعة وجليلة وموضحة ، .. لكن هناك مع ذلك ماهو أفضل وأسمى وأعمق من كل مايبذل من جهد على هذا الغرار ، وذلك بمعرفة العصمة من واقع الكتاب المقدس نفسه . وما يمكن أن ينطق به من تعاليم وحقائق وأفكار ومبادىء ، .. لقد أجهد الكثيرون من الكتاب أنفسهم . وكان فيهم من استن لنفسه الرأي المســـبق . أو المقابلة مع الأديان أو الفلســفات الأخرى ، أو من أراد أن يعثر على الحق الصحيح دون شرط مسبق ، ومن هذا الصنف الأخير وعلى رأس القائمة فيه ، كان بنيامين • ب • وورفيلد ، الذي ربما لا يبزه أحد من هذا القبيل ، .. لقد عمد هذا الرجل الى الاستقراء الصحيح ، لما يمكن

أن يقول الكتاب عن نفسه ، دون أن يبتدع نظرية معينة يمكن أن يطبقها، ليخرج بالرأى الصحيح ، بل جاء الكتاب من حيث هو • ومن حيث ما يمكن أن يقدم من جواب دقيق على السؤال المطروح !! ••

ولعل أول ما يواجه الباحث فى الكتاب المقدس ما يمكن أن يطلق عليه قضية « الأسلوب » اذ ان أى كتاب لابد من مناقشة أسلوبه ، فى عرض المادة أو الواقعة ، وفى بعض كتب الأديان الأخرى ، كان شرط العصمة مرتبطا بالأسلوب الذى لا يدانى أو يبارى فى الجمال والكمال ، فهل هذا ما يمكن أن نطبقه على الكتـــاب المقدس ، •• وهل ظاهرة الأسلوب فيه ، هى القياس أو واحد من الأقيسة التى تشـــهد عن عصمته !! ••

لا حاجة الى القول ان الكتاب المقدس يبدو من النظرة الأولى للقارىء رائع الأسلوب مجيد الصياغة ، لكنه مهما يكن له من أسلوب أو صياغة ، فهو الكتاب الذى لم يكتب من أجل الأسلوب أو الصياغة ، بل أنه كتب بالأحرى لفائدة القارىء ، واقناعه بالحق الالهى المتضـــمن فيه !! ••

انه ذلك الكتاب العملى الواقعى الذى وصفه الرســول بولس قائلا : « لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء » ( رو ١٥ : ٤ ) •• انه الكتـــاب الذى ينهض لفائدة القـــارىء قبل وبعد كل شىء ، دون البحث فى روعة الأسلوب ، للأسلوب نفسه ، ولا يغرب عن البال أن رسالته ترتفع الى الذروة فى القوة والجمال فيما تتضمن من معان وحقائق !! •• واذا كان الكتاب يتنوع فى الأسلوب ، فمن ذا الذى يستطيع أن يحكم أن أسلوبا يتميز على آخر فيه !! •• فاذا نظرنا مثلا الى سفر التثنية حيث جزالة الأسلوب وسلاسة العبارة التى تغرى على القراءة ، فقد نرى فى أجزاء

أخرى من الكتاب ما قد يختلف تماما عن ذلك ، وبعض الأجزاء فى سفر دانيال فى اللغة العبرانية ، قد لا تتفق من حيث الأسلوب ، مع ما جاء فى سفر التثنية ، .. والأمر بعينه يمكن أن يكون فى سفر المزامير ، فروعة المزمور الثالث والعشرين ورقة ألفاظه قد تختلف تماما عما هو ظاهر من خشونة فى بعض العبارات الواردة فى المزمور التاسع أو القصيد النظيم النخم فى المزمور المائة والتاسع عشر ، ولسنا فى كافة الحالات بصـدد أسلوب آلى موحد ، بل أسلوب متعدد متنوع متميز !! ..

قد يفتقر النظم الشعرى ، مرات كثيرة ، الى المعنى العميق لضرورة الوزن أو القافية ، ولكن المزمور المائة والتاسع عشر قد بلغ القمـة والسمت فى كلا الحالين ، .. وللنظرة الأولى يمكن أن نراه مجزأ الى اثنين وعشرين جزءا ، يتكون كل جزء من ثمانى آيات ، وكل ثمانية فيه نبدأ بحرف من حروف الأبجدية العبرانية ، بمعنى أن الثمانية الأولى تبدأ بحرف « أ » وكل آية من الثمانى آيات تبدأ بحرف ألف ، والثمانية الثانية تبدأ بحرف « ب » وكل آية فيها تبدأ أيضا بحرف باء ، والثالثة بحرف ج ، وكل آية فيها بحرف جيم ، وهكـذا .. الخ ، ومع أنه يستحيل فى الترجمات المختلفة متابعة هذا الوزن العبرى والتمشى فى أثر جماله الأصلى ، الا أن الفخامة والروعة والتأثير البارع له فى أية لغـة أخرى ، تعطى الانطباع بأنه وان وقف فريدا متميزا فى لونه وبابه ، الا أنه يمثل تنوع الأسلوب وتعدده وتميزه فى كلمة الله !! ..

هذا التنوع فى الأسلوب ليس قاصرا على العهد القديم وحده ، بل فى العهد الجديد أيضا ، وقد كان العلامة ج جريشام ماتشين شـديد الكلف فى أن يوضح لطلابه التميز العجيب الواضح فى الأسـلوب من دراسة الأصحاح الأول من انجيل لوقا ، اذ لو أنك قرأت الآيات الأربع الأولى فى الأصحاح لوجدت نفسك وجها لوجه أمام أروع طابع يونانى

فى الكتابة ، وستقرؤها بمزيد من الروعة والبهجة ، على أنك لا تلبث أن تتحول بعد ذلك فجأة ، الى الطابع السامى المبسط ابتداء من العـدد الخامس ، وكأنك تتحول الى عالم آخر : « كان فى أيام هيرودس الملك كاهن اسمه زكريا ... » وهكذا سيأخذك العجب للمهارة الفائقة للوقا وهو يكتب ، وجمال لغته ، بل وأكثر من ذلك ستشكر الله الذى أعطى لكتابه مثل هذا التنوع فى الأسلوب ، والجمال ، والجلال ، والجاذبية !!.

ان الكتاب المقدس محرر والحمد لله من الطابع الرتيب الموحد ، الذى قد يوجد فى غيره من الكتب ، وهو ممتلىء بالتنوع والتميز ، مما يضفى على الأسلوب فيه كل غنى وفخامة ، ويجعله قريبا الى القلب ، وأثيرا الى النفس والاحساس والمشاعر ، ويلمع فى الوقت عينه بأن لاتلازم بالضرورة بين « العصمة » و « التنزه عن الخطأ » والأسـلوب الواحد الرتيب !! ..

فاذا تحولنا الى اتجاه آخر فى السؤال : أليست هناك أخطاء نحوية، ى اليونانية أو العبرانية على حـد سـواء !! ؟ يقول البعض ان بعض الألفاظ خلت من الأصول النحوية ، اذ جاءت كلمة فى سـفر الرؤيا بالمذكر ، وهى فى العادة ، مؤنثة ، كما ظهرت بعض الأخطاء النحوية فى اللغة العبرية فى العهد القديم !! ؟ فهل يمكن أن يكون الكتاب معصوما ، ومنزها من الخطأ ، اذا جاءت به بعض هذه الأخطاء ، التى لابد أنهـا وردت فى المخطوطة الأصلية .. مثل هذا السؤال يحتاج الى مناقشة أعمق حول اللغة نفسها ، ومضمونها ، وعلاقتها بالأصول النحوية المرتبطة بها ، .. ان الخطأ النحوى يقصد به فى العادة ، مجانبة الأصول المرعية ، والتى ألف الناس التخاطب بها عند الكلام ، والأصول فى العادة مختلفة بين الدارج من الكلام ، وبين الفصيح فى اللغة ، ولا يمكن أن يقال ان اللغة الدارجة ، وهى لا تخضع لقواعد نحوية ، تعتبر خاطئة لمجرد أن

الانسان تكلم بها ، ولم يلجأ الى الفصـــحى فى الكلام ، وأبناء اللغة الواحدة قد تختلف لهجاتهم فى التعبير اللغوى ، الى حـد بعيد ، الى الدرجة التى لا يمكن معها ايجاد قواعد موحدة لكلامهم أو ألفـاظهم أو لهجاتهم ، كما أن الزمن قد يغير من المصطلحات ، الى الحد الذى قد ينصرف فيه المعنى الى العكس تماما مما كان عليه فى عصور سالفة ، ولا يمكن أن نجد فى شتى اللغـات ذلك القالب الثابت الذى يحتوى على الأصول الموحدة لما تنطق به هذه اللغات فى شتى العصور والأجيال على مر التاريخ !! ..

فاذا جاء الكلام فى لغة الكتاب ، فى بعض الأوضاع ، بعيدا عن المتعارف عليه فى القواعد والأصول اللغوية ، فلا يقدح هذا على الاطلاق فى عصـــمة الكتاب أو تنزهه عن الخطأ ، اذ أن الله أعطى كلمته للناس ليعرفوه ويخدموه ، واستخدم اللغة التى كانت سائدة فيما بينهم ، والتى تعبر فى نبض الحيوية ، عما يريد أو يقصد ، دون التقيد بقياس نحوى لا يقبل التبدل أو التغيير !! .. والعصمة لا تعنى بهذا المعنى الأسلوب الآلى والصيغة الجامدة التى لا تتغير ، بل هى بالأحرى اللغة التى أراد بها الله أن تأتى فى المخطوط الأصلى وفق ما يريد أن يعلن للناس أو يوحى أو يقضى أو يتحدث !! ..

والأسلوب المتميز فى اعلان الله الخـاص للناس يمكن أن يقارن أو يشابه باعلانه فى خلق العالم ، ألم ير الله كل ما عمله واذا هو حسن جدا ، ولم يصنع الله كل شىء فى الخلق على نسق واحد ، بل ما أوسع التباين فى دنيا الله ، فهناك الروائع فى الخلق مابين الجبال والوديان ، والأماكن الخشنة والناعمة ، مما يخرجها عن الرتابة المملة الى التنوع الضخم العظيم !! .. لقد جاءت كلمة الله الى الناس فى اللغة البشرية ، لغة المتعلمين ولغة الرعاة ، لغة الشعر ولغة النثر ، وكانت حقائق دقيقة ،

وفى الوقت عينه تثرا لايبارى فى الجمال والروعة ، حفلت بالشعر ، وحفلت أيضا بالرمز ، واتسمت بذلك التنوع العجيب الذى امتلأ به الكتاب المقدس ، وكان الكل على أروع الصور من الجمال والجلال ، ولا يمكن أن تحمله اللغة الى الانسان ، الا اذا كانت اللغة التى تتحدث اليه برسالة الخلاص !! ••

## القطع الكتابية المتماثلة

ترد فى الكتاب المقدس بعض الوقائع والحوادث التى يتكرر ذكرها مابين سفر وآخر فيه ، فهل يلزم أن ترد بنصها وفصها فى كل مكان ترد فيه ، والا تضحى الرواية فيها محل تردد أو شبهة !! ؟ واذا حدث اختلاف فى عرض الرواية بين كاتب وكاتب ، فهل يعتبر هـذا دليلا على التعارض والتناقض !! ؟ •• وهناك قطع كتابية كثيرة فى العهدين القديم والجديد . يمكن أن نضعها موضع البحث والمناقشة والمقارنة ، ففى العهد القديم مثلا هناك التشابه مع الاختلاف الطفيف ، بين ما ورد فى النبوة العظيمة عن عصر المسيا فى اشعياء ٢ : ١ ــ ٤ ، وميخا ٤ : ١ ــ ٣ ، ومن المسلم به أن رواية ميخا فى هذا الشأن ، هى الأسبق ، فلماذا لم ينقل اشعياء رواية ميخا نقلا حرفيا دون أدنى تغيير ولماذا أحدث هذا التغيير اليسير الذى فرق بين الروايتين الى حد ما ، •• قد لا نستطيع الاجابة الكاملة عن ذلك ، واشعياء كميخا موحى اليه أيضا ، غير أن العرض المختلف فى حد ذاته ، لا ينهض دليلا على التناقض أو التعارض ، متى كانت الرواية فى صلبها واحدة من غير خلاف جوهرى !! ••

قد تقع فى العادة بعض الفروق الطفيفة فى الرواية الواحدة التى يتعرض لها أكثر من كاتب فى الكتاب المقدس ، غير أن هذا لا يعتبر فى حد ذاته مأخذا عليها أو دليلا على عدم عصمتها أو تنزهها عن الخطأ ،

فقد كان الكتاب وهم من أبناء عصورهم ، يكتبون وفق المألوف أو الدارج فى تلك العصور ، وقد كان الجارى ، على ما يشهد به علم الآثار ، كتابة الرواية الواحدة على أكثر من صورة أو أسلوب ، وقد جاءت على سبيل المثال نسخ متعددة للسجلات السنوية للملك سنحاريب، وقد كتبت لا على ورق ، أو رق ، بل على حجر ، ومع أنها كانت تتعرض للواقعة الواحدة ، الا أنها كانت توردها فى اختلاف يسير بين النسخة والأخرى ، •• ولم ير الكتاب الذين كتبوا الكتاب المقدس — وهم موحى اليهم — ضرورة النقل الحرفى لما سبق أن كتبه غيرهم للواقعة الواحدة ، بل كثيرا ما عرضوها ، فى شيء من الاختلاف البسيط فى كتابتها وعرضها ، ولا يمكن أن يقول أحد ان العصمة تتطلب بالضرورة عرض الرواية بنفس الصورة الأولى ، مادام من الثابت أن الحق الوارد فيها فى شتى الصور هو هو لا يتغير !! ••

فاذا كان الاعتراض مع ذلك ، على أن عرض الرواية الواحدة بأكثر من صورة ، يلقى شبهة على الحق المتضمن فيها ، فنحن هنا نقطع بالنفى، ونؤكد أن لا تعارض على الاطلاق بين أية قطعتين متماثلتين فى الكتاب المقدس ، وان التعارض المتصور أنه واقع فى مثل هذه الحالات ليس الا بمثابة خلط أو سوء فهم فى التفسير ، ولعل خير مثال على ذلك ماورد فى قصة الخلق فى الأصحاح الأول والثانى من سفر التكوين ، اذ قيل ان الرواية فى الأصحاحين مختلفتان فى تصوير عملية الخلق ، ولقد نازع النقد العصرى ، الذى اتخذ من الرواية ، واحدة من قضاياه الأساسية ، ويكفى الرجوع الى كتب المقدمات فى العهد القديم ، فى القرن الماضى ، لنرى المزاعم المعولة الصارخة عند الكثيرين من النقاد بوجود التناقض فى الرواية بين الأصحاح الأول والثانى من سفر التكوين ، ولقد تابعهم من الكتاب فى القرن الحالى من يؤكد أن الرواية لابد مختلفة فى الأصحاحين ،

وكانما هى القاعدة المقررة عند هؤلاء وأولئك بوجود روايتين مختلفتين عن الخلق فى سفر التكوين !! ..

والآخذون بهذا الرأى يعتقدون أن كاتب سفر التكوين عندما شرع فى كتابة السفر وجد أمامه روايتين مختلفتين ، فأخذهما من المصادر القديمة ، وضمهما جنبا الى جنب فى الأصحاحين الأولين من السفر ،.. فهل يمكن أن يكون المعتنقون لهذا الرأى على حق !! ؟ .. اننا من جانبنا نعتقد بكل يقين أنهم ليسوا كذلك ، وأن الرأى الصحيح للعلماء والباحثين المؤمنين بكلمة الله يقطع بالعكس ، وأنه لايوجد ما يمكن أن يقال انه عرض لروايتين مختلفتين ، وكان بالأحرى للناقدين المتعنتين أن ينتبهوا طوال قرن من الزمان ، الى ما يقول علماء الكتاب المؤمنون ، والذين تتلخص حجتهم ، فى أنه اذا صح أن هناك روايتين مختلفتين ، فمن الغريب أن المحرر الذى كتب السفر جمع الروايتين معا جنبا الى جنب ، وأنه لم يستطع أيا من كان هو من أن يلاحظ هذا الفرق المزعوم بين الروايتين ، كما أن أحدا لم يستطع ملاحظة ذلك حتى مطلع القرن الثامن عشر حيث ظهرت حركة النقد الأعلى ، ومبتدعيها !! .. فاذا نحينا هذا كله جانبا ، وناقشنا الأمر موضوعيا تبين لنا زيف الادعاء وبطلانه ، .. يقوم الادعاء على نظرية اختلاف نظام الخليقة وترتيبه فى الأصحاحين ، فالأصحاح الثانى فى سفر التكوين يرتب الخليقة كما يلى : الانسان ، والنبات ، والحيوانات ، والمرأة ، وهذا يختلف على حد زعمهم عن النظام المذكور فى الأصحاح الأول ، ومن ثم فهناك روايتان مختلفتان !! ؟ فهل هذا حقيقى !! ؟ ان القراءة للأصحاح الثانى لا يمكن أن يخرج منها القارىء بمثل هذا الاستنتاج ، اذ أن هذا الأصحاح لا يرتب فى الأصل الوقائع على أساس التسلسل التاريخى ، والاصرار على ذلك يفقد هذا الأصحاح كل مغزى ومعنى ، والا فسننتهى الى أن الله خلق الانسان ( عدد ٧ )

قبل أن يعد له المكان الذى يضعه فيه ، أو أنه خلقه ثم وضعه مرتين فى الجنة ( عدد ٨ ، ١٥ ) •• وهذا ما لا يستطاع تصـــوره ، ويمنع من تفسير الأصحاح على مضمون التسلسل الزمنى !! ••

وقد قيل أيضا أن هناك اختلافا فى الأسلوب بين الأصحاحين ، واذا صح هذا ، فان هذا الاختلاف لايعنى التعارض والتناقض ، بل ينبغى أن يبحث أساسه ودوافعه ، فاذا كان الأصـــحاح الأول وهو يتناول الموضوع على أساس التسلسل الزمنى فى تدرج الخليقة يقع بغير ضريب فى روعته وعظمته ، فان الأصحاح الثانى يتناول من الجانب الآخر ، فى صور أخاذة ، تكوين الجنة ، وغرس الأشجار ، ووضع الانسان فى الجنة، واختلاف التصوير فى الحالين لايمكن أن يؤخذ دليلا على وجود روايتين مختلفتين متباعدتين عن الخليقة على أن الخلاف الأعظم فى زعم هؤلاء الناقدين ينعكس فى الصـــورة التى يعطيها كل من الأصـــحاحين عن الله ، اذ أن الله فى الأصحاح الثانى ، هو ذلك الاله المتدانى الى الانسان والأقرب اليه ، اذ هو فى هذا الأصحاح الله الذى يعمل ، ويغرس ، ويأخذ، ويجبل ، ويبنى ، ويمشى ، بينما هو فى الأصحاح الأول يظهر بصـــورة الخالق المتعالى العظيم ، الذى يقول فيكون ، ويأمر فيصير ، •• والواقع أن هذا الزعم غير صحيح ومردود أيضا بدوره ، اذ أن الله على عظمته فى الأصحاح الأول قريب من الانسان ، اذ هو الله الذى يقول ، ويرى ، ويفصل ، ويدعو ، ويبارك ، ويصنع الانسان على صورته وشبهه ، •• ومن الواضح أن الله فى كل تعامله مع الانسان ، لا يمكن أن يتعامل معه الا بما هو مألوف ومفهوم للبشر ، لأنه كيف يستطيع العقل المحدود أن يقترب من غير المحدود أو يدرك عمله ، الا اذا تدانى الله اليه على مستوى الأسلوب البشرى المفهوم !! ••

ان المفتاح الصحيح لفهم العلاقة بين الأصحاحين يكمن فيما نعتقد فى القول : « هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت » تك ٢ : ٤ ، والدراسة الدقيقة لهذا التعبير يمكن أن تزيل كل لبس وصعوبة ، اذ أن الكلمة : هذه مبادىء قد جاءت احدى عشرة مرة فى سفر التكوين فى اللغة الأصلية ، وتأتى فى العادة كبداءة تقف على رأس جزء معين من الكلام ، كالقول : « هذا كتاب مواليد » و « هذه مواليد نوح » ثم ينطلق فى الحديث عن نوح ، والفلك ، وابنائه الثلاثة ، .. ومن ثم فان العبارة : « هذه مبادىء السـموات والأرض » لا تتناول الحديث أساسا عن السموات والأرض ، بل بالأحرى الحديث عن الانسان على وجه الأرض ، .. والأصحاح الثانى من سفر التكوين يعتبر لذلك ، مفتاحا للحديث عن الانسان ، وليس عرضا مختلفا لرواية ثانية عن الخليقة فى الأرض ، والانسان فى هذا الأصحاح هو مركز الخليقة ، وقد جهز له الله الجنة ، والحيوانات التى ستساعده ، والمرأة التى ستضحى معينة له ، .. وقد جهزت الجنة للانسان ليعيش فيها ، ولتكون اعدادا أو تمهيدا لما سيلحق به فيما بعد من التجربة أو السقوط فى الأصحاح الثالث .. فاذا ما أفصح كل هذا على الوجه الصحيح ، تبين نوع العلاقة التى تربط مابين الأصحاحين المذكورين ، وأنه ليس هناك أدنى تناقض أو تعارض على مايزعم الزامعون ، ويكون الأصحاح الأول بمثابة الحديث عن الخليقة ، والثانى بمثابة الحديث عن الجنة ووضع الانسان فيها ، ويكون هذا هو التفسير الصحيح السائغ ، والمعقول ، والذى لا يمكن مناقضته ، أما مادون ذلك ، فهو باطل ، وزائف وعلى غير أساس ، ويقع الزعم بأن بعض أجزاء الكتاب تناقض الأخرى فيه بغير دليل أو حجة أو سند !! ..

وقد يظهر ، فى الكتاب ، هنا أو هنـاك بعض التغيير الطفيف فى عرض الرواية الواحدة ، لكن هذا لايمكن أن ينال بحال ما من عصمتها

أو تنزهها وبعدها عن الخطأ أو التناقض ، •• بل بالأحرى يكون العرض المتكرر نوعا من التلاحق والتكامل كما هو الأمر فى رواية الأصحاح الأول والثانى من سفر التكوين !! •• ولن نجفل على الاطلاق كمؤمنين ودارسين للكلمة الالهية من اثبات هذه الحقيقة ، فى أى جزء من أجزاء الكتاب ، وحتى فى الأجزاء الصعبة التى تبدو للنظرة الأولى ، وكأنما تحمل نوعا من التعارض ، لا يلبث أن يزول عند الدراسة المتعمقة الفاحصة ، ولعل المقارنة بين ما جاء فى ١ مل ١٥ : ١٤ ، ٢ أى ١٤ : ٥ تعتبر خير مثال على ذلك : •• ففى ١ مل ١٥ : ١٤ « وأما المرتفعات فلم تنزع » •• وفى ٢ أى ١٤ : ٥ « ونزع من كل مدن يهوذا المرتفعات وتماثيل الشمس » •• وفى احدى الروايتين أن المرتفعات قد نزعت ، وفى الأخرى لم تنزع ، فكيف يمكن التوفيق بينهما على ما هو ظاهر من الاختلاف والتعارض !! ؟

من الواجب أن نلاحظ ، قبل مواجهة المشكلة ، بصدد أية صعوبة تواجهنا ألا نصرخ كما يفعل بعض النقاد ، ونقول فى التو والحال ، هنا غلطة ، ولابد أنها وردت فى الأصل ، ولابد أن الكتاب وقد وردت به على هذه الصورة ، كتاب غير معصوم . اننا اذ نفعل هكذا لا يمكن الا أن نكون متسرعين متعجلين . •• والكتاب كما يكشف عن نفسه ، نفخة الله ، والزعم بأن به أخطاء أو نقصان ، هو فى حد ذاته ، كما لو أننا ننسب هذه الأخطاء أو النقصات لله ذاته ، وحاشا لله الكامل من ذلك ، •• وفى الوقت عينه علينا أن ندرك أن الكتاب المقدس كظاهرة طبيعية ، ومن حيث هو ككتاب مقدس لابد بأن يحمل معه مشكلات عويصة وثقيلة الوزن . وبعض هذه المشكلات يلزم أن نقبلها ، ونعلم أنها تتجاوز كل ادراك بشرى ، والا فمن يستطيع أن يجد التعليل الكامل لقضايا الايمان الكبرى ، وعلى سبيل المثال ، يمكن أن نسأل هنا

السؤال الأعمق : لماذا خلق الله السموات والأرض ، وهو الاله الذى لا حاجة له الى شيء !! ؟ وقد يخامرنا هذا السؤال ، ونردده كثيرا فى قلوبنا دون أن نصل الى الجواب الشافى النهائى عليه !! ؟ نحن نعلم أن الله خلق العالم لمجده ، ولكن السؤال مع ذلك يبقى قائما : ولكن اذا كان الله لاحاجة له الى شيء ، فلماذا يحتاج الى مثل هذا الظهور لمجده !! ؟ ولا نملك أن نرفض ايماننا بالله اذا عجزنا أن نعثر على الجواب النهائى لمثل هذه الصعوبة !! ؟ بل لا نملك أن نقول ان الله وقد خلق العالم لمجده ، لا يمكن أن يكون الاله الذى لا حاجة له الى شيء !! ؟.. ان هناك خطا يجمل بالذهن البشرى أن يتوقف عنده ، غير أن الكثيرين مع ذلك يأتون الى هذا الخط معولين عند بعض الصعوبات الكبيرة ، وصارخين : بل هنا خطأ فى الكتاب المقدس ولابد من رفض عقيدة الوحى ، اذ هو كتاب غير معصوم !! ..

ما أكثر الصعاب الكتابية التى يلزم أن نواجهها دون اصرار على الخطأ المزعوم المتصور أنه يلاحقها ، وما أكثر الصعاب التى لا نستطيع أن نجد لها حلا ، اذ تتجاوز تماما الفهم أو الذهن البشرى ، ولا نستطيع أن نجد لها تفسيرا ، الا اذا كان فى قدرتنا أن نجد تفسيرا لعقيدة الوحدانية والثالوث ، على أن هذا ليس معناه الهروب منها ، أو اغفاء البصر عنها ، أوعدم دراستها ، والوصول الى الحلول المقنعة الخاصة بها ، وان كان من اللازم آخر الأمر الاعتراف بمحدوديتنا فى فهمها أو ادراك العوائص فيها ، ولا يجوز مع ذلك أن يتولانا اليأس فى التنسيق فيما بينها ، مهما يكن نورنا فى الوقت الحاضر ضئيلا لكشف أعماقها وأغوارها !! ..

فاذا كانت هناك بعض القطع الكتابية التى لا يمكن التنسيق فيما بينها من غير شطط أو تعسف فان من الأمانة للحقيقة والاخلاص لها

أن نقر بعجزنا عن الجواب ، دون المحاولات الملتوية أو المتعسفة لحلها ، وفى الواقع أنه أكرم كثيرا أن نعترف بهـذا العجز دون المحـاولات أو المداورات التى قد تتم على حساب الأمانة أو النزاهة العلمية ، وليكن لنا هذا اليقين أنه مهما كانت ميولنا فى حل كافة الصـعاب التى يمكن أن تواجهنا ، فان الذين ينبذون العقيدة الكتابية الصحيحة عن الوحى ، يخلفون وراءهم صعابا أقسى وأشد من الواجب أو الأمانة أن يتأملوها ويدركوها !! ..

على أنه فى الوقت عينه ان الاعتراف بالعجز عن الجواب ، وعدم الوصول الى حل أية صعوبة لا يجوز أن ينتهى بنا الى النتيجة أنهـا صعوبات غير قابلة للحل ،اذ ما أكثر يرجع الى العجز فى بعض الصعوبات الكتابية الى القصور فى ادراك الكثير من الحقائق المرتبطة بها ، وكلما ازدادت المعرفة ، كل ما أمكن العثور على الحلول الصـحيحة ، والتى كانت من قبل مجهولة وخافية ، ولعل من الفطنة التريث فى الحكم ، قبل الزعم بأن هذه الصعوبات لها حل على الاطلاق ، أو أن الحلول المتصورة باطلة وغير صحيحة ، .. ان عدم العثور على حل مشكلة ما ، لا يجوز أن يتخذ دليلا نهائيا على أنها بغير حل ، .. ومثل هذه النتيجة لا يمكن أن تشذ عنها بالتأكيد العقيدة الكتابية فى الوحى الالهى !! ..

فاذا عدنا الى الصعوبة الكتابية التى سبق الاشارة اليها فى سـفر الملوك ، وأخبار الأيام ، فان البادى للنظرة الأولى أن هنـاك اختلافا وتعارضا بين السفرين ، ولكن هذا غير صحيح على الاطلاق ، لأنه لو صح هذا الاختلاف ، فان كاتب سفر الأخبار كان سيعارض نفسه ، لأنه أورد حقيقة مخالفة جاءت فى الأصحاح السابق لروايته هنا ، وتختلف

عن الرواية التى ذكرها ، ومن غير المتصور أن كاتبا واحدا يناقض نفسه فى أصحاحين متتاليين ، وتكون المشكلة فى الواقع أفدح وأثقل !! ..

ان التفسير الوحيد الصحيح يكمن فى أن المرتفعات المشار اليها فى سفر الملوك هى المرتفعات الشرعية أو مذابح الرب ، وهذه لم تنزع ، وفى ذلك تتفق هذه الرواية مع ما جاء فى ٢ أى ١٥ : ٧ ، أما ما جاء فى ٢ أى ١٤:٥ فانها تتحدث عن المرتفعات والتماثيل الوثنية وهذه قد نزعت، وهذا التفسير ليس مجرد تفسير مبتدع يتمسك به المؤمنون المحافظون للتوفيق والتنسيق بين التعارض الظاهر ، بل هو رأى بعض العلماء أو النقاد الذين لا يميلون لمثل هذا التوفيق أو التنسيق أمثال تينيوس وبرتيو ، ومن ثم فان الرواية الكتابية تتفق على أن الملك آسا لم يزل مذابح الرب ، بل أزال المذابح التى خصصت لآلهة غريبة ... فاذا قيل بعد ذلك ، ولكن كيف يتفق هذا ، مع ما جاء فى ٢ أى ١٧ : « وتقوى قلبه فى طرق الرب ونزع أيضا المرتفعات والسوارى من يهوذا » ... والكلام هنا عن يهوشافاط بن آسا ، ولا يعتبر هذا تعارضا مع ما سبق، اذ أن يهوشافاط تابع أباه ، فأتى فى اصلاحه الذى قام به ، على المذابح التى لم تكن قد أزيلت بعد ، ومن الثابت أن الملكين ، كان لهما سلطة فى الاصلاح أكثر على يهوذا من اسرائيل ، وأن الاصلاح فى حد ذاته لم يكن كاملا وشاملا ، على ما هو ظاهر من الأصحاحات من سفر أخبار الأيام الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ، ... ومجمل الحديث أن النظرة المتعمقة لما يبدو أنه صعوبة ، ليس معنى ذلك أنها بلا حل ، أو أنها تعبر عن تعارض أو تناقض ، بل هى قابلة للحل أو التفسير السائغ المعقول !!..

## القطع المتماثلة فى الاناجيل

كان النموذج المختصر الذى أوردناه من العهد القديم عن القطع المتماثلة سـواء ما جاء فى سفر التـكوين أو فيما جاء فى سفر الملوك ، وأخبار الأيام ، بمثابة صورتين من صور الصعوبات أو المشكلات التى لا يجوز الوقوف تجاهها بالتصميم على الادعاء بوجود تناقض بين القطع الكتابية ، واذا كنا قطعنا وما نزال نقطع بأن هذا التناقض المزعـوم لا وجود له فى العهد القديم ، فماذا يمكن أن يقال عن العهد الجديد !!؟.. ان العهد الجديد ، كالعهد القديم ، يمكن أن تكون هناك صعوبات أو مشكلات فيه ، لكننا نجزم أيضا بأن لا تناقض على الاطلاق ، بين القطع المتماثلة فيه ، .. على أننا ونحن نؤكد هذا ، يلزم أن نضيفه أمرا جديدا يدفعنا الى الاهتمام المتزايد بشرح الصعوبات ، والتنسيق بين الصور المختلفة ، والتى تبدو كما لو أنها متعارضة !!... فى عام ١٨٩١ كتب أ.ب. بروس فى كتابه « الوحى والعصمة » ما يلى :

« ان الأناجيل تبدو المسرح الرئيسى للتنسيق بين مختلف العمليات ، وليس هناك شىء يدعو الى الأسـف أكثر من المجهود الذى يبـذل فى التوفيق بين البشيرين فى هذا الشأن ، وكان الأجدى والأولى أن يصرف هذا الجهد فى المهمة الرئيسية التى انصرفوا لابرازها ، ونعنى بها خدمة المحبة وتعليم الملكوت ، ونحن اذن نشفق على ما يبذلون مثل هذا الجهد المضنى ، لا نملك الا أن نقول لهم : أيها السادة نريد أن نرى يسوع ، ولا يجوز أن نشغل بالعمل الأقل وهو التنسيق ، ازاء العمل الأعظم الذى هو ابراز فكر المسيح وروحه ، أما أن نشغل بالأمرين معا ، فهذا أمر يصعب الوصول اليه ومتناقض ، واذا كان من الوجهة النظرية أن نعشر النعنع والشبث والكمون دون أن نترك أثقل الناموس الحق والرحمة ، فانه قد ثبت بالاختبار العملى ، أن الانشغال بالأمور الصغيرة يقوض الضمير

الى الدرجة التى يمكن فيها أن يصف الانســان عن البعوضة ليبلع الجمل ، وعلى هذا الغرار قد ثبت أن الاهتمام المبالغ به بالتنسيق لن يعطى أو يمكن أن يعطى الحياة الصالحة فى المسيح ، وليس من الصالح ونحن نقتفى أثر السيد العظيم ، أن تتقيد بقيود التنسيق المتعسفة ، دون ان نعالج الأمور برحابة وشجاعة !!... » ..

ولعله من أعجب الأمور أن يجانب المرء الصواب بهذه الصورة ،.. فمن قال ان الذين يهتمون بأمور التنسيق ، يمكن أن يوصفــوا بأنهم يتركون أثقل الناموس ، .. انهم على العكس ، يهتمون بما يطلق عليها دكتور بروس « الأمور الصغيرة » لاهتمامهم بالأحرى بالأمور الكبيرة،.. واذا كان دكتور بروس يصرح : أيها الســادة نريد أن نرى يسوع !!. فنحن نسأل بدورنا أى يسوع هذا الذى يريد أن يراه !! ؟ وهل نرى يسوع فى سجلات ممتلئة بالعيوب !! ؟ فاذا صح هذا فان السؤال المزعج الذى يلاحقنا اذا كان الانجيل ممتلئا بالعيوب والأخطاء الصغيرة ، فمن يدرينا أنه لا يحتوى على عيوب وأخطاء كبيرة !! ؟ واذا صح أنه يخذلنا فيما يقال انها أمور صغيرة ، فبأى حق يمكن أن نعتمد عليه فى الأمور الكبيرة !! ؟ وأنها لمأساة أية مأساة أن يوصف الاهتمام الصادق بالقطع الكتابية المتشابهة والتنسيق فيما بينهــا بالموقف الفريسى القديم الذى يعشر النعنع والشبث والكمون ويترك أثقل الناموس ، ... لقد ذكرنا ما كتب بروس كصورة أو مثال للكثيرين الذين تباعدوا عن الحق ، ولم يستطيعوا أن يتبينوا الأمر فى وضعه الصحيح !! ...

وقد يكون من الصائب فى ضوء هذا كله أن تتعرض لبعض القطع الكتابية الواردة من الانجيل والتى يزعم أنها تتعارض أو تتناقض !!.. ونحن نصنع هنا ما زعم به ل. ج. ايفانز فى كتابه الدراسة الكتابية والوحى قائلا : « جاء الشاب الغنى كما يظهر فى رواية متى الى المسيح ، وقال له

أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية وأجاب المسيح قائلا : « لماذا تدعونى صالحا » ( مت ١٩ : ١٧ )

وقد تابع مرقس ولوقا نفس العبارة على الوجه الذى يمكن أن يقال معه ان النص مطابق تماما فى الجميع ، غير أن بعض النقاد يعتقدون للأسف أن النص فى متى يمكن ترجمته : « لماذا تسألنى عما هو صالح»•• وهو اختلاف لا يقع فى الكلمات فحسب ، بل فى الفكر والصميم فى الموضوع . وهكذا يبدو أن المعرفة الأدق للآية ، فى وضعها الأصلى . تكشف عن التنوع والاختلاف بين مختلف الروايات » •••

فاذا أمسكنا بهذه الرواية والتى تزعم أن التمسك بالنص الأصلى يصنع مثل هذا الخلاف ، وأن متى حسب أدق المخطوطات القديمة يأتى قائلا : « لماذا تسألنى عما هو صالح » •• بينما يقول لوقا ومرقس : « لماذا تدعونى صالحا » ••• ومع أن ترجمة الملك جيمس الانجليزية لا تعرف فى الثلاثة مواضع من الانجيل الا نصا واحدا « لماذا تدعونى صالحا » الا أن السؤال يبقى اذا كانت المخطوطات الأدق تصنع هذه التفرقة ، فماذا يمكن أن نقول ، والا يبدو هنا التعارض والاختلاف!!؟•• ونحن بدورنا لا نتفق مع هذا الزعم أو نقبله !!••

ولعله من اللازم أن نقول ونحن نواجه هذه الصعوبة أن الاهتمام بحلها لا يعد مضيعة للوقت أو أمرا غير ذى بال ، اذ أننا نعالج هنا ما سبق أن تكلم به سيدنا وهو بالجسد على هذه الأرض ، وليس هناك فى تصورنا ما هو أكثر أهمية من معرفة ما قال بالضبط والمعانى التى كانت تنصرف اليها هذه الأقوال . وأما الذين يريدون تجنب مثل هذه المعرفة بالزعم القائل : « نريد أن نرى يسوع » فانهم فى الواقع يغلقون عيونهم عن الطريق الوحيد الذى يمكنهم من مثل هذه الرؤية !!•• ونحن لا نستطيع

أن نفهم ما قال المسيح أو نعرفه الا من خلال الدراسة الدقيقة لأقواله وأفعاله على هذه الأرض ، ولعله من أهم الضرورات لذلك دراسة القطع الكتابية المتشابهة ، وبحث أوجه التكامل فيما بينها ، حتى يمكن التعرف على ملامح السيد العجيب من وراء الانجيل !!.. ولن يتاح لنا قط بلوغ الحياة فى المسيح – التى يطالب بها دكتور بروس – بدون الوصول الى المعرفة التى قصد السيد أن نصل اليها !!..

ومن المهم أن نعلم أن الأناجيل الثلاثة فى عرض رواية الشاب الغنى لم تكن أسيرة رتابة أو تكرار ممل فمتى يقول مثلا : « واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية » ( مت ١٩ : ١٦ ) ويقول مرقس : « وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » ( مر ١٠ : ١٧ ) ، أما لوقا فقد أورد الحديث قائلا : « وسأله رئيس قائلا أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » لو ١٨ : ١٨ ... والسؤال الذى لا بد منه أولا وقبل كل شيء . وهو سؤال يلزم أن نتأمله بكل امعان ، هل قصد كل بشير من البشيرين الثلاثة أن يضع نصا حرفيا لكل الكلمات التى حدثت بين السيد والشاب الغنى ، أم قصد بالأحرى أن يعطى خلاصة هذه الكلمات ، .. اذا حدث حديث ما ، واستمعه أكثر من واحد ، وطلب منهم أن ينقلوا بدقة وصدق هذا الحديث ، فهل لا يعتبر الحديث صادقا الا اذا نقله الجميع بنصه وفصه حرفا حرفا . أم أنه يمكن أن يكون دقيقا وصادقا ، حتى ولو لم يأت نسخة متكررة واحدة للجميع !! .. ان البشيرين لم يقصدوا أن ينقلوا قطعا الواحد من الآخر صورة ما كتب من حديث ، كما أنه من الواجب أن نعلم أن الحديث جرى فى الأصل باللغة الأرامية بين المسيح والشاب الغنى ، غير أن البشيرين عندما كتبوا الأناجيل كتبوها باللغة اليونانية ، أو أنهم فى الواقع كتبوا ترجمة الحديث من الأرامية الى اليونانية !! .. ومن هنا يتبين أن البشرين

لم يقصدوا على الاطلاق أن يضعوا نصا حرفيا لكل ما دار بين المسيح والشاب الغني ، وليس لأحد أن يثبت أن هذا كان قصدهم أو ينبغي أن يكون كذلك ، كما أنهم كتبوا الحديث مترجما ، فاذا وضع الأمران معا ، يتبين بطبيعة الأشياء لماذا لا تأتي أو يمكن أن تأتي روايتهم واحدة متكررة ، ان صدق الرواية ، على العكس ، أو صحتها ، يبين من أن كل واحد منهم ، رواها من الزاوية التي يرى أنها جديرة بأن تروى منها ، ومن الجانب في السؤال والجواب الذي يلزم أن يدونا به ، فاذا كان متى يركز على الغرض الرئيسي من سؤال الشاب : « أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية » فان مرقس أيضا السؤال : « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » ولوقا : « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » .. وفي كل الحالات المعنى واحد ، وترجمة صحيحة من الأرامية التي تكلم بهـا الشاب الى المسيح ، ولا خلاف في الروايات !! ..

على أن الروايات في عرضها تعطي الصورة البناءة لما درج البشيرون على فعله ، اذ أن كل واحد منهم كان يكتب ، وهو يتوخى هدفا وغرضا معينا يقصده ، ومن الصائب دراسة الأمر من هذه الزاوية ، كما أن كل واحد منهم لم يكن عبدا لأسلوب محدد بل كان بالأحرى ينوع أسلوبه على الوجه المفيد والمتكامل ، وفي كل الحالات هناك الشيء الثابت الذي لا يمكن التزحزح عنه ، ونعني به أنه ليس هنـاك تعارض ، أو خطأ على الاطلاق ، ولا تتطلب العصمة أو التنزه عن الخطأ ضرورة التقليد الذليل ، بل بالأحرى مطابقـة الأقوال للوقائع التي جرت !!.. وهـذا ما فعله البشيرون كل من زاويته ، وعلى الوجه المصادق ، والمؤتمن ، وكان كل منهم يكمل الآخر ، وعلى نحو يؤكد بأن القطع الكتابية المتشابهة جاءت معصومة وخالية من الأخطاء !!..

على أن هذه النتيجة لا تنال الموافقة العامة ، فهناك الذين ما يزالون

مصرين على أن الاختـــلاف الطفيف فى عرض الرواية ، يعنى بالضرورة عندهم تناقضا حقيقيا ويترجم دكتور ايفانز هذا بقوله :

« ان كل تقدم فى فحص سجلات الانجيل يبين أن الفروق المختلفة الموجودة فى هـــذه السجلات ترجـــع الى التصور البشرى الذى يلازم بالضرورة العمليات المعقدة لخروجها الى الوجود فى صورتها النهائية ، فاذا كان من المحقق ، وعلى صورة تاريخية أن أحد البشيرين يقول ان المسيح شفى اثنين من العمى على مقربة من أريحا ، بينما يذكر غيره واحدا فقط ، واذا كان واحد يذكر أن الشفاء حدث فى دخول المدينة ، والآخر فى خروجها ، فان هذا الخلاف يرجع فى وضعه الصحيح الى اختـــلاف المصادر المستقاه منها الرواية ، والى التناقض الأمـــين الطفيف الشهادة الأمينة البشرية ، الذى خضع ولا شك للظروف الشاقة والمعقدة التى اجتازتها هذه الرواية حتى خرجت الى الوجود ، ودون أن يمس هـــذا كله الحقيقـــة الجوهرية المتفق عليها ، وهى المعجزة الثابتـــة بالفحص الدقيق » ...

على أننا على العكس من ذلك لا نقبل هذه النتيجة ، لأنه اذا كانت هناك حقا مثل هذه التناقضات أو الأخطاء ،فانها تهز ثقتنا فى الكل ، .. فاذا كان هناك شيء ما على هذه الصورة ، فانه يوهن اليقين فى ســـائر الأشياء ، واذا اتهم البشيرون بالخطأ فى الصغائر والاهمال فى تحرى الدقة فيما يمكن أن يطلق عليه الأمـــور الطفيفة ، فان النتيجة التى لا مهرب منها ، أنهم معرضون للاهمال فى الكبائر أيضا ، واذا عجز كتاب الانجيل عن أن يحصوا عدد الذين فتح السيد عيونهم ، فمن يدرى عما اذا كانت هذه العيون قد فتحت أصلا ، واذا كان الاحصاء فى حد ذاته مشوها ، فمن يدرى ، اذا كان هناك معجزة قد حدثت فعلا !! ؟... وهل يكون الأمر بعد ذلك هينا كما يزعم دكتور ايفانز !!؟ .

يقول متى : « وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير واذا اعميان جالسان على الطريق » ( مت ٢٠ : ٢٩ ) ويقول مرقس : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان برتيماوس الأعمى بن تيماوس جالسا على الطريق » ( مر ١٠ : ٤٦ ) ، وفى لوقا : « ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالسا على الطريق يستعطى » ( لو ١٨ : ٣٥ ) ••• ومهما بدت الصعوبة فى هذه القطع . فليس من حقنا وصفها بالتعارض والتناقض !!••

فاذا كان متى يتحدث عن أعميين كما تحدث عن مجنونين فى مت ٨ : ٢٨ ، واذا كان لوقا يورد المعجزة على مقربة من أريحا ، ومتى ومرقس يوردانها فى خروجه من أريحا ، واذا كانت هناك صعوبة فى الوصول الى الحل النهائى للموضوع . فان هذا لا يعنى بالضرورة التناقض والتعارض فى الروايات !!•• فمن الجائز أن المسيح كان يجتاز أريحا القديمة الباقية من أيام الكنعانيين ، عندما التقى ببرتيماوس الأعمى ، وشفاه ، وكان معه آخر أعمى ، فاذا كان هذا هو الذى حدث. فان البشيرين كانوا يتحدثون عن أريحا بمعنى مختلف ، اذ كان لوقا يقصد أريحا الجديدة التى بناها الهيرودسيون حديثا فى تلك الأيام . بينما يقصد متى ومرقس المدينة القديمة ، وكانت الواحدة منهما على مشارف الأخرى ، كما أن برتيماوس من الجائز أنه قد أدرك المسيح بعد أن سمع عن موكبه على المشارف الأخرى من المدينة ، وقد يكون الحل بصورة أخرى ، اذا أدركنا كل الوقائع التى أحاطت بموكب المسيح فى دخوله وخروجه من أريحا ،••• وفى كل الحالات ، ليس من حق أحد الجزم بهذا التناقض المزعوم ، بل على العكس هناك ما يدعو للشكر على الدوام لله لامكانية التوفيق بين مختلف الصعوبات الكتابية !!••

أمر آخر يمكن أن نعرض له اذ جاء فى متى ٥ : ٣ القول : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » ••• وذكره لوقا : « طوبى لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » لو ٦ : ٢٠ •

وقد كتب نولن ر• بست فى كتابه الوحى عام ١٩٢٣ فى فصل بعنوان « سراب العصمة » ••• ما يلى :

« ليس هناك فرق فقط فى الكلمات بل فى المعنى ، وكان يمكن أن تتكلم الكثير عن موقف المسيح من الأوضاع الاقتصادية فى الحياة ، لو كان فى امكاننا أن نعرف وهو يتحدث عن الفقر المبارك لأصدقائه الذين سيضمهم اليه ، هل كان يقصد الحاجة المادية أو خلوهم من الكبرياء الدينية » •••

وهل يمكن أن نصرخ هنا يائسين معولين بالتناقض المزعوم الذى لا حل له ، أو أن نصف هنا عن البعوضة لنبلع الجمل ، اذ أولينا الأمر ما يليق به من اهتمام •• ربما يوجد من لا يبالى ، بالزعم أن الأمر لا يستحق أية مواجهة ، لكننا على العكس من ذلك نرى أن من أهم الأمور أن نعرف ماذا قال الرب يسوع رب المجد ، وماذا كان يريدنا أن نعرف فى هذا الموضوع !!؟ وليس من المستطاع تصور أى نوع يمكن أن يكون الكتاب المقدس الذى لا يقدم لنا سجلا مضبوطا من كلمات السيد ، أو أن مثل هذا الكتاب ينال احترامنا اذا قدم لنا ما يمكن أن يكون مشوها عن مثل الموضوع الهام والجوهرى !!•••

والسؤال بعد هذا ، هل هناك تناقض فى التطويبات أم أن كل واحد من البشيرين يكتب من زاوية معينة !!؟ فاذا كان لوقا يركز الحديث للتلاميذ ، ومتى للعموم ، فهل ادعى أحدهما بأنه كتب كل ما قاله السيد!!؟ وأليس من الممكن أنه قصد التلاميذ والجميع معا !!؟ بل أليس من الممكن أنه قال أكثر مما أورده كلاهما فى الكتاب !!؟

وربما للفائدة يمكن أن نضيف مثلا آخر اذ قيل انه يوجد تعارض فى ترتيب الحوادث فى الانجيل ، وعلى سبيل المثال ، ان دعوة التلاميذ ، كما يقولون جاءت فى انجيل متى من حيث الترتيب الزمنى ، على خلاف الصورة التى جاءت بها فى انجيل مرقس وانجيل لوقا ، ففى انجيل متى دعا المسيح التلاميذ أولا فى مت ١٠ ، ثم وبخ الفريسيين على عماهم فى مت ١١ ، وشفى الرجل ذا اليد اليابسة فى مت ١٢ : ١ — ٢١ ، بينما يذكر مرقس ولوقا أن المسيح وبخ الفريسيين على عماهم وشفى الرجل ذا اليد اليابسة ( مر ٢ : ٢٣ — ٣ : ٥ ؛ لو ٦ : ١ — ١٢ ) وبعد ذلك دعا التلاميذ ( مر ٣ : ١٤ — ١٩ ، لو ٦ : ١٣ — ١٦ ) فكيف يمكن فى زعمهم أن يتم هذا ، فاذا كان متى يرتب الحوادث : دعوة التلاميذ ، وتوبيخ الفريسيين ، وشفاء الرجل ذى اليد اليابسة ، فان مرقس ولوقا يرتبانها : توبيخ الفريسيين ، وشفاء الرجل ذى اليد اليابسة ، ودعوة التلاميذ .. ولعله من الواجب قبل الادعاء بهذا التناقض المزعوم ، مناقشة الأمور بكيفية أوفى وأدق ، اذ أن متى فى الحديث الطويل للمسيح فى الاصحاح العاشر قد أورد الكثير مما لا يوجد فى الانجيلين الآخرين ، وقد جاء فى لو ١٢ : ٢١ الكثير من الأفكار والعبارات التى وردت فى الاصحاح المذكور ، مما يحتمل معه أن المسيح تكلم فى أكثر من مناسبة بها ، أو أن متى جمع هذه الأقوال معا لما فيها من ارتباط داخلى .

فاذا أضفنا الى ذلك أن المسيح فى انجيل متى لم يتناول الزمن الحاضر فحسب بل المستقبل أيضا ، اذ تناول أزمنة آتية سيتحمل فيها أتباعه وتلاميذه الكثير من المشقات والمتاعب ، مما يضفى على الحديث طابعا جليلا ومهيبا ، ويعطى احساسا ، باستقلاله وانفراده عن الحديثين القصيرين الواردين فى مرقس ولوقا !!..

فاذا استهل متى الأصحاح الثانى عشر من انجيله بالقول : « فى ذلك الوقت » فمن الصعب التصور أن يكون المقصود بالعبارة الأحداث اللاحقة لدعوة التلاميذ والتى جاءت فى الاصحاح العاشر ، والمرء يعجب وقد وضحت هذه الحقائق جميعا . الى جانب الارسالية العظمى تلاميذ المسيح . والمذكورة فى الاصحاح العاشر كيف يصر المصرون على أن ترتيب الحوادث لم يقع فى الأناجيل صحيحا ، ومن يمكن أن يعطى الرخصة لأحد بهذا الزعم ، مع محدودية المعرفة التى تصاحب ولا شك كل من سيتعرض لهذا الموضوع !!..

ولعلنا ندرك بعد هذا العرض المختصر للقطع المتماثلة فى الانجيل معنى كلمة « العصمة » عندما ترد فى الكتاب المقدس . اذ هى فى فهم المؤمنين المسيحيين مطابقة المكتوب فى الكتاب للحقيقة ، اذ ليس هناك وقائع غير حقيقية ، وليس معنى العصمة أن يورد كل انجيل ، أو كل كاتب فى الانجيل ، فى القطع المتشابهة نفس الحقائق ، بالكلمات الواحدة التى لا تتغير ما بين كاتب وآخر ، بل بالحرى يكتب كل منهم الحق ، ويكتبه فى وقائع صادقة دقيقة . ويعطى الصورة الصحيحة لما يكتب . دون أن يشترط تدوين الحقائق جميعا ، فواحد يكتب من زاوية ، والآخر من الزاوية الأخرى ، وواحد يدون حقائق وغيره يدون أخرى وهكذا ..

ان دراسة القطع المتشابهة فى واقع الحال بناءة جدا ، اذ أنها تعين على ادراك الطريقة المتميزة لكل الكتاب ، على أنه ليس من قصدنا هنا التعرض لكل المزاعم التى يمكن أن تثار من هذا القبيل ، أو أنها تستحق جميعا الفحص ، بل نقصد أن نعرض بعض النماذج القليلة منها لاثبات أنها لا يمكن أن تعطى لأصحابها أدنى حق فيما يدعون أو يقولون !!.. وقد تبين من الدراسة أنه يمكن أن يكون هناك أكثر من حل ظاهر للمشكلة الواحدة ، فاذا لم يكن هناك حل ظاهر ، فان الأمر قد يرجع

الى أن الضوء المحيط بوقائع المشكلة ليس من الكفاية حتى يعطي مثل هذا الحل الظاهر ، ويكون من الأمانة والصدق فى مثل هـذه الأحوال الاعتراف بهذا العجز دون أدنى مداورة ، مع التحقق الدائم بأنه توجد هناك صعوبات تتجاوز فى حلها كل ادراك بشرى ، أما من يملك الجسارة على الادعاء بأن هناك أخطاء فى الأصل ، فكأنما يريد أن يقول ان الكلمة التى أعلنها الله مخطئة ، وأنه جل جـلاله يمكن أن ينفخ بكلمات غـير نقية ، وهو تطاول على الكمال الالهى ، لا يستطيع المسيحى الأمـين لكلمته ولمجد سيده ، أن يقبله أو يجاريه !!...

## التفسير الحرفى

هناك أمر آخر لا بد من الاشارة اليه قبل أن نختم ملاحظاتنا عن موضوع « العصمة » ونعنى به ذلك الاعتراض القائل انه لا ينبغى أن نفسر الكتاب بالمعنى الحرفى ، .. وفكرة التفسير الحرفى هذه تبدو عند بعض العلماء موازية لعقيدة العصمة ، ونحن من جانبنا لا نعرف لمـاذا لا يمكن أن تكون هكذا ، وعلى وجه الخصوص ان هناك من لا يرغب فى التفسير الحرفى ، حتى يستطيع أن يصبغ الفكر الكتابى عند المؤمن بالصورة التى يودها أو يشتهيها !!...

ومن المحقق أن الصبغة المؤسفة وغير العادلة للمعتقد الكتابى قد نرجع جزئيا وفى بعض الأحايين للمؤمن بالكتاب نفسه ، فما أكثر ما نسمع للأسف أحاديث غير منضبطة أو كتابات عشوائية عن موضوع الوحى ، وكثيرا ما يسمع المرء منا من يقول : « أنا أؤمن ان الكتاب المقدس يعنى تماما ما يقول » فاذا لم يكن هناك ما يصاحب مثل هذا القول من مدلول أو مفهوم ، فيخشى أنه يترك على العكس آثار ضارة ، ومثل هذه الآثار لا يمكن أن نردها الى المدافعين العظام عن عقيدة الوحى الالهى أمثال

جوســن ، ولى ، وبانرمان ، وتيبرتن ، وكلفن ، ولوثر ، وهــودج ، ووورفيلد ، وماتشن ، ممن لا يمكن اتهامهم بالمسئولية فى أى تأثير خاطىء ينجم عن التفسير الحرفى للكتاب المقدس ، اذ أن هؤلاء اللاهوتيين العظام كانت تتسم كتاباتهم بكل دقة ، وكل وضوح . انما نحن نعنى أولئك الذين لا يدرسون الدراسات الكافية ، ويلقون الكلام على عواهنه ، وهم ممن يحملون اسم المسيح ، وقد يسببون أضرارا بليغة . حسبما يعتقد الكاتب الحالى . للقضية التى يسىء الكثيرون فهمها بسببهم .

أجل جيد جدا أن يقول الانسان : « أنا أؤمن أن الكتاب المقدس يعنى تماما ما يقول » ... ولكن السؤال مع ذلك يبقى : « ولكن ماذا يقول الكتاب » .!!؟ ومن المحال أن يعرف المرء معنى أية قطعــة من الكتاب الا اذا أدرك أولا ماذا تقول هذه القطعة !!.. والذين يتكلمون دائما عن التفسير الحرفى للكتاب يتركون الانطباع أن كل الكتاب يلزم تفسيره تفسيرا حرفيا !! ..

على أننا من جانبنا نؤمن أن التفسير الصحيح للكتاب ، ينبغى أن يؤخذ فى المعنى ، وفى المعنى فقط ، الذى قصده الكتاب عندما كتبوه ، أو فى لغة أخرى ، المعنى الذى يأخذ فى الحسبــــان التفسير اللغوى التاريخى ، فما جاء فى الكتاب نثرا يفسر نثرا ، وما جاء شــعرا يفسر شعرا ، كما أن لغة النبوة تحكمها القواعد الخاصـــــة بهــا ، وفى كل الحالات ينبغى أن يكون الجهد الدائم للتفســير ، التأكد ، على قدر ما تصل الطاقة اليه ، من المعنى الذى كان يقصده الكتاب ، وبالأولى روح الله الذى كان يحملهم ويسوقهم !! .. ولا سبيل الى هذا كله دون احكام المنطق وقواعد الاستعارة والتشبيه !! ..

نحن نواجه فى الحياة اليومية كافة صـــور التفسير ، وليس من

الضرورى للانسان أن يفسر كل ما يقرأ فى الصحف تفسيرا حرفيا ، بل يفكر ببساطة فيما كان فى ذهن الكاتب عند الكتابة ، ولعل هذا ما ينبغى أن نفعله نحن المؤمنين بكتاب الله ، اذ نفسره على قدر المستطاع بالصورة المتصور أنها كانت فى ذهن الكاتب عند كتابته !! ..

ومما لا ريب فيه أن هناك ، وسيبقى دائما ، أولئك المصرون على ضرورة التفسير الحرفى وحده للكتاب ، وفى الوقت عينه ، هنـاك من المحافظين من يصرون على ضرورة الاهتمام بكافة القواعد والاجراءات الصحيحة للتفسير ، ويطلبون أن ترتفع الخدمة المسيحية الى أعلى مستوى ممكن من التعليم ، ويقدرون أعظم تقدير كل الدراسات التى تعين على التفسير الصحيح للكتاب ، ويلحون فى أن يكون الخدام على دراية عالية باللاهوت واليونانية والعبرانية ، وليس هناك من أسف عنـد المؤمنين الجادين فى دراسة الكلمة الالهية ، قدر أسفهم للمستوى الحالى الهابط فى الدراسات العلمية ، والدراسات اليونانية والعبرانية المتعلقة بالكتاب المقدس ، واذا كان هناك من واجب يلتزم به هؤلاء المؤمنون ، فهو انشاء الجامعات التى يمكن أن تعطى الدراسات الصحيحة من هـــذا القبيل ، اذ أن الكتاب والجهل لايمكن أن يسيرا معا بحال ما جنبا الى جنب !! ..

ان عقيدة العصمة التى نناضل من أجلها لا تتطلب التفسير الحرفى لكل أجزاء الكتاب ، وهى لا تتطلب أن يتحول كتاب الكتاب المقدس الى مجرد آلات مسجلة ، أو أن يسجل جميعهم الواقعة الواحدة تسـجيلا موحدا حرفيا ، أو أن يرتبوا سرد الوقائع وتتابعها بالصورة الواحدة ، اذ يحدث مرات كثيرة ، ولأسباب تختص بالتأكيد ، وليس لمجرد التسلسل التاريخى ، أن يأتى العرض بصـــورة مغايرة ، فاذا نقل كاتبان واقعة واحدة مترجمة من لغة الى لغة ، فلا يشترط أن تأتى الترجمــة واحدة

بنصها وفصها عند الكاتبين ـ كالنقل من الأرامية الى اليونانية ـ بل يجوز أن يستعمل كل منهما حريته فى التعبير ، وفى الحدود التى ينقل فيها بالضبط الفكر الأصلى ، كما أن العصمة لا تتطلب أن يسرد كل كاتب الوقائع بنفس الصورة التى يسردها بها الكاتب الآخر ، أو أن يأخذها من الزاوية التى يأخذها منها الآخر . •• ان العصمة فى كلمات أخرى . تسمح بالاستخدام الكامل للمواهب والوزنات التى أعطى الله الكاتب أن يتحلى بها ، بالشرط الواحد أن يكون هذا الكاتب محمولا بالروح القدس ، وأن يسجل بالضبط مايريده روح الله أن يسجل ، •• ان الكتاب المقدس فى لغة أخرى هو السجل المضبوط لكل ما يتكلم به من وقائع وحقائق ، وهذا مايؤمن به كل المسيحيين الكتابيين ، وما يعتقدون أن الكتاب نفسه يعلم به !! ••

هذه هى الكلمة الالهية العجيبة التى أعطاها الله للناس ، وسيضيع الكثير من عمقها وجمالها لمن لا يتناولهـا الا بالعين المنتقدة ، أما من يقرؤها من الجانب الآخر بالايمان ، فانه ، وانه وحده ، هو الذى لايدرك مافيها من غنى فحسب ، بل يستمع خلالها الى صوت الآب السماوى ، ومهما اختلف الأسلوب أو الطريقة التى كتب بها الكتاب البشريون هذا الكتاب ، ومهما امتد بهم التاريخ الذى كتبوه فيه قرابة خمسة عشر قرنا من الزمان أو اختلاف ظروف الحياة التى أحاطت بهم طوال هـذا التاريخ ، الا أنهم اتفقوا فى اعطاء رسالة واحدة عن الله ، وعن علاقة الانسان بالله ، كما أنهم لم يعطوا أشتاتا من الآراء المتضادة والمتنازعة ، بل أعطوا فكرا واحدا عن عمل الله الفدائى العجيب ، وليس من سبب يمكن أن يعطى مثل هذه الوحدة العميقة الرائعة ، الا السبب الواحد أن الكتاب المقدس هو بالتأكيد كلمة الله !! ••

كان يمكن لمتى أن يقول : « اما ولادة يسوع فكانت هكذا ، غير ان الروح القدس وقد سبق فرأى مخاتله الحق حصننا ضد خداع المخاتلين فقال على لسان متى : « اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا »

ايرانيوس

تأمل جيدا الكتب المقدسة اذ هى « المنطق » الحق للروح القدس

أكليمندس الرومانى

لئن بدا كل سفر متميزا بسمات معينة الا أن ايمان المؤمنين لا يتغير لان الميلاد والآلام والحياة معلنة فيها جميعا بالروح الواحد المرشد

من قواعد قانونية الكتاب المقدس

## الفصل السادس

# ماهي العصمة !!؟

## - ٢ -

كانت بغيتنا فى الفصل السابق التحديد الدقيق لمعنى الكلمة « عصمة » ، ومهما يكن حظنا من النجاح أو الفشل من هذا القبيل ، فان اصرارنا كان واضحا فى مطالبة القارىء ألا يأخذ رأيا مسبقا عن العصمة يحاول تطبيقه ، بل بالحرى يفتش الكتاب لعله يصل الى الجواب الصحيح على سؤاله : •• وقد كان هذا ضروريا فى معتقدنا ، لأن الكتاب المقدس هو الذى ينبغى أن يعطى الصورة الصحيحة عن معنى العصمة ، وقد نبذنا لذلك ما ألف دكتور هـ • ب • سبيث أن يطلق عليه ، النظرية « الطبيعية » عن الوحى الالهى ، اذ نعتقد بكل يقين أنه ليس للانسان أو مقدوره أن يحكم بما هو أو ليس هو « طبيعى » فى نظرية الوحى ، ونضالنا المستمر هو أن الطريق القانونى الوحيد معرفة الوحى الالهى مستمد من الكتاب المقدس نفسه ، وأن نظرية الوحى تؤخذ من هذا الكتاب !! ••

وقد يكون من الضرورى جدا أن نركز على هذا المعنى ، لأن بعض الذين لهم نظريات سامية عن الوحى يقعون للأسف فى هذا الخطأ اذ يعالجون الموقف ، وفى ذهنهم نظريات مسبقة يحاولون تطبيقها ، ومن بينهم مثلا جيمس أور ، الذى لا يشك أحد فى سمو نظرته عن الوحى ومع ذلك فقد عرف العصمة فى كتابه « الاعلان والوحى طبعة ١٩٥٢ صفحة ١٩٩ » •• « انها الحرفية الصلبة والثابتة فيما يتصل بأدق الأمور

التاريخية والجغرافية والتفصيلات العلمية » •• وليس من قصدنا هنا مناقشة التعريف فى حد ذاته ، ومدى مافيه من صواب أو قصور ، لكن السؤال الذى يمكن أن يفرض نفسه ، من أعطى دكتور أور الحق فى تحديد العصمة بهذا المعنى . •• ان كثيرا من الارتباك يحدث فى العادة نتيجة للاقتراب من الموضوع بفرض مسبق !! ••

وقد حاولنا فى الفصل السابق بنصيب متواضع أن نبين ماذا يمكن أن يقول الكتاب عن نفسه ، وقد كانت محاولتنا متواضعة ، ولا شك ، ولكنها أعانتنا على الأقل أن ندرك أن الرأى الكتـــابى قد لا يتفق بالضرورة مع التصورات البشرية ، •• ويهمنا الآن أن نركز على أمر ما يزال موضوع مناقشة حادة ، ويتعثر أمامه الكثيرون فى موضـــوع العصمة ، اذ يقولون انهم لا يستطيعون قبولها ، لما يرونه من الاختلاف فى الاقتباس الذى يأخذه كتاب العهد الجديد عن العهد القديم ، فاذا كانت العصمة صحيحة ، فلماذا لا يأتى هذا الاقتباس بنصه الحرفى كما فى العهد القديم ، فاذا لم يقع هكذا فى بعض الأحايين ، فان دعوى الوحى اللفظى ، وبالأخص العصمة ، يلزم أن تطرح جانبا !! ••

ان موضوع الاقتباس فى الواقع فى غاية الأهمية ، وهناك أكثر من طريقة للأخذ به ، فمثلا ان أكثر الطرق شيوعا أن تكتب أن أ• أ• هودج يقول عن كتب الكتاب المقدس أنها « ••• كلها واحدة وشاملة فى الفكر والعبارة اللفظية ، فى الجوهر والصورة ، وهى بالكلية كلمة الله ، وتنقل بكل ضبط ، وبالسلطان الالهى كل ما يقصد الله نقله بدون اضـــافة أو مزج بشريين » شرح قانون الايمان أ • أ هودج عام ١٨٦٩ •• »

وظاهر أن هذا الأسلوب من الاقتباس يضع العبارة المقتبســـة بين علامتين ، كما يضعها بدون أدنى تغيير أو تحوير ، مما يثبت أنها كلمات

دكتور هودج ، كما أن استهلال الاقتباس قد بدأ بثلاث نقط مما يفيد أن هناك كلمات قد حذفت ، •• والعلامتان اللتان يقع بينهما الاقتباس تفصلان كلمات هودج عن غيرها من الكلمات ، وبهذا الأسلوب يمكن ازالة اللبس بين الكلمات المنسوبة الى هودج ، وكلمات غيره !!••

على أن هناك طريقة أخرى يمكن فيها للمقتبس من هودج أن يؤكد أنه يؤمن بكل كتب الكتاب وأنها بجملتها كلمة الله وخالية من كل خطأ يمكن أن يتسرب اليها من القصور البشرى ، •• وهـذا الأسلوب من الاقتباس لم يورد كلمات هودج حرفيا ، ولكن لا ينكر أحـد أنه نقل بدقة وأمانة رأى هودج فيها ، وقد اقتبس هودج دون أن يتم هـذا حرفيا !! •• وطريقة ثالثة يمكن أن ينقل فيها رأى هودج القانونى على هذا الغرار ، فمثلا يأتى السؤال : « هل يؤمن دكتور هودج بعصمة الكتاب الكاملة !! ؟ وقد يأتى الجواب : « بالتأكيد أنه يؤمن بذلك » وقد ظهر هودج فى الجواب ، لكنه وان لم يرد نص كلامه ، فقد جاء مضمون الكلام وجوهره ، •• وكل واحد من الوسائل السابقة يمثل صورة مختلفة عن الأخرى ، تعلن فكر الرجل على وجه قانونى صادق ، ولعله من المناسب أن نضع مثل هذه الصور أمامنا ونحن نفكر فى الوسائل المختلفة التى اقتبس بها كتاب العهد الجديد من العهد القديم !! ••

## متى ١ : ٢٣

هذا أول اقتباس من العهد القديم جاء فى العهد الجديد وقد أورده متى قائلا : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل ، وقد جاء فى اشعياء : « ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسـمه عمانوئيل » ( اش ٧ : ١٤ ) ، وفى الكثير من الترجمات لا خلاف بين النصين الا فى « يدعون » و « تدعو » فاذا رجعنا الى الأصل نلاحظ أن متى استبدل الفعل المستقبل « ستحبل » مكان الفعل الحاضر ، « تحبل »

وأنه اســــتخدم « يدعون » بدلا من « تدعو » ، ولعله تابع فى ذلك الترجمة السبعينية مع الفارق الطفيف بين « يدعون » و « تدعو » . ومع أن هذا الفارق فى حد ذاته طفيف . الا أن السؤال القائم ولماذا أحدث متى هذا التغيير الطفيف !! ؟ وقبل كل شيء لا يغرب على البال أن متى كاشعياء موحى اليه من الله . وأنه يكتب وهو محمول بروح الله ، وأن الروح القدس هو مؤلف كل الكتاب قد رضى أن يضع متى الاقتباس على هذه الصورة . بعد أن قدم له بهذا التعبير : « وهذا كله لكى يتم ما قيل عن الرب بالنبى القائل » وقد جاء النص أصلا من الله ، وقد أورد متى الفكر عن الأصل بعد الاستهلال المشار اليه ، والكلمة « القائل » لا تحتم أن ينقل متى عن اشعياء ألفاظه بالنص الحرفى ، الأمر الذى يبدو مستحيلا متى ذكرنا أن اشعياء كتبه بالعبرانية وكان على متى أن يكتبه مترجما باليونانية . •• ومع ذلك كان متى حريصا على أن يورد فكر اشــعياء كما أمر به الرب ، دون أن يكون هنـــاك أدنى تناقض بين الكاتبين !! ••

فاذا كان الأصل العبرانى قد ورد فى الفعل الحاضر . فانه قابل للترجمة أيضا فى الفعل المستقبل . وقد ترجمته السبعينية هكذا ، وقد أورده متى على أفضل صورة يعبر عنها الأصل !! ••

وقد استعمل متى كلمة « عذراء » مع أنه لا توجد كلمة فى كل العهد القديم . باللغة العبرانية على قدر ما يعى المؤلف الحالى للكتاب . تعنى على الدوام معنى عذراء . واللفظ المستعمل فى اشــعياء ٧ : ١٤ « علمه » "Almah" قد لا يوجد لها نظير يماثلها تماما فى اللغـــــة الانجليزية ، وأقرب تعبير لها « صبية » أو « بكر » وكلا التعبيرين لا ينصرفان اطلاقا الى امرأة متزوجة ، والأصل العبرانى لم يرد فى العهد

القديم أو خارج العهد القديم لامرأة متزوجة ، كما أن الكلمة العبرانية التى تعنى عذراء وهى "bethulah" « بتول » قد استعملت فى بعض الأحايين لامرأة متزوجة ، وعلى ذلك فقد أصاب متى عندما استعمل كلمة يونانية « بارثينوس » "Parthenos" وتعنى عذراء ، دون أن يستخدم كلمة "neanis" « نيانس » وتعنى « شابة » مما قد يترك المعنى غامضا وكان بذلك مسوقا من روح الله ليستعمل التعبير الصحيح للنص الأصلى ، وكان المقتبس الدقيق الأمين فى اقتباسه !! ..

أما لماذا استعمل متى كلمة « يدعون » بدلا من « تدعو » فقد لا نستطيع أن نعطى الجواب النهائى ، غير أن متى ربما قصد أن يركز على الدعوة أكثر من الشخص الذى يدعو ، وعلى وجه الخصوص أن الملاك فى عدد ٢١ وهو يخبر بالميلاد العذراوى استخدم العبارة « تدعو » كما جاء فى ترجمة العهد القديم اليونانية . وليس المهم فيمن يدعو اسم الصبى ، بل فى اسم الصبى نفسه . وقد تابع متى السبعينية فى هجاء الاسم « عمانوئيل » على أنه أضاف اليه تفسير « الله معنا » لازالة كل لبس فى الأمر !! ..

وقد كان متى أمينا تماما فى متابعته النص الأصلى اليه ، .. انه لم يعط النص الحرفى بضرورة أنه كان يترجم من لغة الى لغة ، لكنه أعطى معنى النبوة بوضوح ، اذ أبرز الحقيقة الصادقة التى سبق الرب فتكلم بها على لسان اشعياء النبى !! ..

على أن السؤال الذى قد يلحق هذا ويتبعه ، هل كان متى يعتبر ، وهو يقتبس من السبعينية ، أنها موحى بها من الله ، وأن ما يقتبسه منها يعتبر فى حد ذاته وحيا الهيا !! ؟ ما أكثر ما تأتى أسئلة على هذه

الصورة ، وان كانت فى حـد ذاتها لا تعتبر من الوجهة الفعلية عنصرا أساسيا يدخل فى نطاق الحديث عن الوحى الالى !! ..

ان الوحى كما أسلفنا الحديث يتركز فى النص الأصلى ، وفى النص الأصلى وحده ، وما خرج من فم الرب ، ودون فى المخطوطات الأصلية ، هو وحده الذى يعتبر وحيا ، والنص العبرانى الحالى بين أيدينا للعهد القديم هو نسخة من الأصل الموحى به ، والترجمة السبعينية ترجمة لهذه النسخة ، .. ولا نستطيع أن نقول مع ذلك ان النص الحالى العبرانى ، أو الترجمة السبعينية موحى بها الا بالقدر الذى نقوله عن أى ترجمة أخرى حالية ، غير أن النص العبرانى الحالى ، وهو مطابق الى حد عجيب ، للأصل الأول ، يمكن أن يوصف بأنه معصوم ومنزه عن الخطأ ، والسبعينية يمكن أن توصف بهـذا الوصف على القدر الذى تطابق به النص العبرانى ، وتعبر عن فكره ، وهى فى حدود هـذا القدر فقط معصومة ومنزهة عن الخطأ ، وكذلك أى ترجمة أخرى ، .. وعليه ففى المعنى الدقيق الكامل الدقة ، ليس هناك وحى الا فى المخطوط الأصلى الذى خرج بنفخة الله ، أما الترجمات المختلفة المتعـددة ، فهى معصومة ومنزهة عن الخطأ بالقدر الذى تحرص فيه على المطابقة للنص الأصلى وتتقيد به !! ..

وقد استعمل متى الترجمة السبعينية بالقدر الذى يتفق مع غرضه، دون أن يعنى هذا أنه يراها موحى بها من الله ، أو يعتبرها كذلك ، وقد استخدمها بالقدر الذى رآه مناسبا لغرضه ، وككاتب موحى اليه استخدمها بالصورة التى يريد روح الله أن يقوم بها ، وهو لا يعنى بذلك أن القطعة التى أخذ منها النص موحى بها من الله ، لأنها جاءت فى السبعينية ، بل لأنها ترجمة صادقة وأمينة للفكر الذى جاء فى العبرانية ، وبالاجمال يمكن القول ان النص الأصلى للمخطوطات العبرانية هو الموحى به ،

والسبعينية ليست موحى بها ، وهى منزهة من الخطأ ومعصومة فى كل ما تطابق به النص الأصلى العبرانى ، وعندما اقتبس رجال العهد الجديد من السبعينية ، لم تصر لهذا السبب موحى بها ، أو أن الكلمات الخاصة المأخوذة منها كذلك ، •• ان الكلمات الواردة فى اقتباساتهم موحى بها ليس لأنها قد جاءت فى السبعينية ، بل لأنها جاءت فى كتابات أناس كانوا هم بأنفسهم محمولين بالروح القدس !! ••

ان العهد الجديد كالعهد القديم سواء بسواء كلمة الله ، وأن هذه الكلمة موحى بها لأنها صدرت من أناس كانوا محمولين بروح الله ، وقد أعلن الله بهذه الكلمة ما كان يريد أن يعلنه على وجه دقيق منضبط ، وقد أرشدهم الله فى استخدام العهد القديم ، كما أعانهم على استخدام السبعينية على الوجه الذى يريده ويطلبه ، •• وقد كانوا فيما كتبوا موحى اليهم من الروح ، ولذا فالنسخ الأصلية للعهد الجديد كالنسخ الأصلية للعهد القديم كلمة الله الموحى بها الى الناس !! ••

ونستطيع أن ننتهى من استخدام متى لاشعياء الى بعض النتائج القانونية التالية :

١ ــ كان كتاب العهد الجديد وهم يستخدمون العهد القديم ملتزمين بالترجمة اما من العبرانية أو الأرامية !! ••

٢ ــ لم يكن كتاب العهد الجديد فى ترجمتهم عبيد نص حرفى ، بل بالأحرى استخدموا أفضل نص يونانى يمكن أن يعطى المعنى الحقيقى للقطعة الواردة فى العهد القديم !! ••

٣ ــ كان كتاب العهد الجديد فى اقتباساتهم لا ينسخون بالضرورة النص الحرفى فى العهد القديم بل يفضلون بالأحرى ايراد المعنى الصحيح الحقيقى له •

٤ ــ كان كتاب العهد الجديد كثيرا ما يفضلون فى استخدامهم للعهد القديم الترجمة اليونانية القديمة المعروفة بالترجمة السبعينية .

٥ ــ لم يتردد هؤلاء الكتاب فى الخروج فى الأمور الطفيفة على الترجمة السبعينية متى رأوا ذلك طيبا ومناسبا للغرض الذى يتوخونه .

٦ ــ ان استخدام العهد الجديد للسبعينية لا يعنى اعتبارها موحى بها من الله .

٧ ــ ان الحقيقة أيضا أن كتاب العهد الجديد وهم يرون السبعينية مناسبة لأغراضهم لايعنى فى حد ذاته أنهم كانوا يعتبرونها موحى بها .

٨ ــ ان الكلمات المستخدمة فى العهد الجديد من السبعينية ، لا تحولها تلقائيا الى قطع موحى بها فى السبعينية .

٩ ــ ان روح الله أرشد كتاب العهد الجديد فى استخدامهم العام واختيارهم للغة الواردة فى السبعينية ، وقد كان ما كتبوه بوحى الهى . وقد أوحى اليهم الله بما كتبوا لا لأنه جاء فى السبعينية ، بل لأنه نفخ فيهم بروحه . وكانوا محمولين بروح الله فى كل ما صدر عنهم من كتابات فى العهد الجديد .

## مرقس ١ : ١ ــ ٣

كانت الطريقة المثلى التى استخدم بها متى اشعياء معينة لنا على ادراك الوضع السليم فى الاقتباس دون لبس أو ابهام ، على أننا الآن سنتحول من انجيل متى الى أول اقتباس جاء فى انجيل مرقس من العهد القديم ، وسنلاحظ هنا صورة أخرى مغايرة تماما لما جاء فى انجيل متى !! ..

ان الاقتباس يرد كالآتي : كما هو مكتوب فى الأنبياء « ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذى يهيىء طريقك قدامك صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » .. على أن بعض المخطوطات القديمة تستهلها بالقول : « كما هو مكتوب فى اشـــعياء النبى .. » وحسب النص العربى . وفى الترجمة الانجليزية المســـماه بترجمة الملك جيمس ، ترد كلمة الأنبياء ، ويسير الكلام مطردا دون أدنى صعوبة ، على أن البعض يتمسكون بأن الأصل الصحيح فى المخطوطات القديمة : « كما هو مكتوب فى اشعياء النبى » فاذا كان هذا صحيحا ، فكيف يمكن أن يلحق بالعبارة مالم يرد فى اشعياء بل فى ملاخى الأصحاح الثالث والعدد الأول . .. نعم لقد جاءت بعد ذلك عبارة اشعياء . ولكن عبارة ملاخى جاءت قبلها .فكيف يصح القول المطلق : كما هو مكتوب فى اشـــعياء النبى » .. ومع أن البعض يتجاوز هذا كله بدعوى أنه خطأ طفيف لايجوز الوقوف عنده ، ونحن لا نؤمن بمثل هذا الدفاع . لأن الخطأ خطأ حتى ولو كان طفيفا ، .. كما أن البعض لايرى فى العبارة أدنى خطأ لأنه فى الاستهلال باشعياء لا يمنع ورود أكثر من نبوة كالباقة من الزهور ، بينها زهور اشعياء . مختلطة بزهور ملاخى . .. فاذا جاءت عبارة اشعياء فى أقدم المخطوطات أو أصدقها . فنحن لا نستطيع أن نختار الطريق الأسهل . بتجاهلها ، استنادا الى ما جاء فى مخطوطات أخرى ، تعمم كلمة الأنبياء . بل سنشق الطريق الصعب ، ونسلم بورود كلمة « اشعياء النبى » ، ونعود بعد ذلك لنسأل هل أخطأ مرقس . وهو يضـــع « اشـــعياء » مكان « الأنبياء » !! ؟ ..

من الواضح أن مرقس كان يمهد فى حديثه للقارىء عن عمل يوحنا المعمدان فى البرية . وتعتبر كلمة « فى البرية » عدد ٣ مفتاح الحديث . اذ أن المرسل الآتي الذى سيعلن عن مجيء المخلص ، سيظهر فى البرية . وكان واضحا من ذلك ان مرقس يشير هنا الى نبوة اشعياء اش ٤٠ : ٣

وفى الوقت عينه كان ذهنه منصرفا الى نبوة ملاخى ٣ : ١ ، ولعل ملاحظة ترتن جديرة فى هذا الصدد بالتأمل ، اذ أنه يعتقد أن ذكر اشـعياء جاء نتيجة أنه الأقدم تاريخيا ، وأن ملاخى لاحقه بنبوة مماثلة ، ولا ينكر أحد تشابه النبوتين ، والمعتقـد أن اشعياء كان فى خاطر ملاخى وهو يكتب نبوته !! ..

فاذا ذكر مرقس اسم اشعياء ، فانما يقصد الاقتباس الخاص بالبرية، وهو الاقتباس الذى يشـير الى عمل المعمدان وخدمته ، فاذا قيل ان الاقتباس اسـتهل بالقول « كما هو مكتوب » فليس معنى ذلك أنه بالضرورة يلزم ايراد النص الحرفى له ، بل القصد الأساسى الاشارة الى مضمونه ، وعلى وجه الخصوص ، أن اشـعياء كتب النص بالعبرانية . وكان لابد لمرقس أن يترجم النص الى اليونانية ، وكان يقصد ولا شك أمرا معينا ، يلزم الانتباه اليه . فماذا كان يقصـد يا ترى !! ؟ .. من الواضح أن العدد الأول والثانى من استهلال الانجيل مرتبطان معـا . فالعدد الأول يشير الى بدء الانجيل ، فما هو بدء انجيل المسيح !! ؟ يقرر مرقس ان هذا البدء ذكره اشعياء ، وهو ما يريد لقرائه أن يلتفتوا اليه ، والبدء هنا هو خدمة المعمدان فى البرية ، الأمر الذى ذكره اشعياء فى نبوته !! .. فاذا سرنا فى هذا الاستطراد ، أمكن أن نعلم لماذا استخدم مرقس الكلمات الأخرى من نبوة ملاخى ، اذ أن هذه الكلمات تعكس الخواطر التى جاءت فى الأصحاح الأربعين لاشعياء ويكفى أن نضـع العبارات الواردة فى النبوتين جنبا الى جنب ، .. « ها أنذا أرسـل ملاكى » ، « صـوت صارخ فى البرية » .. « فيهىء الطريق أمامى » « أعدوا طريق الرب » .. لنرى التوارد بين النبيين ، وان اشعياء كان فى خاطر ملاخى ، وهو يكتب نبوته !! ..

ونحن لا نعنى فيما ذكرنا أنه لا صعوبة أمام الفكر الحديث ، وهو

يتعرض لمثل هذه الاقتباسات ، ولكن كل قصدنا أنه يلزم ان نواجههـا بالكثير من الأناة والتروى ، دون المسارعة فى أن هناك خطأ ، وسنجد الحل ممكنا وميسورا ، مالم يكن هناك اصرار أو تعسف فى الحكم ، الأمر الذى هو ديدن بعض الناقدين ، وهدفهم ، الذى يتشدقون به ، ولعله ان كان هناك خطأ ، •• فانما يكون فى موقفهم هم ، وليس فيما يزعمون أو يتصورون أو يحاولون أن يتصيدوا من أخطاء !! ••

## اعمال ١٥ : ١٤ ـ ١٨

لقد تبينا أنه من الواجب فى أى اقتباس يأخذه العهد الجديد من القديم ، أن ندرسه بكل روية وامعان ، وتتبين وجه الخصوص ، ماذا كان يرغب كاتب العهد الجديد أن يظهره ، وهو بدون هذا الاقتباس ، اذ سيساعد هذا الى حد كبير ، فى الفهم الصحيح ، لمضمون الاقتباس ، وغايته ، •• وقد يظهر هذا بكيفية واضحة ، اذا ما رجعنا الى الأصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال ، فى أقوال يعقوب فى مجمع أورشليم ، وما اقتبس من العهد القديم ، والخلفية التى كانت خلف هذا الاقتباس المذكور !!••

لقد كان أمام الكنيسة سؤال حيوى ، وهو هل تقبل الكنيسة الآتين اليها من الأمم ، من غير أن يختتنوا !! ؟ ولقد أصر بعض المؤمنين ممن كانوا أصلا من الفريسيين بضرورة الختان ، بينما عارض الفريق الآخر ، بقيادة الرسل ، هذا الرأى ، وعلى رأسهم بطرس ، الذى قاوم بشجاعة فكرة الختان ، استنادا الى نعمة المسيح وحدها ، اذ قال : « لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا » ( أ ع ١٥ : ١١ ) وقد ساند برنابا وبولس هذا الرأى ، اذ تحدثا بجميع ما صنع الرب من آيات وعجائب بواسطتهما بين الأمم ، ونهض بعد ذلك

يعقــوب ليتكلم وكان من المتصور وهو من المدققين المتشــددين ، انه ســيعارض آراء زملائه . وينادى بالحرص على الفرائض ، لكنه على العكس أيدهم . وأشار الى كلام بطرس ، ثم اتجه بعد ذلك الى العهد القديم ، وقال مؤيدا : « وهذا توافقه أقوال الأنبيــاء كما هو مكتوب سأرجع بعد هذا وأبنى أيضا خيمة داود الساقطة وأبنى أيضا ردمهــا وأقيمهــا ثانية لكى يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم يقول الرب الصانع هذا كله معلومة عنــد الرب منذ الأزل جميع أعماله » ...

والمعنى العام للاقتباس واضح تماما . اذ هو بدون أدنى مناقشة دعوة الأمم ليصبحوا شعب الله . كما أن اقامة خيمة داود الساقطة . تعنى فى القطعة ، دعوة الأمم الى كنيسة الرب يسوع المسيح ، وقد أخذ يعقوب فى كل هذه اشارات من العهد القديم لتبشــير الانجيل فى العصر الحاضر الذى نعيش فيه . وعندما تقارن هــذه الاقتباسات مع العهد القديم نفسه . لابد أن يأتى السؤال . ولكن بأية صورة تم الاقتباس !!؟ ونعود هنا للاشارة أن لوقا كتب كلمات يعقوب الواردة فى الأصــحاح الخامس عشر باليونانية ، فهل قالها يعقوب باليونانية أم بالأرامية !! ؟ أغلب الظن أن يعقوب قالها فى المجمع بالأرامية ، فاذا كان الأمر هكذا فان ما قاله لوقا لم يكن الا ترجمة لما قاله يعقوب !! .. ومن الواجب أن نضع هذا فى الحسبان ، عند مناقشة الموضــوع ، والآن نعود الى السؤال من أى أجزاء فى العهد القديم استقى يعقوب اقتباساته ، لقــد بدأ قوله : « سأرجع بعد هذا وأبنى خيمة داود الساقطة » .. فاذا قرنا هذا بما جاء فى ارميا ١٢ : ١٥ : « ويكون بعد اقتلاعى اياهم أنى أرجع وأرحمهم وأرد كل واحد الى ميراثه » نجد الكثير من التشــابه ، فاذا أضفنا اليه ما جاء فى الأصحاح التاسع من سفر عاموس : « فى ذلك اليوم أقيم مظلة داود الســاقطة وأحصــن شــقوقها وأقيم ردمها وأبنيهـــا

كأيام الدهر لكى يرثوا بقية آدوم وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم يقول الرب الصانع هذا ( عا ٩ : ١١ ، ١٢ ) مع الملاحظة ان لوقا استخدم الترجمة السبعينية دون أن يتقيد بحرفيتها ، وأنه ترجم عن الأرامية أقوال يعقوب ، والتى لاشك أنه ذكرها مركزة وصحيحة ، ككاتب موحى اليه ، ومحمول بروح الله ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هناك خطأ قط فى الاقتباس ، ولا اعتراض عليه !! ••

وقد ختم يعقوب كلمته : « معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله » مؤسسا الكلام على ما جاء فى « اش ٤٥ : ٢١ » : « من أعلم بهذه منذ القديم أخبر بها منذ زمان » دون أن يعتبرها *اقتباسا مباشرا* من النبى !! ••

وكل ما قاله يعقوب لم يكن الا : « وهذا توافقه أقوال الأنبياء » •• أو فى لغة أخرى انه اقتبس من الأنبياء الأقدمين بعض أقوالهم دون أن يورد نصا حرفيا بهذه الأقوال ، وكل ما كان يقصده ، أن الواقع الذى حدث ، وهو دعوة الله للأمم قد تحققت مطابقة للنبوات القديمة التى جاءت على لسان الأنبياء فى القديم !! •• ولا يمكن أن يكون بعد هذا اعتراض صحيح ضد ما اقتبس من أقوال !! ••

ان الطريقة التى استخدم بها يعقوب العهد القديم تعلمنا بأنه لم يتردد قط فى شرح لغة النبوة القديمة ، كما أنه استخدم التعبير الذى يناسب هذا الشرح ، وقد كانت لغة ارميا التى استند اليها مفهومة تماما ولا شك عند السامع اليهودى الذى كان يستمع اليه ، وكانت تعنى بالنسبة لهذا السامع عودة الله بالبركة لشعبه بعد عقاب السبى ، اذ كانت تربط بناء مظلة داود الساقطة بمظاهر الرحمة الالهية التى حفت بالمسبيين، على أنها فى المعنى الأعمق والأعظم كانت اعلانا عن انجيل النعمة الذى

يبشر به بطرس وبولس وبرنابا ، وينادون به ، وهو أعظم وأروع وأعجب، اذ يدعو النـــــاس الى الرجوع من السبى الأرهب والأقسى من السبى البابلى ، سبى الخطية ، برحمة الله ، وغنى احسانه وجوده لجميع أتقيائه ومفدييه !! ..

على أنه ليس من السهل أن نقطع بما كان يدور فى خلد يعقوب وهو يقتبس من اشعياء اذ يبدو أنه كان يقصد المعنى العام الذى يمكن أن يفهم من الاقتباس ، .. وبالاجمال فان طريقة يعقوب سواء فى الاقتباس. أو فى الاستعانة بالترجمة السبعينية ، تعطى صورة واضحة من صــــور الأساليب التى استخدمها كتاب العهد الجديد فى الاقتباس من العهـــد القديم ..

## اشعياء ٦ : ٩ — ١٠

لقد وضح لنا فيما أسلفنا الاشارة اليه مرات أن العصمة لاتشترط من كتاب العهد الجديد التقيد بالنص الحرفى فى الاقتباس من العهـــد القديم ، وأنه من الواجب دراسة كل قطعة على حدة ، لنصل الى المبادىء التى انتهجها كتاب العهد الجديد وهم ينقلون من العهد القديم ، وكل ما يمكن الانتهاء له فى جميع المجـــالات ، انه لا تعارض أو تناقض بين العهدين بأية صورة من الصور ، وان كتاب العهد الجديد أفصحوا فى كتاباتهم عن الفكر الصحيح للعهد القديم !!

ولعله من الممكن ازالة كل شك من هذا القبيل ، اذا ناقشنا قطعة من أصعب القطع الكتابية فى العهد القديم وهى الواردة فى (اش ٦ : ٩ ، ١٠) والتى تتحدث عن قســـاوة المســـتمعين لرسالة الله المرســـــل اليهم ، ولعل المقارنة بين العبرانية والسبعينية والعهد الجديد تعطى وضوحا كافيا فى الموضوع . فقد جاءت فى العبرانية على هذه الصورة : « فقال اذهب

وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا تفهموا وأبصروا ابصارا ولا تعرفوا غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » •• وجاءت فى السبعينية على هذه الصورة : « اذهب وقل لهذا الشعب تسمعون سمعا ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون غلظ قلب هذا الشعب وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » •• وجاءت فى العهد الجديد فى انجيل متى ١٣ : ١٤ ، ١٥ : « فقد تمت فيهم نبوة اشعياء القائلة تسمعون سمعا ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » وفى مرقس ٤ : ١١ ، ١٢ : « فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله وأما الذين من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم » وفى انجيل لوقا ٨ : ١٠ : « فقال لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله وأما للباقين فبأمثال حتى أنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون » وفى انجيل يوحنا ١٢ : ٤٠ : « قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » •• وفى أعمال الرسل ٢٨ : ٢٦ ، ٢٧ : « قائلا اذهب الى هذا الشعب وقل ستسمعون سمعا ولا تفهمون وستنظرون نظرا ولا تبصرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلا وأعينهم أغمضوها لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » ••

وليس من قصدنا الآن أن نناقش هذه القطع كل على حدة ، وهى فى معناها العام تتفق ، وان كان من الحق أن نتوقف عند تعبير انجيل يوحنا الذى يبدو حسب الظاهر مختلفا لأنه ينسب العملية الى الله الذى

أعمى عيونهم ، غير أن التدقيق فى الفحص ، يبين أن هذه هى المحصلة الطبيعية لعدم الايمان المحزن الذى كان عليه الفريسيون ، وفق ما جاء فى نبوة اشعياء ، أو كما ذكر : « قال اشعياء هذا » .. وهو لا يقصد طبعا أن يعطى نصا حرفيا للقول ، بقدر مايبين أنه المعنى العميق الذى جاء فى النبوة القديمة ، ومع أننا نقف هنـــا أمام قطعة من أغرب القطع الكتابية فى الكتاب المقدس ، اذ أنه واضح من النبوة أن الفريسيين لم يقدروا أن يؤمنوا ، لأن الله حرمهم من هذه القدرة ، فقد فسر يوحنا هذا التفسير الصحيح مما اقتبسه من اشعياء ، ومن الخطأ أن تتصـــور هنا أن نبوة اشعياء تعنى أن وعظ اشعياء هو الذى قسى قلوب السامعين، اذ أن الله بهذه النبوة هو الذى انتهى بهم الى هذه النتيجة ، وقد أعلن هذا مسبقا ، قبل أية مواعظ ، ليبين الهلاك الذى قصد الله أن يوقعه بهم معلنا اياه على فم عبده ، ومع أننا لا نستطيع أن نسبر هنا عمق القضاء الالهى وسره ،الا أننا نقف أمام ما يطلق عليه « عقيدة الترك » اذ ترك الله الهالكين لمصيرهم الأبدى !! .. وكل ما يعنينا هنا أن يوحنا لم يتباعد بل التقى مع المفهوم والقصد العميق من نبوة اشـــعياء !! .. كما أن الاقتباسات الأخرى فى الأناجيل ، تنتهى مع يوحنا واشعياء الى محصلة واحدة ، دون اختلاف أو تناقض !! ..

ولم نقصد ونحن تتابع هذه القطع أو نمتحنها أن نضنى القارىء أو نجهده ذهنيا ، بل آثرنا أن نعطيه على العكس الصـــورة الصحيحة لمفهوم الاقتباس عند كتاب العهد الجديد ، وهم يقتبسون من العهـــد القديم حتى لاتلتبس عليه الصور أو تبهم السبل فىهذا الاقتباس، وبالأكثر حتى لا يؤخذ بالمزاعم والتصورات غير الصحيحة التى يحاول الناقدون لصقها بالكتاب المقدس بزعم أنه كتاب غير معصوم !! ..

ومن الواضح أن العهد الجديد لا يعرف على الاطلاق ، ذلك النوع

من التكرار الآلى الرتيب ، اذ أن كتابه البشريين ، كانوا شخصيات واعية مسئولة ، كما أن كتاباتهم تعيننا على فهم عمق وصدق الوحى اللفظى ، والعصمة ، وتفتح أمامنا ميدانا رحبا وسيعا للبحث والتقصى ، وتعطى الصور المتعددة والغنية والبناءة من هذا القبيل ، كما أن هذه الكتابات تبين كيف أن روح الله فى ملء الزمان قد أعطى النور الأوفى والأعمق على الحقائق التى سبق لكتاب العهد القديم أن كتبوها فيه !! ..

« ان الانجيل لايمكن أن يقوم من جانب ويسقط من جانب »

كبريانوس

« لن يزول منها ــ أى الكتب المقدسة ــ نقطة واحدة حتى تكمل ، لأن فم الرب ، الروح القدس تكلم بها »

اكليمندس السكندرى

« تنفخ الكتب المقدسة روح الملء ، اذ ليس فى الناموس أو فى الأنبياء ، فى البشيرين أو فى الرسل ما لم ينزل من ملء الجلال الالهى »

أوريجانوس

# الفصل السابع

# هل هناك أخطاء في الكتاب

لقد أوضحنا فيما سبق من حديث ، ماذا يمكن للانسان أن يستخلص من تعاليم الكتاب المقدس ، عن عقيدة العصمة فيه ، ومن الميسور للكثيرين أن يوافقوا على هذه العقيدة أو يعتنقوها ، الا أن بعضهم قد يتراجع عن قبول النتيجة النهائية لها ، بدعوى أن هناك بعض الأخطاء فى الكتاب المقدس •

وما من شك بأن هناك الكثيرين من المسيحيين الطيبين ، الذين هم على استعداد أن يثقوا فى الكتاب المقدس ثقة كاملة ، غير أنهم يترددون فى ذلك بسبب من لقنوهم بأن هناك أخطاء فى الكتاب ، ولعل هؤلاء يستحقون منا كل عطف وترفق ، •• وقد أوضحنا فيما سبق أن قارىء الكتاب الجاد قد تعترضه صعوبات كثيرة ، وبعض هذه الصعوبات قد تحتاج الى المزيد من الوقت أو الدراية لحلها ، •• ومن البديهى أن هناك كما ذكرنا مشكلات تتجاوز كل ذهن أو فهم بشرى ، لمحدودية ذهن الانسان ، •• وفى الوقت عينه ان الدراسة الدقيقة الأمينة لابد أن تواجهها هنا أ ـ هناك من الصعوبات ماقد يجهدها ، أو يستنفد الكثير من تفكيرها ، ومن التعجل الصحيح أن يقال ان الانسان قادر على حل كل المشكلات ، حلا نهائيا حاسما ، •• على أنه من التعجل الأقسى والأفجع الزعم أمام الكثير من المشكلات بأنها أخطاء لا حل لها !! •• وليس من الصواب على الاطلاق التشبث بهذه الأخطاء المزعومة ، لأنه اذا كان الكتاب المقدس ،

كما سبق أن قلنا ، كتاب الله الذى نفخ به ، فانه ينبغى على ذلك أنه كتاب حق ومعصوم . والقول بغير ذلك معناه أن الله عاجز عن العمل بغير خطأ . وتهتز صورة الطبيعة الالهية نفسها أمام الانسان ، لأنه اذا كان النص الأصلى للكتاب يحتوى على أخطاء ، فكأنما الله نفسه مدان بأنه يعطينا ماهو غير صحيح أو حقيقى ، ولا عبرة بالقول ان هذه الأخطاء جاءت فى أمور صغيرة ويسيرة ، لأن الخطأ خطأ سواء كان فى الأمور اليسيرة أو الكبيرة . .. ونحن لا نستطيع الثقة البتة فى أى شخص يسترسل فى اعطائنا الأخطاء مهما كان الزعم أنها يسيرة أو بسيطة ، بل ان من يتجاوز الأمور الصغيرة يدفع الى الظن دائما أنه قد يتجاوز الأمور الكبيرة أيضا . واذا كان الله يوصل الينا معلومات خاطئة مهما يقل انها غير مهمة ، فحاشا له أن يكون الها لا يوثق به ، ويصبح الايمان الكتابى بالله نفسه فى مأزق وخطر . .. وقد سبق لنا أن قلنا انه اذا كان النص الكتابى غير معصوم . فانه من المستحيل معرفة ماهو صحيح فيه وما هو غير صحيح ، ويصبح الدفاع عن المسيحية كلها دقيقا وحرجا ، ويضحى الاعلان الالهى بأكمله مشوبا بالشبهة والشك !! ..

ولن نفزع بحال ما ، ونحن نستعرض ، الأخطاء المزعومة التى يقال انها موجودة فى الكتاب ، وقد تعرضنا فيما سبق لقصة الخلق الواردة فى الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ، والتى يزعم أنها حصيلة عصور ما قبل البحث العلمى . والتى لايمكن أن تقبل فى الوقت الحاضر كحقائق تاريخية ، وما أكثر ما تثار هذه التهمة ، ومن الواجب مواجهتها بافاضة وتأمل أعمق . .. ان النقد العصرى يحاول أن يرد قصة خلق السموات والأرض ، وتجهيز الأرض للانسان ليسكن فيها ، وخلق الانسان ، واعداد جنة عدن ، والتجربة وسقوط آدم ، الى التقاليد أو الأساطير ، دون أن تكون فى نظره تاريخا واقعا !! ..

غير أننا لا نقبل على الاطلاق هذا النقد ، اذ أن مجرد الاطلاع على الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين ، يؤكد أننا بصدد قصة تاريخية ، ولسنا أمام تصوير خيالى أو أسطورى ، وكاتب القصة كان يؤمن أنه يدون حقيقة تاريخية ، والمسيح القدوس والمعصوم كان يسلم بها أليس هو القائل : « وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى » ( مت ١٩ : ٤ ) وهو لم يقتبس هذا من سفر التكوين فحسب ، بل أكثر من ذلك أسس تعليمه الخالد عليه : « فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان » ( مت ١٩ : ٦ ) ولو صح ما يزعم به النقد العصرى ، لوقع المسيح — وحاشا له — فى خطأ جسيم ، كما أن بولس الرسول كان يرى الوقائع الواردة فى سفر التكوين حقائق تاريخية ، اذ قارن بين سقوط آدم وفداء المسيح وطاعته ، ولن يكون من المبالغة فى شىء حتى ولو ادعى العصريون العكس — القول ان السقوط لو لم يكن عند بولس حقيقة تاريخية ، لما كان الفداء أيضا ، لقد رأى بولس الأصحاحات الأولى من سفر التكوين واقعا تاريخيا ، فهل كان يعوزه قوة « ابصار » اللاهوت العصرى أو « مغانم » نقد القرن التاسع عشر ، وهو الذى لا يمكن أن يدانى بين الناس فى تفسير العهد القديم !! ؟

ان الأصحاحات الأولى من سفر التكوين لا يمكن الا أن تفسر تفسيرا تاريخيا ، وهى تتحدث عما جرى فعلا من وقائع ، اذ تذكر أن الله خلق السموات والأرض ، وأن آدم وحواء شخصيتان تاريخيتان عاشتا على هذه الأرض ، وأنهما اذ أكلا من الثمرة المحرمة عصيا الله ، وجلبا بعصيانهما النتائج المروعة التى شملت كل العالم ، .. ومن المعتقد أن من يقول ان الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ، وان كانت تحتوى على تاريخ ، الا أنه لا يؤمن بهذا التاريخ ، أفضل بما لا يقاس ، ممن يزعم أنها تتضمن حقا عميقا ، حتى وان لم تكن قد وضعت فى الكتاب كقصة تاريخية !! ..

ان القاعدة الأساسية فى القصة ، اذا هو الايمان بالوقائع التاريخية فيها ، •• فاذا وصلنا الى هذه النقطة ، يأتى السؤال اللاحق هل اختلط الخطأ بهذه الوقائع بزعم أنها لابد أن تكون كذلك لمجىء الكتاب فى عصر سابق للبحث العلمى !! ؟•• ان الجواب على ذلك يقطع بالنفى ، لأن الحقائق الواردة فى سفر التكوين تتفق تماما مع ما انتهى اليه البحث العلمى ولا يستطيع أحد قط أن يثبت أن هناك حقيقة علمية تجافى مثلا ما جاء فى الأصحاح الأول من سفر التكوين !! ••

ويزداد هذا الفكر تأصلا وبهاء ، اذا حاولنا أن نقارن الأصحاح الأول من سفر التكوين بما يطلق عليه القصة البابلية عن الخليقة !! •• ويكفى أن تسأل السؤال عن القصة البابلية ، وهل هناك أخطاء فيهـا لتجد الجواب جاهزا ، •• اذ أن أى تفكير جاء فى هذه القصة تبين أنها ممتلئة ومشحونة بالأخطاء ، وفى الواقع أن الأصحاح الأول من سفر التكوين يقف فى وسط تعدد الآلهة وخرافات العالم القديم وهو أشبه بالزهرة الجميلة الفواحة فى قلب الصحراء القاحلة ، وشتان بين روايته عن تنظيم الكون وروايتها الممتلئة بالخرافات والأساطير ، ان رواية سفر التكوين تتحدث فى روعة كاملة عن الاله الواحد الخالق المجيد ، الممجد فى عمله العظيم فى الخليقة ، ومن لا يملك الا أن يمجد الله وهو يرى عظمته الفائقة فى الخليقة التى أبدعها بسلطان الكلمة الخارجة من فمه !! ••

هل هناك أخطاء فى الأصحاح الأول فى الكتاب المقدس ، ان علينا أن نقول بدون أدنى خوف من مناقضة انه لم يظهر الى الآن من يستطيع أن يثبت خطأ واحدا فى الفصل الافتتاحى الرائع للكتاب المقدس ، •• قال البعض ان ذكر النور بدون الشمس دليل خطأ ، والجواب بسيط اذ أن النور لا يحتاج بالضرورة أن يتركز فى الشمس ، والنور أصلا وليد الحركة والذبذبات المختلفة ، وان كان القارىء المتعمق فى الأصحاح

يستطيع أن يرى أن الخالق المبدع أحدث هذه الحركة التى هى أساس كل نور ، .. قال الآخذون بنظرية النشوء والارتقاء ، ان الانسان هو سلالة حيوانات أدنى ، وليس كما تصفه القصة الكتابية ، والجواب على ذلك أن النظرية وان كانت قد بدأت بتجارب ، الا انها انتهت الى فروض، وهى فروض ساقطة بشهادة الكتاب ، والحديث من النظريات العلمية ، .. وليس هناك من دليل الى الآن يثبت ان الانسان كان أصلا حيوانا أدنى ، بل العكس هو الصحيح ، وهو اذا كان حيوانا من الأصل ، فمن أين جاءت قدرة الفهم ، والكلام ، والتعامل ، ان لم نقل قدرة الاحساس الدينى والتعبد لله ، ان أصحاب نظرية النشوء والارتقاء ما زالوا عاجزين عن اعطاء الجواب الشافى عن هذه كلها ، .. ولا جواب فيما نعلم يمكن أن يأتى خارج العبارة المتكررة فى الأصحاح الاول عن الخليقة : « كجنسه » .. وفى معتقدنا أن نظرية النشوء والارتقاء ، وقد عملت فيها معاول الهدم من كل جانب ، قد خبا بريقها القديم ، ولم تعد لها تلك الهالة الأولى ، وتكاثرت الاعتراضات المتعددة ضدها ، والصعوبات التى تواجه الأصحاح الأول من سفر التكوين ، لم تعد شيئا بالنسبة للصعوبات التى تواجه نظرية نشوء الانسان وارتقائه « اقرأ هل هناك برهان لنظرية التطور ديور وشلتون لندن عام ١٩٤٧ »

فاذا ظهر ثمة اعتراض آخر أن كاتب الأصحاح الأول من سفر التكوين جعل الأرض النقطة المركزية فى كتابه ، فى حين أن الشمس هى مركز الكون ، كان لنا أن نجيب انه حقا فعل ذلك ، لأنه كتب القصة من واحد يعيش على الكوكب الأرضى ، وكيف تخدم الأجرام السماوية الأخرى هذه الأرض ، فهل فى هذا خطأ !! ؟ كما أنه كان لابد أن يركز على الأرض ، وهو يكتب من وجهة النظر الدينية ، فالانسان لن يعيش على كوكب آخر ، بل انه يحيا على الأرض ، وأمامه قصة الفداء ، فكان ولابد أن يضع سفر التكوين التركيز على الأرض ، .. وما الغاية من أن

يركز كاتب السفر على كوكب آخر !! ؟ ان ما قاله السفر كان واضح الهدف فى التركيز على الفداء ، ومع ذلك فهو لم يذكر بتة أن الأرض هى مركز الكون ، ولم ينازع بذلك الحقـــائق العلمية ، ان كل ما قاله ان الشمس والقمر يخدمان الأرض ، وليس فى ذلك شىء يناقض الحقيقة ، ومهما كان لهما من عمل آخر ، فانهما لا شك يخدمان الأرض ، والتركيز هنا على الأرض يتمشى تماما مع الحقائق العلمية ، ان كاتب سفر التكوين لم يقصد أن يبحث العلاقة بين الأجرام السماوية بعضها والبعض ، بل قصد أن يبين خدمة هذه الأجرام للأرض التى نعيش عليها ، فاذا كان هذا هو الغرض فلا يمكن أن يكون ثمة خطأ من أى وجه من الوجوه ، واذا كان لأى انسان بعد ذلك ، أن يعترض بأنه لا يجوز التركيز على الأرض . حتى ولو كان السفر يناقش أمورا دينية ، قلنا ان مثل هذا الانسان ليس من حقه أن يقول ان الشمس تشرق أو الشمس تغرب ، ذلك لأن أى انسان يعيش على هذه الأرض مهما تفاوت حظه من علوم الطبيعة أو الفلك لا يسلك الا أن يتكلم عن الكون من وجهـة نظر انسان ســاكن على الأرض ، .. وهذا ما ينبغى أن يضعه فى الحســـبان من يناقش نظرية التركيز على الأرض الظاهرة فى الأصحاح الأول من سفر التكوين !! ..

على أنه ثمة اعتراض آخر على القصة فى سفر التكوين من حيث عدد الأيام الستة التى خلقت فيها السموات والأرض ، وما يزال السؤال قائما هل كان يقصد كاتب سفر التكوين ستة أيام بمفهومنا لليوم ، أم يقصد بالأيام عصورا طويلة من الزمن . ومع أننا نؤمن بأن الفكر الأخير هو الأقرب الى القصد ، الا أننا نؤمن فى الوقت عينه بأن الله قادر على أن يصنع الكون كله فى ستة أيام بالمفهوم العادى اليومى ، ولا نســتطيع أن نفهم الاعتراض على ذلك . الا اذا أنكرنا على الله قوته الخالقة والقادرة على كل شىء ، .. أجل انه من الممكن أن تكون الأيام المذكورة فى سفر التكوين عصورا جيولوجية طويلة ، لكن هذا لا يمنع من الجانب الآخر

تصور أن هذه الأيام يمكن أن تكون ستة أيام بالمعنى المفهوم لليوم العادي ، ومن جانبي أميل الى تصور أنها عصور جيولوجية ، فيها اليوم أكثر من أربع وعشرين ساعة . .. ولا أقول ذلك لكي أنسق بين القصة الكتابية والجيولوجيا ، بل لمحض التفسير الكتابي ، فالكلمة يوم تعتبر في القصة الكتابية وفى المعنى المستخدم أكثر من مجرد أربع وعشرين ساعة . ومهما يكن التصور عن اليوم من حيث وقته أو طوله ، فان العلم لم يثبت ولا يستطيع أن يثبت غلطة واحدة فى القصة الكتابية عن الخليقة فى سفر التكوين !! ..

وعلى العكس من هـذا هناك اعتراض يقوم على أن الفكرة عن الخليقة لا يمكن التعبير عنهـا على أساس علمى ، ولهذا فان سفر التكوين لم يدونهـا على النهج العلمى بل الأسـطورى ، ويعللون ذلك بسببين ، أولهما أنه اذا كتب الأصحاح الأول من سفر التكوين على أساس علمى ، فان ذلك يقتضى دراسة تعاقب العصور والأزمنة ، وهذا ما لا سبيل اليه ههنا ، كما أن هذا يقتضى العودة الى الزمن غير المحدود والذى لا بداءة له ، وهذا ما يستحيل الخوض فيه ، .. ولهذا فان كاتب سفر التكوين كان عليه أن يعالج الحقـائق التى تتجاوز نطاق الزمن والفضاء . فى المألوف من لغة الحاضر فى الزمان والفضاء .

ومثل هذا الاعتراض ، فى الواقع يخلو من اللياقة والكياسة . ولا يستطيع مواجهة الحقائق الصحيحة . اذ أن الوقائع الكتابية ليست ملزمة بملاحقة الأزمنة المختلفة . والحديث عن الزمن غير المحدود . وأى مطلب من هذا القبيل ، يخرج الله من الصورة ، أو يحاول وضعه فى مستوى الخليقة واخضاعه للمحدودية التى يخضع لها الانسان ، ان عجز الكثيرين من الناس عن التمييز بين الله والانسـان هو الذى يجعلهم على غير

استعداد لقبول القصة الكتابية عن الخليقة ، من حيث هى كقصة تاريخية صحيحة !! ..

ان المأزق عند هؤلاء المعترضين ، هو فى جوهره ، مأزق الايمان بالله ، .. والكتاب المقدس لا يطلب منا الايمان بالله خاضع للزمن والفضاء وفى الوقت نفسه هو خالق السموات والأرض ، بل انه بالأحرى يطلب منا الايمان بالله القادر على كل شىء والخالق ، والمستقل عن الزمن والفضاء ، وليس هناك زمن غير محدود ، ولا بداءة له ، ولا يحدثنا الكتاب عن شىء مثل هذا ، بل هناك الله الذى أخرج الزمن والفضاء الى الوجود ، .. « ولكن لايخف عليكم هذا الشىء اواحد أيها الأحباء ان يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد » ( ٢ بط ٣ : ٨ .. )

وهى كلمات ان دلت على شىء ، فانما تدل على أن الله ليس محدودا بزمن : « من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد أنت الله » ( مز ٩٠ : ٢ ) .. ان لغة الكتاب ، وان كانت لاتخرج بداهة عن المفهوم البشرى ، الا أنها كما يقول : « كرنيليوس فان تل فى كتابه لماذا أؤمن بالله » تفصح بأجلى بيان عن استقلال الله عن الزمن !!..

ان أكبر خطأ يمكن تصوره أن الكتاب المقدس يعلم عن زمن يسبق على هذا الزمن ، أو أنه يتحدث عن زمن غير محدود ، ولا بداءة له ، انه يعلم فقط عن أزلية الله ، وأنه الكائن غير المحدود والذى لا بداءة له أو نهاية !! .. وأنه ، هو ، فى حكمته غير المدركة أخرج الى الوجود ما لم يكن موجودا من قبل ، وأنه أخضع خليقته التى خلقها للزمن والفضاء ، كما أنه هو بالتأكيد صانع الزمن والفضاء ،.. وقد يقول البعض انه من الصعب تصور الوجود من غير زمن أو فضاء ، .. على أنه مهما يكن من صعوبة تصور وجود نهائى ، أو وجود على مستوى الخليقة

بدون اشتراط الزمن أو الفضاء ، فهل يصعب الايمان بالاله الخالق المستقل عن الزمن والفضاء !! ؟ .. ان الكتاب المقدس يعلمنا عن وجود الله واجب الوجود ، ونخطيء أكبر خطأ اذا نزلنا بالله غير المحدود الى مستوى وجود الخليقة ، لأنه مستقل تماما عن خليقته ، والخليقة خاضعة له . وليس هو للخليقة !!..

ان هذا الاعتراض فى الواقع خال من اللياقة والكياسة لأنه يعمل على ازالة الخط الفاصل بين الخالق والخليقة ، وعندما يقرر سفر التكوين أن الله خلق السموات والأرض ، فهو يقرر حقيقة علمية ، انه يعلم أن الله كائن بذاته ، وأنه بكلمة قدرته أخرج الى الوجود ، ما لم يكن من قبل موجودا ، وكان من الممكن الاعتراض على الخلق لو أنه نسب الى انسان أو ملاك ، لكن الكتاب لم يقل ان انسانا أو مخلوقا آخر خلق الخليقة ، بل هو الله الذى خلقها ، وعندما نقرأ اللغة الرائعة التى جاءت فى الأصحاح الأول من سفر التكوين ، نوقن أنها لابد أن تكون مطابقة تماما للعلم ، لأنها اعلان الله الذى تكلم بها ، أما الزعم بأنها لايمكن أن تدون الا على نهج أسطورى ، فمعنى ذلك أننا ننكر حقيقتها التاريخية ، فاذا ذكرت على على النهج الأسطورى ، فمن الحق أن يأتى السؤال : وهل هناك خليقة حقا !! ؟ .. ان الخليقة كما ذكرها الكتاب تطابق اللغة العلمية ، وهى لم تكتب فى اللغة الأسطورية أو الرمزية ، بل فى اللغة الواقعية المبنية على الحقيقة والتاريخ ، لقد حكم الله أن يخرج العالم الى الوجود : « لأنه قال فكان هو أمر فصار » ( مز ٣٣ : ٩ ) ويمكننا لذلك أن نقرأ الأصحاح الأول من سفر التكوين باليقين أنه يطابق تماما الحقائق العلمية الثابتة عن الخليقة .

## متى ٢٧ : ٩

وهنا ننتقل الى قطعة أخرى كانت مثار نقاش طويل وهى الواردة فى متى ٢٧ : ٩ ، ١٠ « حينئذ تم ما قيل بارميا النبى القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب » فاذا قرنا هذه القطعة بما جاء فى زكريا ١١ : ١٣ « فقال لى الرب القها الى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها الى الفخارى فى بيت الرب » فكيف يمكن أن ينسب الى ارميا ما قاله زكريا ، وقد شجع على هذا أن الترجمة السبعينية لنبوة زكريا جاءت مطابقة لما جاء فى متى : « وأخذوا الثلاثين من الفضة » كما أن : « الثمن الذى ثمنوه » يرجع الى الأصل العبرانى فى النبوة المذكورة ، « وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب »تسير فى ذات الاتجاه ، .. وقد كان هناك أكثر من رأى جوابا على ذلك ، وأولها أن ارميا كان بحسب التلمود البابلى يقف على رأس الأنبياء ، ومن المحتمل أن هذا الرأى كان معروفا وسابقا للتلمود نفسه ، والتلاميذ أنفسهم اذ يذكر للسيد رأى الجماهير فيه قالوا انه : « ارميا أو أحد الأنبياء » ( مت ١٦ : ١٤ ) ، ومن المتصور أن ارميا بهذا المعنى ، كان يشير الى كتب الأنبياء ، والآخذون بهذا الرأى يقولون ان المسيح فى تقسيمه للعهد القديم أشار الى القسم الثالث مطلقا بالمزامير : « موسى والأنبياء والمزامير » ( لو ٢٤ : ٤٤ ) مع أن المزامير تمثل الجزء الأول من هذا القسم ، ومن الجائز أن متى أطلق اسم ارميا بالمعنى العام النبوى ، .. على أن هناك من يعتقد أن اسم ارميا قد جاء أساسا لارتباط الاقتباس بما جاء فى نبوات ارميا الأصحاح الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث يصور النبى قدرة الله وسلطانه على الشعوب بقطعة الطين بين يدى الفخارى ، كما أن الله اذ يأمر النبى أن يحطم ابريق الفخارى ، يكشف عما سيفعله هو كاله مقتدر بالأمة

الخاطئة ، أما القول : « أعطوها من حقل الفخارى كما أمرنى الرب » فانها تشير الى طاعة ارميا فى تنفيذ ما أمره به الله ، والاقتباس أساسا مأخوذ من جوهر رسالة ارميا ، وان كان قد أخذ جزئيا كلمات زكريا !!.. غير أن هناك من يربط الاقتباس بما جاء فى ارميا ٣٢ : ٦ ــ ٨ ، ويركز على أن الأساس هنا شراء الحقل ، وليس على ثمن الثلاثين من الفضة ، وان كان هناك من يعتقد أن المخطوط الأصلى كان به زكريا ، ويستند الى أن الاسم ارميا لم يأت فى الترجمة السريانية ، وان كان هناك أخيرا من يعتقد أن اليهود كانوا يؤمنون بأن روح ارميا عبرت الى زكريا ، وقد أسسوا هذا على الترابط بين زكريا ١ : ١٤ ، مع ارميا ١٨ : ١١ ، ٣٥ : ١٥ ، زكريا ٣ : ٨ ، مع ارميا ٢٣ : ٥

فاذا ذكرنا هذه الاجتهادات التفسيرية ، تعين أن نسأل السؤال الأساسى حتى نصل الى الحل المطلوب ، ماذا كان يقصد متى ، وهو يقتبس هذا الاقتباس ، هل كان يقصد أن يقتبس من زكريا ، فاذا كان يقصد ذلك فلماذا أضاف : « وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب » وهى كلمات لا ترتبط بزكريا بل هى أدنى الى الارتباط بارميا ١٨ ، ١٩ !! ؟ فاذا كان يقصد ارميا فلماذا جاءت الصورة مشابهة لما جاء فى زكريا !! ؟ قد يكون من الصعب اعطاء الجواب النهائى فى ذلك ، غير أنه من الحق الاشارة الى التقارب فى اللفظ بين ارميا وزكريا ، وأن النسخ فى المخطوطة عند اختزال حرف واحد بكتابه « Iriou » بدلا من « Ziriou » يصنع الفرق كما يذهب كراوفورد . هـ . توى فى كتابة الاقتباسات من العهد الجديد ، وان كان من المرجح أن متى أخذ الاقتباس من النبيين معا ، وان كان قد دون اسم ارميا فعلى اعتبار أنه الأقدم والأشهر ، وأنه استخدم العبارة الأساسية الواردة فى نبوته ، .. ومهما تكن الصعوبة فى ترجيح أى من هذه الآراء ، فالذى لاشك فيه

بأن الزعم بأن متى أخطأ فى الاقتباس وفى نسبته الى ارميا أو الى زكريا ، يقع على غير أساس ، مادام أن الأصل فى النبوة ، قائم عند الاثنين !!..

## خطاب استفانوس

### أولا — دعوة ابراهيم

فاذا تحولنا الى خطاب استفانوس فى سفر الأعمال ، خطاب شهيد المسيحية الأول الذى يصفه لوقا بأروع الأوصاف اذ « كان مملوءا ايمانا وقوة » ( أ ع ٦ : ٨ ) ولم يستطع خصومه : « أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » ( أ ع ٦ : ١٠ ) ، ومع ذلك فقد وجد من زعم بأنه وقع فى سقطات تاريخية فى كلامه ، .. ومن اللازم أن ندرك بأن استفانوس كان يؤمن بالحق التاريخى الذى ذكره فى الأصحاح السابع من سفر الأعمال ، وقد ظهر هذا الحق فى الدفاع الذى دافع به عن نفسه جوابا على سؤال رئيس الكهنة : « أترى هذه الأمور هكذا » .. فما هى المزاعم التى حاول البعض أن يلصقوها بالوقائع التاريخية التى ذكرها ، .. ان السقطة الأولى فى تصورهم جاءت فى العدد الرابع من الأصحاح حيث يقرر أن ابراهيم خرج من حاران بعد وفاة أبيه ، فاذا رجعنا الى سفر التكوين ، فانه على حسابهم يكون تارح قد استقر فى حاران خمسين عاما على الأقل ، فاذا كان تارح قد ولد ابراهيم فى السبعين من عمره استنادا الى ماورد فى تك ١١ : ٢٦ ، وأن ابراهيم غادر حاران وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، فان معنى ذلك أن تارح عاش مائة وخمسة وأربعين عاما ، وليس كما جاء فى تك ١١ : ٣٢ ، انه مات عن مائتين وخمس سنين ، وهذا هو التناقض حسبما يتصورون ويزعمون . .. ومع أن دكتور ايفانز وهو يستخف بهذا النقد وصفه بريشة فى مهب الرياح ، الا أننا مع ذلك لا نتمشى معه ، أو نستخف بأى نقد مهما يكن ، فنحن لا نقبل أية سقطة فى كلام استفانوس ، ولا

تتصور أن استفانوس يقبل أدنى مساس بالحقائق التى نادى بها ، ومع أنه أمر مزعج ، أن يتلمس الانسان سقطة فى كلام آخر ، الا أن الدفاع الصحيح لايقبل الاستخفاف بأدنى اتهام ، بل لعله بالأحرى يسلط النور على كل شيء ، وينادى بالوقائع الصحيحة فى أدق صورها ، وهو على ثقة بأن مداورة الحقيقة تفقد الانسان احترام سامعيه ، .. ومن غير المتصور بتة أن رجلا كاستفانوس ، وهو فى موقف الدفاع عن حياته ، كان على الدرجة الكبيرة من الاستخفاف الذى حاول أن يصوره به بعض ناقديه ، ان تاريخ العهد القديم كان معروفا تماما لليهود فى ذلك الوقت. وكان من الممكن لهم أن يترصدوا أى خطأ يقع فيه استفانوس ، والحقيقة البالغة الأهمية أنهم لم يرفعوا عقيرتهم بالصياح ضده ولو لواقعة واحدة مما ذكر من وقائع تاريخية فى العهد القديم ، أجل لقد حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه ( أع ٧ : ٢٥ ) ، وقد فعلوا ذلك لا لأنهم وجدوا أخطاء فيما ذكر عن تاريخ العهد القديم ، اذ ليس فى خصومتهم له شيء من هذا القبيل ، بل انهم ثاروا ضده لسبب آخر يختلف تمام الاختلاف عن ذلك ، اذ أنه أدانهم بقتل المسيح البار ، فليس الأمر أمر خطأ فى رواية التاريخ ، بل بالأحرى فى تطبيق التاريخ عليهم !! ..

فهل ناقض استفانوس التاريخ فى سفر التكوين !! ؟ قد يكون من السهل القاء الكلام على عواهنه والزعم أنه أخطأ ، وأن لوقا الكاتب الموحى اليه دون الكلام بالضبط كما قال استفانوس ، دون أن يغير من خطئه فى شيء ، مع الاضافة أن استفانوس لم يكن وقت الكلام موحى اليه ، ومن ثم من الجائز أن يرد الخطأ فى كلامه ، وقد يكون هذا حلا سهلا للموضوع ، وقد يجد فيه المدافعون عن الوحى اللفظى سبيلا ميسورا لاجتياز الصعوبة ، لكنه ان صح أنه حل ميسور فمن غير المتصور أنه الحل الصحيح ، وذلك لأن كل الوقائع تشير الى أن استفانوس عندما تكلم كان موحى اليه حقا ، اذ نقرأ أنه امتلأ من الروح

القدس والذين شخصوا اليه رأوا وجهه كأنه وجه ملاك ، ولا يجرؤ أحد ممن يقرأ الخطاب كله فى سفر الأعمال أن يقول ان استفانوس لم يكن موحى اليه فيما تكلم ، ولعل محاولة البحث عن الحل السهل لأية صعوبة ، قد تتحول آخر الأمر الى العكس ، وتجلب الازدراء اذا لم تستطع مواجهة الحقائق الكتابية الصحيحة !! ..

ويرى البعض حلا للموضوع فى تفسير العمر الحقيقى لتارح أبى ابراهيم الوارد فى تك ١١ : ٣٢ ويقولون ان هناك ترجمة قديمة للأسفار الخمسة ، والمعروفة بالترجمة السامرية لهذه الأسفار ، وقد جاء فيها الرقم مائة وخمسا وأربعين سنة ، وليس مائتين وخمس سنوات ، ومن المتصور أنهم أخذوه عن المخطوط الأصلى القديم ، وان كان البعض يرى أنه ليس من الدقة الأخذ بهذه الترجمة لاثبات الأصل فى النص العبرانى ، .. وثمة رأى آخر أن استفانوس عندما أشار الى موت تارح لم يكن يقصد موته الجسدى ، اذ أنه حسب تقليد يهودى قديم ، رجع الى الوثنية بعد أن رحل من أور الكلدانيين الى حاران ، ويتردد البعض فى قبول الرأى أن استفانوس كان يقصد الموت الروحى ، لا الجسدى عندما تحدث عن موت تارح ، وهناك من يتجه الى تفسير تك ١١ : ٢٦ « وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران » .. وأصحاب هذا الرأى يقولون من الطبيعى أن تارح لم يلد الثلاثة أولاد وهو فى السبعين من عمره ، بل أنه بدأ فى انجابهم وهو فى السبعين من العمر ، وان ترتيب الأولاد هنا لم يقصد به الترتيب المبنى على العمر ، بل ان أبرام وضع أولا باعتبار أنه أشهر الثلاثة ، أو هو الترتيب المبنى على الأهمية ، وأن تارح ولد أبرام وهو فى المائة والثلاثين من عمره ، والبعض يعتقد أن هذا هو الحل الطبيعى للمشكلة ، وأنه ليس ثمة ما يمنع فى الأجيال القديمة من ذلك ، غير أن المترددين فى قبول هذا الرأى أو ترجيحه يتصورون أن هذا العمر متأخر فى الانجاب ، ..

ومهما يكن الخلاف حول عبارة استفانوس القائلة : « ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه » وقد أشرنا الى أن البعض يعتقد أنها تشير الى الموت الروحى لأبيه ، وأن ابراهيم برجوع أبيه الى الأوثان أصبح ميتا فى نظره ، وأنه انفصل عنه تماما ولم يعد يراه ، وان تردد البعض فى الأخذ بهذا المعنى ، •• وان كان آخرون يقولون ان استفانوس لم يقصد بعبارته سوى متابعة السرد التاريخى لما جاء فى سفر التكوين ، حيث ذكر فى السفر موت تارح أولا ، ثم رحيل ابراهيم من حاران ، ومن الجائز أن هذا هو الحل ، •• لكنه من المؤكد ليس هو الحل الخالى من كل صعوبة ، •• ومن الجائز أن واحدا من هـــذه الحلول هو الحل الصحيح ، أو قد يكون هناك حل آخر ، وقد قال لوثر مرة تجاه واحد من الصعاب أنه يغبط تماما ذلك الانسان الذكى الذى يرشده الى الحل، على أن الأمر يحتاج مرات كثيرة الى ماهو أكثر من الذكاء ، ونعنى به الاحاطة بالزوايا الخفية فى الموضوع ، ومن الجدير بالذكر أن صـدق استفانوس قد ظهر ما يؤيده فى كتابات فيلو اليهودى السكندرى الذى طابق الرواية اذ ذكر أن رحيل أبرام من حاران تم عقب موت أبيه ، ومن الثابت أن اليهود لم يجدوا مأخذا عليه فى تفســيره لتاريخ العهـــد القديم !! ••

كما أن هناك نقطة أخرى يلزم اثباتها ، اذ يتبين من لغة استفانوس أن هناك دعوتين لابرهيم أولاهما : « ظهر اله المجد لأبينا ابرهيم وهو فى ما بين النهرين قبلما سكن فى حاران » وهذه الدعوة جاءته فى أور الكلدانيين ، أما الثانية فقد كانت فى حاران اذ جاء القول : « ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه الى هذه الأرض » ( أع ٧ : ٤ ) ، وليس ثمـة تعارض بين سفر التكوين وسفر الأعمال ، اذ أن ســفر التكوين ذكر الدعوة اجمالا ، وذكرها استفانوس تخصيصا وهو يلاحقهـا من أور الكلدانيين الى حاران الى أرض الموعد ، •• وفى القصة لا خلاف على

الاطلاق على الروايتين ، وأية صعوبة يمكن أن تثار قد يكون لها حل من الحلول التى ذكرناها ، .. أو يمكن أن تكون هناك زوايا خافية نحتاج الى الوصول اليها لمعرفة الحل النهائى ، .. أما الزعم بالتناقض فلا وجود له . ولا يمكن لأحد أن يثبته !! ..

ثانيا ــ طول العبودية المصرية

وثمة صعوبة أخرى تصورها البعض ، وهى طول العبودية المصرية التى جاءت فى العدد السادس : « وتكلم الله هكذا أن يكون نسله متغربا فى أرض غريبة فيستعبدوه ويسيئوا اليه أربع مائة سنة » وقد حدد استفانوس هنا العبودية المصرية بأربعمائة عام ، ويتفق هذا مع ما جاء فى تك ١٥ : ١٣ حيث يتبين أن الشعب سيعانى الغربة والعبودية أربع مئة سنة ، كما أن خروج الاسرائيليين من مصر بعد اقامة دامت أربع مئة وثلاثين سنة على ما جاء فى خر ١٢ : ٤٠ . فاذا صح هذا فان التساؤل لا يواجه استفانوس بل يواجه بولس الذى قال : « وانما أقول هذا ان الناموس الذى صار بعد اربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد » ( غل ٣ : ١٧ ) . وفى عرف هؤلاء الزاعمين أن الزمن ما بين اعطاء العهد والناموس يجاوز ستمائة عام ، ويكون بولس قد جانب الصواب وهو يردد الزمن بأربعمائة وثلاثين سنة ، .. وفى ذلك يزعم دكتور ايفانز . أنه اذا أخذنا بالتوراة العبرانية وأقوال استفانوس ، فان الزمن الذى ذكره بولس يجانب الصواب بما يقرب من مائتى عام ، ولا يجوز فى عرفه التعلل بعدم معرفة المخطوط الأصلى لأن بولس كان كما يزعم ، من عاداته متابعة السبعينية ، وقد أضافت السبعينية عند الترجمة بعض الكلمات الى النص العبرانى ، بما يفيد أن الزمن أربعمائة وثلاثين يشمل الغربة فى كنعان الى جانب الغربة فى مصر ، وهو يرجح النص العبرانى

واستفانوس على السبعينية وبولس ، والا فانه يواجه صعوبة ليس من السهل حلها !! ..

ومن العجيب ان عالما كدكتور ايفانز يمكن أن يسقط فى تصوره الى هذا الحد ، وتختلط عليه الحقائق الى هذه الصورة ، ونحن لانقبل المنطق الذى أسماه التعلل بالنص الأصلى ، كما لا نفهم أن رجلا يزعم أنه يتمسك بالأصل ، يمكن أن يتحدث على هذا الأسلوب ، فاذا عدنا الى الموضوع لانجد هناك أى تناقض ، لأن العدد أربعمائة يمثل الزمن بمعناه العام ، كالقول أربعة قرون ، بينما العدد أربعمائة وثلاثون هو الزمن بمعناه المحدد الدقيق ، فاذا عدنا الى الصعوبة الأكبر وهو هـذا الفارق المتصور من السنين والمقدر بمائتى عام ، فان التفسير القديم الذى يرجع الى أيام يوسيفوس المؤرخ اليهودى يفسر خروج ١٢ : ٤٠ على اعتبار أنه ليس مجرد الغربة فى أرض مصر ، بل ما سبقها من غربة فى أرض كنعان ، ويصبح الزمن الشامل للغربة كلها أربعمائة وثلاثين سنة ، ومن ثم فان الترجمة السبعينية والترجمة السامرية القديمة تضيفان « وفى أرض كنعان » فاذا أمكن التسليم بهذا الفكر أصبحت المدة الأربعمائة والثلاثون سنة هى المدة التى لم يكن للشعب فيها سيطرة على أرض الموعد ، وتكون الصعوبة قد حلت بجرة قلم ، ومهما يكن من صحة هذا الرأى ، فان هناك الرأى الآخر الذى يتمسك به آخرون ، وقوامه أن الأربعمائة والثلاثين عاما هى مدة : « اقامة بنى اسرائيل التى أقاموها فى مصر » ..

وأيا كان اتجاه الرأيين فمن الواضح أن الخلاف بينهما ، لا يرجع الى التعارض أو التناقض فى الروايات ، بل الى الخلاف فى القواعد الحسابية التى يراها كل منهما جديرة بالصحة ، والى النهج التفسيرى الذى يلتزمان به ، وعلى سبيل المثال أن بولس كان يقارن هنا بين اعطاء

الوعد لابرهيم واعطاء الناموس ، ولو أن التركيز انصب على هـــذا النهج . لأدركنا أن الغاية عنده لم يكن القصد منها تحديد زمن غربة شعب الله فى مصر ، اذ كان قصده يتجه الى شىء آخر يختلف عما قصده استفانوس أو ما جاء فى سفر الخروج أو فى التكوين أيضا ، ولعله لابد أن نضع فى الحسبان أن بولس لم يكن يقصد على الاطلاق رصد طول الغربة فى مصر ، كما أن من يزعم بالتعـــارض أو التناقض بين بولس واستفانوس عليه أن يدرك أن الغاية أو الهدف لكل منهما فى الكتـــابة لم يكن واحدا ، فاذا كان الخروج مثلا قد بدأ تماما بعد نهاية أربعمائة وثلاثين سنة ( خر ١٢ : ٤٠ ) ، فان اعطاء الناموس قد تم بعـــد ذلك بثلاثة أشهر ( خر ١٩ : ١ ) ، وكان على بولس أن يعطى الزمن التقريبى ، اذ أنه على عكس سفر الخروج لم يكن معنيا بتحديد الوقت القاطع بين الوعد والناموس ، بل كان همه الأكبر المقارنة بين الاثنين .

ولعله من المناسب لهذا أيضا أن نلاحظ أن بولس وهو يتكلم عن الوعد المعطى لابرهيم ، ذكر ابرهيم ونسله ، وفسر هـــذا النســـل فى المسيح ، ومن الممكن جدا فى ضوء هذا الفرض ، وفى ذكر ابرهيم ونسله ان بولس كان يقصد المقارنة بين عصر اعطاء الوعد ، أو العصر الذى يطلق عليه عصر الآباء كله ، وعصر الناموس ، .. وبين العصرين قرابة أربعمائة وثلاثين عاما ، وهذا الفاصل الزمنى العظيم هو ذلك الزمن الذى كانت فيه الأمة مستعبدة فى مصر ، ووفقا لهذا الرأى ، فان طرفى هذا الفاصل يحددان النهاية والبدء للعصرين المذكورين !! .. فاذا كان هذا هو النهج الذى انتهجه بولس ، فلا تثريب عليه فى هذا الأسلوب ، وهو مناسب تماما للغرض الذى قصده ، ولا تعارض على الاطلاق بين موقفه والقطع الكتابية الأخرى المشار اليها ، وعلى من يزعم العكس أن يثبت ان بولس واستفانوس كانا يقصدان شيئا واحدا ، وهذا غير صحيح كما

هو واضح ، .. ان وضوح الرؤية فى الكثير من الصعاب المشابهة ينتهى فى العادة الى الحل السائغ المعقول المقبول ..

ثالثا ــ صعوبات أخرى

وفى خطاب استفانوس هنالك صعوبة أخرى وهى الواردة فى العدد السادس عشر : « ونقلوا الى شكيم ووضعوا فى القبر الذى اشتراه ابراهيم بثمن فضة من بنى حمور أبى شكيم » فاذا وضعنا هذه الآية مع ما جاء فى سفر التكوين ٣٣ : ١٩ حيث نرى يعقوب وقد اشترى حقلا من بنى حمور أبى شكيم ، وفى الوقت عينه نقرأ عن مغارة المكفيلة التى اشتراها ابرهيم مع الحقل من عفرون الحثى ( تك ٢٣ : ٣ ــ ٢٠ ) تعين أن نسأل ما الحل لهذه الصعوبة !! ؟ .. ان البعض يرى بأن الاسم ابراهيم قد وضع فى لغة استفانوس بمعنى الجنس : « نسل ابراهيم » .. وهذا شبيه بالقول الذى قاله الشعب لرحبعام الملك : « أى قسم لنا فى داود » ( ١ أم ١٢ : ١٦ ) وهم لا يقصدون داود طبعا بل رحبعام باعتباره من نسل دواد ،كما أن أبيا بن يربعام قد أطلق عليه اسم أبيه فى القول : « ويندبه جميع اسرائيل ويدفنونه لأنه وحده من يربعام يدخل القبر » ( ١ مل ١٤ : ١٣ ) ، كما أن داود كان يشير الى المسيح فى ارميا ٣٣ : ١٥ فابراهيم هنا اشارة الى يعقوب أبى الأسباط ، أو أن كلمة ابرهيم جاءت فى مخطوطة قديمة ، مكان يعقوب ، كما يعتقد آخرون ، .. وقد وجد من اعتقد أن ابرهيم قد اشترى فعلا مكان شكيم عند بلوطة مورة عندما جاء الى أرض كنعان ( تك ١٢ : ٦ ) .. ، ومن الواضح أن هذه الحلول تؤكد القاعدة العامة التى نحرص على تأكيدها ، وهى أن المواجهة الأمينة الشجاعة لأية مشكلة تعطى لمن يتصدى لها شعورا أعمق بصدق الكتاب وأمانته !! ..

وهناك صعوبة أخرى تصورها البعض فيما جاء فى مر ٢ : ١٦ والتى تقول عن داود : « كيف دخل بيت الله فى أيام أبياثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لايحل أكله الا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا » .. فاذا ربطنا هذا مع ما جاء فى ١ صم ٢١ : ١ ــ ٦ يتبين أن الكاهن الذى أعطى لداود خبز التقدمة ، كان هو اخيمالك بن اخيطوب ، ومن الملاحظ أن صموئيل لم يذكر أن اخيمالك هو رئيس الكهنة ، وكان أبياثار هو ابن اخيمالك ، وهو الوحيد الذى نجا من بيت أبيه بعد أن قتل شاول كهنة الرب ، وقد كان مع أبيه يمارس وظيفة الكهنوت ، وقد نال شهرته الكبيرة فيما بعد كرئيس كهنة ، ومن ثم فانه لا يخالف الواقع ان يذكر مرقس أنه فى أيامه أخذ داود خبز التقدمة !! ..

اننا لم نغفل التعرض لجميع الصعوبات التى ذكرناها ، لليقين الثابت أن كلمة الله صادقة ومعصومة ، وأنه ينبغى أن نبنى حياتنا وأعمالنا على صدقها وعصمتها ، وكل من يقطع بأن هناك أخطاء أو قصورا فيها ، يدعى فى الواقع لنفسه علما لا يملكه أو يقدر عليه ، اننا نعيش الآن على بعد ما يقرب من عشرين قرنا من الزمان من آخر كاتب كتب فى الكتاب المقدس ، فهل نستطيع بعد هذا أن ننتقل الى تاريخ تلك الأزمنة وتتحدث عنها ، بالجزم فى الصحة أو عدم الصحة عن وقائعها ،.. ان من يظن أنه يستطيع ذلك ، انما يكشف عن ضحالة ادراكه لطبيعة العمل الذى يواجهه ، .. وفى الوقت نفسه ان علم الآثار قد كشف عن كثير من الحقائق الصادقة ، التى ظن الناس لفترة من الزمن أنها غير كذلك ، وعلى الأحكام المضادة للكتاب أن تراجع لا مرة واحدة أو مرتين ، بل مرات متعددة ، ومن الواجب أخذ الكثير من المشكلات بالتروى والأناة ، فاذا ظهر أننا لا نملك حلا لمشكلة فمن اللازم أن

نعترف بذلك ، ومن الحكمة أن نعترف بعدم درايتنا فذلك أوفى وأدق من التسرع بالحكم بالخطأ المزعوم الظاهر !! ••

ان كلمة الله نقية ، وهى ليست الرسالة المختلطة بزغل الأخطاء والشوائب ، وقد نطق بها فم الحق نفسه !! وهى الكلمة الغنية الحافلة بكل ماهو مجيد ومتنوع ، وحاجة الكنيسة العظمى أن تستمع اليوم الى هذه الكلمة ، ولعل الوقت الذى يصرف فى محاولة تمزيق الكتاب المقدس ، جدير بأن يصرف بالأحرى فى فهمه ودرسه ، وينهض الله من بيننا من الرجال من هم أكفاء فى الدرس الكتابى ، ومن هم على استعداد قبل ذلك للاعتراف بخطاياهم ، ونوال الخلاص الذى أعلنته الكلمة المقدسة بعمل المسيح الفدائى العجيب على الصليب ، والعكوف على دراسة الكتب المقدسة التى لا يمكن أن تنقض !! ••

« ... التاريخ الذى كتبه موسى بالوحى الالهى ... هو نبوة الروح القدس التى علمهـــــــا بواسطته »

يوستنيان الشهيد

« وهذا ، اذا ، يلزم ادراكه كمبدأ ثابت ، اننا اذا رمنا التمتع بنور الديانة الحقيقية ، يلزم أن نبدأ بعقيدة السماء . ولا يمكن للانسان أن يصل الى أدنى معرفة للعقيدة الصحيحة والسليمة ، دون أن يكون تلميذا للكتاب »

كلفن

« على أنه على العموم هناك خطأ وبيل شائع . أن الكتب المقدسة لها وزنها عندهم . اذا جاءتهم بمصادقة الكنيســـــة ، كما لو أن حق الله الأبدى والثابت يحتاج الى ارادة الناس المتعسفة »

كلفن

# الفصل الثامن

# هل من أهمية للطريقة التي نقترب بها من الكتاب المقدس

لقد اقتربنا فى أحاديثنا السابقة كلها من الكتاب المقدس على اعتبار أنه كلمة الله ، ومن ثم يلزم الاعتماد عليه كلية فيما يقول . ولا شبهة فى أنه خلف هذا الاقتراب تكمن الحقيقة : ان الله هناك ، وأنه الله الواحد الخالق الحقيقى للسماء والأرض ، وهو الاله الذى بيده حياتنا ونسمتنا وندين له بوجودنا على الأرض .. أو فى لغة أخرى أن خلف نقاشنا كله هناك الايمان المسيحى بوجود الله .. الله كائن ، والله يتكلم ، وهو ليس اله العلم أو الفلسفة العصرية بل الخالق المبارك ، الذى عرفناه من خلال كلمته المقدسة !! ..

على أنه مع ذلك يبدو أن الله كما يظهره الكتاب المقدس ، وهو الخالق لكل الأشياء المنظورة وغير المنظورة ، ليس هو الاله الذى يوائم الذهن العصرى ، اذ أن هناك كلاما كثيرا فى الوقت الحاضر عن الله . ولكن هذا الاله الذى يتكلمون عنه ، ليس هو اله الكتاب المقدس ، .. لأنه اذا كان الله هو الخالق ، فان معنى ذلك أن الانسان هو المخلوق ، والخاضع لله فى فكره ، كما فى أى شىء آخر ، وهنا ينهض الاعتراض الذى أشرنا اليه حول العقيدة الكتابية عن الوحى الالهى ، وفى الحقيقة أن هذا الاعتراض ليس مجرد اعتراض على عقيدة الوحى ، بل هو فى

جوهره اعتراض على الاعتقاد الأسمى بوجود الله ، والذى يضم فى جوانبه هذه العقيدة ، والتى لايمكن أن توجد بدونه !! •• وقد قيل اعتراضا على المبدأ الذى ننتهجه ونمسك به ، اننا نعرف من البداءة النهاية التى سنصل اليها ، واذا كانت النتيجة مؤكدة ، فان السبيل الذى نسلكه مقرر ، وما علينا الا السير فيه ، واذا كان لنا بأن نبدأ بفرض مسبق ، فان النتيجة كما يقول الاعتراض ، لابد أن تكون مقررة وآكيدة ، وعليه فكل الأبحاث التاريخية على حد زعمهم مقضى عليها ، والكتاب المقدس هو كلمة الله ، وما علينا الا أن نصغى اليه ونحصل على الأجوبة التى نطلبها ، وليس من اللازم أن نشغل بالنا بالدراسة التاريخية للكتاب كما أن كل الأبحاث التاريخية لأساتذة القرن التاسع عشر غير ضرورية ، وكل ما علينا أن نصغى الى الكتاب نفسه ، وسنجد الجواب معروفا قبل أن نبدأ ، •• هذا هو مجمل واحد من أقسى الاتهامات التى توجه الى مسلكنا الذى انتهجناه فى الدفاع عن الكتاب المقدس فيما نكتب من صفحات !! ••

ولسنا فى وجل من هذا الاتهام ، ومن الحقيقة أننا نعلم النتيجة مسبقا ، لأنه اذا كان الله ، الذى هو اله الكتاب المقدس ، وليس اله الفكر الحديث ، موجودا . وهو الاله الذى تكلم الينا فى كلمات ، وأن الكتاب المقدس كلمته ، فانه ينبنى على ذلك أن ما قاله الله هو الحق ،•• ولنضرب مثلا ، صديق يكتب لى خطابا ، ويقول لى فى الخطاب ، انى اذا اتبعت تعليماته التى وضعها ، فسأعثر على كنز عظيم . فاذا كنت أثق أن صديقى يذكر الحق ، فلابد أن آتبع التعليمات التى يذكرها ، ولابد أن أعثر على الكنز فى المكان الذى حدده هذا الصديق ، •• فاذا فعلت هذا فانما بدأ بفرض مسبق ، وهذا الفرض يقوم على أن صديقى حى ، وأنه هو الذى كتب الخطاب ، وهو آكثر من ذلك يقول الحق ، •• وربما آكون الى حد ما سليم الطوية بهذا التصديق ، •• ولكن هذا تماما

ما يفعله المؤمن المسيحي بالكتاب المقدس والذى يأخذ الله بكلمته ، وسواء كان سليم الطوية أو لا ، فانه بما فعل ، واطاعة لتعليمات صديقه عثر على الكنز المنشود !! ..

ان اللاهوتى العصرى الناقد لا يريد أن يكون سليم الطوية ، وهو لايريد أن يخضع نفسه الى حد الطاعة ، وهو يريد أن يبحث أولا أشياء كثيرة معينة ، وهو يعتب على معرفتى النهاية من البداية ، وهو يطلب بالحرى الطرق « العلمية » أو « التاريخيـة » كما أنه مقتنع أنه يلزم بالنسبة لخطاب صديقى ، أن تكون هناك أبحاث « موضوعية » « غير متعصبة » « علمية » « تاريخية » وما الى ذلك من كلمات عميقة الأثر ، شديدة الوقع ، تشد الانتباه لمعرفة ماذا سيفعل !! ؟ وهو من الواضح لايؤمن ابتداء بأن لى هذا الصديق الذى أذكره ، وأن الخطاب يمكن أن يكون ذا قيمة ، ومن ثم يضعه تحت فحص ممتلىء بالشكوك والريبة، وآخر الأمر يعلن نتائج أبحاثه ، وتنشر هذه الأبحاث كقطعة من العمل العلمى ، مع تعليقات متعددة ، فى مختلف اللغات ، ومن المؤسف أنه آخر الأمر تأتى الحصيلة الواحدة ، ان كل هذا الجهد العلمى « وغيرالمتعصب » لم ينته الى أى كنز ، كما ان الباحث رغم كل جهده التاريخى لم يعثر على الكنز ولم يتعرف على صديقى ، وشغل نفسه بما يمكن أن نطلق عليه الجهد المجدب ، ووصل الى النتائج التى كنت أتوقع أنه سيصل اليها !! ..

ان النقطة المركزية فى الاعتراض الحالى تنصب على الايمـان المسيحى بوجود الله ، ومن الحقيقى اننا اذا بدأنا بالاعتقـاد أن الله موجود ، وأن الكتاب المقدس كلمته ، فاننا نرغب فى كل دراستنا أن نقاد بما يمكن أن تقوله هذه الكلمة ، ومن الحقيقى أيضا أننا اذا نبذنا هذا الغرض الأساسى فى المسيحية ، فاننا سنصل الى النتائج التى

يمكن أن تكون معادية للمسيحية الخارقة للطبيعة ، واذا بدأ الانسان بالفروض غير المؤمنة ، فسينتهى الى النتائج غير المؤمنة . فاذا بدأنا بانكار أن الكتاب المقدس كلمة الله ، أو حورنا بوعى أو غير وعى مطالبه ، فسنصل آخر الأمر الى النتيجة المطابقة لما ابتدأنا به ، ومن سيبدأ بالتصور أن كلمات الكتاب المقدس تحتوى على أخطاء فانه اذا ظل مصرا على ذلك لن يصل يوما ما الى الرأى القائل بأنه الكتاب المعصوم ، وأنه كتاب الله الحى الأزلى ، وسيصل الى النتيجة التى أصر عليها من الابتداء ، فاذا بدأ أحدهم بالانسان فسينتهى الى الانسان ، وكل من درس الكتاب ، سيتأثر ولا شك بالفرض المسبق ، وليس من الصدق أو العدالة فى شىء أن يصب هذا الاتهام وحده على من يقتربون من الكتاب بالايمان بأنه اعلان الله الصحيح المعصوم !! ..

على أن السؤال مع ذلك يبقى هل نستبعد حقا نحن المؤمنين بعصمة الكتاب الأبحاث التاريخية !! ؟

ان الجواب على ذلك أن هذا غير صحيح ، ونحن على العكس نشجع ذلك ما أمكننا اليه السبيل ، على أن الأبحاث العلمية لا يجوز مع ذلك أن تجمح ، وليس لها أن تبنى مسبقا على أساس الفرض أن عقل الانسان يستطيع أن يحكم على كل شىء ، كما أنها لايجوز لها أن ترحب بالآراء والفروض التى تتناقض مع المبادىء الأساسية للاعلان المسيحى ، ولن يستطيع انسان يستخدم الأساليب غير المسيحية ويتوقع فى الوقت نفسه الوصول الى نتائج مسيحية ، وعلى الباحث الحقيقى المسيحى ، وهو يبذل كل جهد فى أبحاثه ، أن يرى نفسه أشبه بالطفل الصغير الذى يخضع فكره لفكر الله ، وقد أعلن الله فكره للانسان فى الكتاب ، وما من شك بأن هذا الفكر سيقود وينظم كل باحث يرغب

أن يعطى فى أبحاثه المجد لخالقه ، وعلى الباحث المسيحى أن يتبع الخطى ويسير على هدى الأفكار الالهية المعلنة !! ••

ان على الباحث المسيحى فى الكتاب المقدس أن يبذل جهـده فى استخدام الطرق المسيحية التى تؤمن بالوجود الالهى ، اذ أن من ينكر هذا الوجود سيستخدم ولا شك الطرق التى تتمشى مع عقيدته الملحدة ، وهنا يكمن الفرق ، اذ لا يشترط بالضرورة أن من يقدم على الأبحاث العلمية الكتابية ، ينبغى أن يكون ممن تتسم كتاباتهم ، بالقدر الظاهر منها ، بالروح المغايرة للايمان المسيحى ، اذ أن هذا لن يحل الموضوع ، بل لابد لكل الباحثين من استخدام الطرق الكتابية فى درسهم . سـواء فى ذلك أصحاب الايمان الصحيح ، أو من كانوا على ايمان قاصر معيب، اذ لابد لكل الباحثين أن يتمشوا مع فرض أساس مسبق ، ويستوى فى ذلك من وعى فيهم هذه الحقيقة أو من فاتها ولم يعها !! ••

على أن الفرض المسيحى المسبق لم يسـتبعد قط البحث العلمى الحقيقى ، ويكفى أن يراجع المرء بعض كبار المفسرين الكتابيين المؤمنين ليرى الدراسة العلمية فى أسمى صورها ، الدراسـة التى خصصها أصحابها لمجد الاله الواحد الحقيقى . وما أوسع وأغنى الحقول التى كانت أمام هؤلاء الدارسين ، والتى اقتربوا منها بالاحساس الى حقول الله ، والتى سنتحدث عنه ، وتكشف عن الكثير من عظمته ومجده . ومن الواجب لذلك أن ندمغ بالبطلان كل اتهام يزعم بأن التمسك بشـهادة الكتاب عن نفسه ، يعنى فى الوقت نفسه التبـاعد عن البحث التاريخى العلمى ، •• ان الباحث العلمى المسيحى هو فى الواقع واحد من أعظم المكرسين وأكثرهم فائدة فى هذا المجال !! ••

ثمـة اعتراض آخر على الوحى اللفظى ، اذ أنه يدور على زعم

الزاعمين فى حلقة مفرغة ، أنت تؤمن أن الكتاب المقدس كلمة الله ، وهذا حسن ، ولكنك تعتمد فى هذا الايمان على شهادة الكتاب نفسه ، والكتاب ينسب نفسه الى الله ويخبرك أيضـا بما ينبغى أن تؤمن به عن الله ، والكتاب يخبرك بما تؤمن به عن الله ، والله يخبرك بأن الكتاب كلمته ، وهذا فى رأيهم الدوران فى حلقة مفرغة ..

والجواب على هذا بأنه من طبيعة الشيء أننا اذا كنا مخلوقين ، وأن الله هو الخالق فانه لا مناص من أن تكون هـذه هى الطريقة الوحيدة للجدل أو المناقشة ، لأنه اذا كان الله قد خلقنا حقا ، فانه يتبع ذلك أن كل مانصل اليه من معرفة ، لابد أن يكون صادرا عنه ، ومن اللازم أن يخبرنا عن كل ماينبغى أن تؤمن به ، وليس هناك من مصدر آخر تتجه اليه يمكن أن يكون بعيدا عنه ، وهو فى الواقع المنبع الوحيـد لكل معرفتنا ، فاذا كان يخبرنا بالشهادة الداخلية للروح القدس أن الكتاب المقدس كلمته ، فمن الواجب الاصغاء لصوته ، واذا كان من الجانب الآخر يشهد للكتاب المقدس أنه كلمته ، فمن الواجب الرجوع الى الكتاب لمعرفة ماذا يريد منا أن نعرف ، والكتاب يوجهنا الى الله ، ويعلن لنا ما الذى ينبغى أن تؤمن به ، وما هى الواجبات المنوط بنا عملها ، وليس من سبيل آخر غير هذا ، وأى طريق آخر هو ختال ينتهى بنا الى المتاهات التى تبعد الله عن أفكارنا ، ولسنا نفزع قط من الاتهام الذى يقول لنا اننا ونحن نقبل الكتاب المقدس ككلمة الله المعصـومة كأنما ندور فى النقاش فى حلقة مفرغة !! ..

ان الواجب المسيحى يقتضينا أن نخضع خضوعا كاملا لله . فاذا كان الله هو الخالق ونحن خليقته ، فمن واجب الانسان ألا ينصب من نفسه قاضيا فيما يعلن الله له ، وليس هناك قياس مستقل يمكن أن يقيس به الانسان « معقولية » الاعلان الالهى ، وقد أوضح أيوب هذه الحقيقة

فى القول : « لأنه ليس هو انسانا مثلى فأجاوبه فنأتى جميعا الى المحاكمة ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا » ( أ ى ٩ : ٣٢ ، ٣٣ ) ان أيوب لايستطيع أن يجاوب الله لأن الله ليس مثل الانسان ، ولو كان الله انسانا مساويا له ، لتعامل معه على أساس من المساواة ، لكن الأمر غير ذلك ، والله هو الله ، وأيوب هو الانسان ، وليس القاضى لله ، بل الصحيح أن الله هو القاضى لأيوب ، وهو فى مركز السلطة . وأيوب فى مركز الطاعة والامتثال ، وأكثر من ذلك ليس بينهما مصالح أو حكم يقضى بينهما . ويقرر أيهما أصاب وأيهما أخطأ ، ولا يمكن أن تنتقل القضية الى ثالث ، اذ ليس ثالث على الاطلاق ، وهو فى قدرته أن يذهب الى الله .. والله هو الخالق ، وأيوب هو الانسان ، وهو المخلوق ، وهو الخاضع لله !! ..

هناك الكثيرون الذين يرغبون فى مصالح بين الانسان والله ، واتباع اللاهوت « المصالح » أشبه باللجئون القديم فرق متعددة ، اذا صح أن هناك من يستطيع عدهم أو حصرهم وهم يحكمون على الكتاب ، لو أن هناك حكما .. واذا كان أيوب لم يعثر على الحكم ، الا أن الكثيرين يعتقدون أن الحكم موجود وأنه يستطيع أن يفكر ويحكم كمصالح بين الله والانسان ، وما أكثر ما يطلق عليه من أسماء فهو مثلا : « الوجدان العام فى البشر » أو « ما يوائم العقل » أو « الوجدان الدينى » أو « المسيح أعلى واسطة للاعلان الالهى » أو ما الى ذلك ، وقد استخدم الاسم المبارك للمسيح كمصالح يلزم أن يخضع له الكتاب والتعاليم الكتابية ، وقد جعل المسيح القياس الذى تمتحن به كل الكتب المقدسة ، وأنها الظاهرة الحديثة أن يصبح المسيح الامتحان الذى تقاس به جميع الكتب ، فاذا جازت الامتحان فهى الهية ، ولكننا قبل أن نوغل فى الطريق نود الاشارة الى أن هذا المسيح الذى يرغبون فى أخذه كمصالح أو قياس يقيسون به كل الكتب ، ليس هو ابن الله الذى تعلمنا

أن نعرفه من الكتب المقدسة نفسها ، بل هو مسيح آخر أقرب وأدنى الى الذهن العصرى !! ••

ان الحقيقة التى لا مراء فيها أنه ليس هناك سوى طريق شرعى واحد يمكن أن نسلكه فى درس الكتاب المقدس ، وذلك أن نقترب منه كمن يخضعون أنفسهم بالتمام لله ، ويعترفون به سيدا وربا ، وفى دنوهم من كلمته هم على استعداد أن يصيخوا السمع لكل ما يمكن أن تقول،•• وأما ما دون ذلك فمعناه أننا نضع مصالحا بين كلمة الله وبيننا ، وأننا نحكم على هذه الكلمة بواسطته . فاذا كان المصالح الذى نضعه انسانا فهو ليس فى حقيقته ، مصالحا ، ولكنه خليقة من صنع الذهن البشرى ، وبما أن الكتاب المقدس هو كلمة الله الحقيقية واعلانه السامى ، فأى مصالح يقف بينها وبين الناس هو فى حقيقته مصالح بين الله والانسان !!•

وثمة أمر آخر يقال وهو أن دفاعنا عن الكتاب المقدس على هذه الصورة ، هو دفاع قديم لم يعد يتمشى مع الزمن ، والدراسة العصرية تصر على أن النهج التقليدى ، كما يقولون ــ وهو الكتابى فى نظرنا ــ لم يعد مناسبا لدراسة الكتاب المقدس ، ومن ثم فهم يطلبون منا أن نهجر هذا النهج القديم ، ولو صح هذا الدفاع ، فان معناه أن الناس طوال التاريخ الكنسى كانوا على خطأ فى اقترابهم الى الكتاب اذ أنهم اقتربوا اليه ككلمة الله ذات السلطان ، ووجدوا فيه المسيح يسوع المخلص ، وأنهم أخطأوا اذ رأوا فيه الكلمة الحاسمة النهائية ، وأنه من الواجب على زعم الدراسة العصرية وتصورها الاقتراب الى الكتاب بصورة أخرى مغايرة عما ألفت الكنيسة أن تفعل ، ومن يدرى مع ذلك اذا كان هذا الاقتراب الجديد والذى يبدو فى نظرهم مقبولا ، لا يأتى وقت يتغير هو بدوره ليصبح أكثر قبولا لمن يأتون بعدهم ، وتصبح النظرية العصرية الحالية لأجيال مقبلة ، قديمة أيضا بدورها ، ويحتاج أبناء ذلك

الزمان الى نظريات مجددة تكون أدنى الى أفهامهم وأقرب الى تصوراتهم وعقولهم ، •• ويبنى على هــذا كله أن الخيرات والبركات التى جاءت للجنس البشرى من الكتــاب المقدس منــذ القدم لم تكن مأخوذة من الكتاب نفسه ، ولكنها جاءت بالأحرى من نظرات الناس المتغيرة للكتاب فى العصور المختلفة ، •• لقد ظلت النظرية القديمة لمدة ما يقرب من ألفى عام تعطى الناس بركات متعددة ، وها هم يطلبون منـــا أن نهجرها ، بدعوى أن الاقتراب الى الكتاب فيها لم يكن اقترابا علميا ، •• وهاهم يطلبون اقترابا جديدا ، •• فليكن ، وها هم يتصورون أن الاقتراب الجديد لمواجهة الاحتياجات الحاضرة !! •• ولكن ماذا عن المستقبل !!؟ والا يحتاج الأمر عندئذاك الى اقتراب آخر متغير !! ؟ فاذا كان الأمر كذلك . فمن الواضح أن المعونة أو البركة لا تأتى من الكتاب فى حد ذاته ، بل من الطريقة التى يراها الناس موائمة للعصر عن الكتاب ، ولم يعد الكتاب فى حد ذاته ، بل النظر الى الكتاب ، هو الجدير بالاهتمام ، أو فى لغة أخرى ليس الكتاب فى حد ذاته ، بل ما نجود به عليه ، وتضحى الحاجة الى نظرة جديدة للكتاب ليست فى واقع الأمر ، الا الحاجة الى أن نجود على الكتاب ، بما نزعم أنه يوائم عصرنا . •• وهذه ولا شك ناحية شخصية ، غير موضوعية ، وعلى من ينبذ الفكر الكتابى عن الكتاب المقدس أن يدرك تماما مهما يكن هذا مستهجنا وقاسيا ، أنه يضع الذهن البشرى فوق الكتاب فى الحكم على الأمور ، وتقريرها !! ••

وأن المرء ليصعق من هذه السهولة الظاهرة التى يتقبل بها بعض الناس الآراء المستحدثة المنشورة كما لو أنها الحق النهائى الذى لامراء فيه !! •• هذا فى الوقت الذى يستطيع أن يرى فيه من يخضع نفســه المتعليم الكتابى كل الأشياء فى ضوء الأبدية نفســها ، اذ سيستمع الى صوت الله يتكلم اليه ، الصوت الذى يســتطيع من خلاله الحكم على الناس والأحداث معا ، •• على أن من لايخضع نفسه وفكره لكلمة الله

سيجد أن لا مناص له من الاعتماد على الذهن البشرى كالمرجع الأخير ، وسيجد آخر الأمر أنه لابد له من قبول ما يتصور أنه موائم لعصره !!

ان من ينبذون كلمة الله كالمرجع النهـــائى المعتمد عليه ، كثيرا ما نسمعهم يقولون : « نحن الآن على استعداد أن نقبل » أو ما يشبه ذلك من عبــارات كالقول : « لقــد أرانا دكتور س كذا وكذا فى الموضوع » وتسأل من هو دكتور س هذا ، فاذا هو شاب صـــغير حضر رسالة الدكتوراه . وأبدى أحدث الآراء فى موضـــوع معين ، ويتبعه الكثيرون . .. وقد فاتهم أن من لا يبنى على الصخرة الثابتة لكتاب الله المعصوم سيجد نفسه على الدوام تحت رحمة آخر الأوهام والخيالات !! ..

ان الفكر البشرى أشبه الكل بأمواج البحر الهادرة ، ما أن تتكسر موجة على الشاطىء حتى تتدافع وراءها موجة أخرى ، أو هو ، فى صورة أخرى ، أقرب الكل الى المزاج البشرى المتغير تارة يقبل هذا الرأى ، وطورا يتجه الى آخر ، ومزاج فكرى يلاحق مزاجا آخر وما يقبله أحد الأجيال بحرارة كأنه الحق ، يرفضه جيل آخر ، وما أكثر ما نلاحظ قبل الاعصار الصيفى ذلك السكون الرهيب فى الهواء من غير نأمة أو حركة ، والشمس التى تلهب بشواظها النيران ، ثم سرعان ما تتكاثف الغيوم فى الجو معلنة عن قرب مجىء الاعصار ، وما هى الا لحظات ويتحرك الهواء وتندفع الريح العاتية فى ملء قوتها ، وتتجمع السحب ، ويبرق الرعد ، وينهمر المطر ، ثم لا تلبث أن تهدأ الزوبعة ويصفو الجو ، ويتغير كل شىء ، وترتوى الأرض . ويرطب الجو الذى كان مشتعلا باللهب ، ويتغير كل شىء فى ساعات قلائل !! ..

ولعل الذهن البشرى غير المؤسس على الكتاب المقدس أقرب الكل

الى هذا ، اذ أنه يتفاعل مع الظروف المحيطة به ، وهو يحاول ادراك كنه الحياة ومعناها ، وما يبدو لأحد الأجيال سائغا مشروعا مقبولا ، فان الجيل الآخر قد يلفظه ، وما يجلس اليوم على عرش الذهن البشرى قد يطوح به غدا ، ليحل محله آخر أدنى الى القبول ، وأقرب الى المعقول ، أو على العكس أن مايبدو شاذا اليوم ، قد يتحول فى الغد منطقيا مستساغا ، وهكذا تنلقب الأوضاع من النقيض الى النقيض ، والتغير فى الذهن البشرى واضح تماما فى موقفه من الكتاب ، ففى أعقاب القرن الماضى كان هذا الذهن متأثرا الى أبعد الحدود بنظرية داروين فى النشوء والارتقاء ، وكان التصور أن الجنس البشرى يسير فى طريقه صعودا ، وأن حقيقة سقوط الانسان فى الخطية ماهى الا مزاعم بالية . وأن النهضة العلمية والمخترعات تسير قدما ، والاكتشافات الجديدة تتوالى . وفى حقل اللاهوتيات انتشرت آراء رتشل ، وما تضمنته من تأثيرات عملية ، فى الظاهرة التى سميت بـ « العصرية » وهى الظاهرة التى حملت معها ما لا يكاد يصدق من الأضرار للكنيسة المسيحية ، وفى دراسات العهد الجديد كان تأثير أدولف هارناك بما كتبه عن محض انسانية يسوع مروعا ، كما أن فلسفة هيجل تناولت آراء معينة عن التاريخ الاسرائيلى وتفاعل الكل ، ونجم عن ذلك المناخ الفكرى المعادى لمسيحية الفداء الخارقة للطبيعة ، والذى أثبت فيما بعد أنه من أقسى أعداء المسيحية وأشدها عداوة وضراوة !! ..

ولعله من المناسب التوقف هنيهة عند هذا المناخ الفكرى فيما يختص بالعهد القديم اذ انتشرت فى ألمانيا بفضل آراء يوليوس ولهاوزن بعض الأفكار المتعلقة به ، اذ اعتنق الرجل أفكارا محددة ، فيما يتصل بطبيعة كتب العهد القديم ، وزمن تكوينها ونشأتها ، وعلى وجه الخصوص ، فيما أسماه بالنمو فى الأسفار الخمسة الأولى فى الكتاب المقدس ، وحسب ما هو مألوف ، وحسب شهادة الكتاب المقدس

نفسه ، فان هذه الأسفار من عمل موسى ، مشرع اسرائيل العظيم ، غير أن لولهاوزن رأيا آخر ، اذ أنه لاينسب هذه الكتب الى موسى ، ولا الى كاتب واحد . بل انه يعتقد أن الجزء الأول منها ، يرجع فى أصله الى مصدرين متميزين ومختلفين . يستقل الواحد منهما عن الآخر تمام الاستقلال ، وكانت الخطوة الأولى جمع المصدرين معا ، ثم برز الى الوجود بعد ذلك سفر التثنيه . وبعد السبى كتبت الأجزاء التى يطلق عليها الكهنوتية . وهكذا جمع ما نطلق عليه حاليا الأسفار الخمسة !! ..

هذا الرأى عن الأسفار الخمسة فى الكتاب المقدس قد ظهر جنبا الى جنب مع النظرية الخاصة بنمو المعتقدات الدينية الاسرائيلية ، وهذه النظرية تؤكد أن اسرائيل قد سمح له بأن يبنى مذابح ويتعبد حيثما يشاء . مع أنه عندما اكتشف سفر التثنية فى الهيكل فى عام ٦٢٢ ق.م ظهر ذلك الاصلاح الشامل الممتد . والذى اعتبر العبادة الجائزة والشرعية . تلك التى تقوم فقط فى أورشليم ، ولاحقها أثر ذلك ، كنتيجة للتقدم والنمو ذلك المعتقد السامى فى التوحيد الذى برز الى الوجود فى الجزء الأخير من سفر اشعياء . كجزء من الايمان الاسرائيلى !! ..

ومهما يكن من تفاهة هذه النظرية التى اعتمد فيها ولهاوزن على التاريخ الدينى الاسرائيلى . فانه مما لا شك فيه أنها لا تتفق اطلاقا مع المفهوم الكتابى القائم على اعتبار العهد القديم اعلانا خاصا من الله !! ..

وعندما شاعت أفكار ولهاوزن وجدت لها من بين الناطقين بالانجليزية فى شخص وليم روبرتسن سميث وهو قسيس مشيخى من

تبناها ، وحاول عبثا الربط بينها وبين العقيدة الكتابية المقررة فى الفصل الأول من قانون الايمان الوستمنسترى ، وفى الحقيقة أن هذه المحاولة ليست مستحيلة فحسب ، بل هى أكثر من ذلك هرطقة واضحة ، وقد زعم روبرتسن سميث أن مقاوميه فى الكنيسة ليسوا الا خصوم العلم التقدمى الكتابى ( وليم روبرتسن سميث فى كتابه العهد القديم والكنيسة الاسرائيلية عام ١٨٨٣ ) على أن الأمر ليس كذلك ، اذ أن هؤلاء الخصوم لم يدافعوا فى الحقيقة الا عن العقيدة التى التزموا بعهد النذر فى الخدمة التى تعهدوا أن يكونوا أوفياء لها ، وان كان هناك من لم يساندهم فى أيام سميث ، سوى بالمعسول من الكلام ، فى الوقت الذى كادوا فيه أن يذهبوا مع الرجل فى مشايعته لأفكار ولهاوزن ونظرياته .. ومن البادى أن الضرر الذى داهم الكنيسة لم يكن سببه أولئك الذين ظلوا أوفياء على عهد نذرهم ، بل جاء ممن حاولوا أن يقدموا للكنيسة من النظريات ما يتناقض بالطبيعة مع الايمان التاريخى المصلح البروتستانتى . ونحن اليوم اذ نعاود النظر فى تلك الأفكار التى شاعت ردحا من الزمان لا نملك الا أن ندرك كم تبدو معارضة ومضادة للحق المعلن فى الايمان المسيحى ، ولو أن دكتور سميث أصاخ السمع لكلمة الله المعصومة . وصوت الروح القدس المتكلم فى الكتاب المقدس ، لجنب الكنيسة الكثير من الأضرار التى لم تكن فى حاجة اليها !! ..

وثمة نقطة واحدة أخيرة خاطئة فى أفكار ولهاوزن يلزم الاشارة اليها ، وهى ليست هينة أو يسيرة ، بل لعلها من أهم النقط وأخطرها : وهى عقيدته فى أن الآباء لم يكونوا شخصيات تاريخية ، وهو يزعم أننا لا نستطيع أن نعرف من سفر التكوين العصر الذى عاش فيه ابرهيم واسحق ويعقوب ، وهو يبنى هذا الزعم على أن سفر التكوين لم يأت من أيام الآباء ، كما أن موسى لم يكتبه ، وهو على حد تصوره مجموعة وثائق جمعت فى تاريخ متأخر ، ومن ثم فهى لا تعكس عصر

الآباء ، بل بالحرى تعكس العصر الذى كتبت فيه ، وينتهى ولهاوزن من هذا كله الى أن سفر التكوين ليس كتابا تاريخيا ، وعلى من يرغب أن يعرف شيئا عن عصر الآباء ألا يأخذ معرفته من هذا السفر !! ..

وها نحن هنا بصدد واحد من أضخم الادعاءات التى تنكر الأصل التاريخى الموثوق به عن الآباء فى سفر التكوين ، ومن ثم يأتى السؤال : ماذا يفعل المسيحى الوديع تجاه هذا النكران المروع للجزء الأول الثمين من الكتب المقدسة !! ؟ ان ابرهيم حسب الكتاب المقدس هو أبو المؤمنين ، وهو الذى فى مواجهة أقسى التجارب ، آمن بالله وحسب له الايمان برا ، وكم أعطت قصته أعظم العبر والدروس للملايين من المؤمنين المسيحيين على الأرض ، وسيبقى دائما لكل مجرب فى المواعيد الالهية الرجل الذى تخطى التجربة بالايمان بالله على خلاف الرجاء ، وقد أشار اليه الرسول بولس مرات متعددة ، كالمثال المحتذى المبارك الذى ينبغى أن يحتذيه الجميع ، وأكثر من هذا تحدث عنه يسوع المسيح نفسه ، اذ أشار الى شخصيته التاريخية فى القول : « قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » ( يو ٨ : ٥٨ ) *فماذا عساه أن يفعل المسيحى الوديع بعد ذلك* ، وهو يرى أمامه هذه الدراسات التى تفتأ تكرر المزاعم بأنها موضوعية وحديثة ، وتنكر مع ذلك شخصيته التاريخية ، وشخصية غيره من الآباء ، وتزعم على رأى ولهاوزن بأن سفر التكوين لايستطيع أن يمدنا بالخلفية التاريخية لعصرهم ، .. وعلى العكس من هذا تبدو القصة الكتابية الواضحة عن ابرهيم وشخصيته التاريخية ، بكل ما فيها من صدق وأصالة وحقيقة !! ..

والسؤال بعد هذا أى الروايتين نصدق !! ؟ أنصدق ولهاوزن وأشياعه وأحزابه من العلماء ممن ينادون على رأى وليم روبرتسن سميث بما يطلق عليه « العلم التقدمى الكتابى » وقد سار فى هذا الركاب

أعداد كثيرة من الناس ، أم تتجه الى السبيل الآخر فنسير فى الركب المسيحى الوديع الواثق الذى لاينحرف قيد أنملة عن تعاليم الكتاب المقدس الواضحة الصريحة ، مع العلم بأن هذا السبيل لا يمكن أن يطرقه أو يسلك فيه من الرجال من يشمخ بالذهن البشرى ، ويتصور أنه قادر بهذا الذهن على الحكم النهائى القاطع على الكلمة الالهية !!.. وبالاضافة الى ذلك فان الركب المسيحى الذى يسير فى أثر المسيحية التاريخية ، ليس هو بذلك الركب المتقلب الذى يندفع وراء ريح كل تعليم أو تخبطه الأمواج المتلاحقة للنظريات العلمية ، انه بالأحرى الركب المسيحى لمن يؤمن بالكتاب المقدس ككلمة الله ، وقد امتلأ بهذا الاقتناع بعمل الروح القدس فيه ، وهو لا يتزحزح عن اليقين بأن الكلمة الالهية ترجع فى أصلها الى الله ذاته ، والمسيحى الوديع المتضع فى هذا كله سواء كان عالما أو أميا ، ومهما يكن خصوم الكتاب وأعداؤه ، يقبل الكتاب المقدس واثقا بصحته وصدقه وحقه !! ..

وفى الوقت عينه ليس من السهل أن يقف الانسان ضد التيار ، فاذا زعم الزاعمون بأن هناك أخطاء خطيرة فى الكتاب ، واذا أظهروا روحا معادية لشهادته عن نفسه ، فان من أدق الأمور أن يقف الانسان ثابتا فى موقفه من الثقة المطلقة بالكلمة الالهية ، ولا يغرب عن بال المسيحى ما قد يواجه من صعاب فى الكتاب المقدس ، اذ هو يعلم أن مسيحيته ليست ديانة هينة يسيرة ، على أنه مهما تكن الصعاب التى قد يواجهها من هذا القبيل ، فهى ليست شيئا ازاء الصعاب الهائلة ، التى لابد أن تواجه من ينبذون شهادة الكتاب عن نفسه ، حتى وان ادعوا غير ذلك ، والمسيحى المؤمن سيقف ولا شك الى جانب المسيح ، وليس ضدا له ، فاذا جاء أمثال ولهاوزن ممن يزعمون أن سفر التكوين لايمكن أن يعطى الخلفية التاريخية لعصر الآباء ، فان المسيحى سيبقى على الدوام

واقفا الى جانب عقيدته دون تردد حتى تظهر أضواء أخرى شاهدة على الحقيقة !! ..

وقد ظهرت بعد ذلك حقائق بالغة الأهمية تؤكد ماذهبنـا اليه ، وتكشف عن مدى الخطأ الفاحش الذى تردى فيه ولهاوزن واضرابه ، وقد جاءت هذه الحقائق من علم الآثار الذى ساند الفكر الكتابى على نحو رائع عظيم ، ومع أن هذا العلم لم يذكر الوقائع المباشرة والمدونة فى القصة الكتابية عن حياة ابرهيم أبى المؤمنين ، الا أنه كشف فى الوقت نفسه عن الخلفية التاريخية لعصر الآباء مما يتماثل تماما والمكتوب فى سفر التكوين !! ..

عندما خرج ولهاوزن على الناس بمزاعمه المختلفة التى توحى بعدم الثقة فى الأصل التاريخى لسفر التكوين لم يلبث أن ظهر فى أعقابهـا الكثير مما كشف عنه التنقيب عن الحفريات . اذ ظهرت مجموعة حمورابى الشهيرة التى كشف عنها فى شتاء عام ١٩٠١ ــ ١٩٠٢ : وقد كشفت هذه المجموعة من القوانين الكثير من العوائد التى كانت شائعة فى ذلك التاريخ القديم ، ومنها على سبيل المثال اعطاء سارة جاريتها هاجر لزوجهـا ابرهيم ، كما كشفت الحفريات فى أرض فلسطين عن أن التجمع السكانى فى عصر الآباء كان يزداد حول السهول الساحلية ، بينما كان الساكنون فى الجبال أكثر عزلة واستقرارا ، وهذا يتفق تماما مع ما جاء فى سفر التكوين حيث كان يتنقل الآباء صعودا ونزولا فى المناطق الجبلية ، وكانت أغلب المدن المذكورة فى سفر التكوين والمعروفة الآن أمثال بيت ايل وساليم وشكيم وجرار ودوثان وبئر سبع موجودة فى أيام الآباء !! ..

وقد ظهر من علم الآثار أيضا أن المدن التى أحاطت بوادى الاردن كانت دائما آهلة بالسكان ، وهذا يتفق مع ما جاء فى سفر التكوين عن

مدن الدائرة ، كما تبين أن الدمار لحقها وخلت من سكانها منذ ما يقرب من ألفى عام قبل الميلاد ، كما أن وثائق رأس شمره أثبتت بما لا يدع مجالا لشك أن الكتابة كانت معروفة لسكان البلاد من تاريخ مبكر جـدا !! ..

على أنه ربما لا يوجد كشف يثير الانتباه ، كذلك الكشف الأعظم عن الجماعة المعروفة باسم « الحوريين » والذين جاء ذكرهم فى تكوين ١٤ : ٦ : « والحوريين فى جبلهم سعير الى بطمة فاران التى عنـــد البرية » .. فمن هم هؤلاء الحوريون !! ؟ لقد وجد بين العلماء من أصر على أنه لم يوجد شعب قط فى التاريخ بهذا الاسم ، حتى جاء عام ١٩٢٥ وكشفت الحفريات عن مكان ما بين النهرين يحمل اسما تركيا « يورجان تيب » « تل حريم » ويبدو أن هناك مدينة قديمة كانت تحمل اســم « نوزى » وكانت مسكونة فى زمن معاصر لتاريخ الآباء وكان شعب المدينة يسمى بالحوريين ، ومن المعتقد أنهم كانوا من الحوريين المذكورين فى الكتاب المقدس ، وكان هذا الشعب مثيرا وعجيبا ، لم يكن يكتب على ورق ، بل كان يكتب على الخزف ، وقد وجدت ألواح كثيرة خزفية تحكى المزيد من قصصهم !! ..

كانت الألواح المكتشفة فى نوزى وثائق أعمال كتبت فى صـور عقود أو اتفاقات بين طرفين ، ومن ثم فهى تحمل الكثير من خصائص الحياة التى كانوا يعيشونها فى تلك الأيام . وفى أسفل الكثير من هذه الألواح كانت قائمة من أسماء الحوريين الموقعين على العقود ، والتى استطاعوا بواسطتها معرفة اللغة الحورية القديمة !! ..

ومن البادى أنهم لم يكونوا يقدرون على بيع الأرض هناك ، فاذا أراد انسان أن يحصل على قطعة أرض ، فانه لايستطيع الحصول على

ذلك بدفع ثمن لها ، وكان لابد من ايجاد وسيلة أخرى ، اذ كان على الراغب فى الشراء أن يصبح ابنا بالتبنى لبائعها ، وكان على المالك أن يمنحه اياها بالوصية ، وهو اذ يستلمها بالميراث يصبح الابن الشرعى ، وفى مقابل ذلك كان عليه أن يرد لأبويه الجديدين ما يطلق عليــه تلطفا « هدية » والنتيجة واحدة أن تصبح الأرض شرعا له كما لو أنه اشتراها بالثمن ، ومن ثم أطلق على الكثير من الألواح النـاقلة للأرض ألواح « التبنى » ..

هذه الطريقة الغريبة كثيرا ما أسيىء اســتخدامها . وعلى وجه الخصوص من المستبيحين المستهترين . كذلك الرجل الحورى ، والذى كان يطلق عليه تحبتلا والذى أصبح ابنا بالتبنى لعدد كبير من الناس ، واقتنى ثروة طائلة بهذا الأسلوب ، اذ كان ينتزع الأرض من الذين لا يستطيعون أن يحتفظوا بها ويبقوا عليها ، أو يرغبون فى اقتناء الماشية ، أو كانوا فقراء معوزين ، تدفعهم الحاجة الى قبوله ابنا بالتبنى ومن ثم يستحوذ على ممتلكاتهم ، وما أكثر ما كانت « الهدية » التى يقدمهـا لا تتناسب اطلاقا مع ما يأخذه ويحصل عليه ، اذ كان يقدم شاتين أو ثلاثا فى سبيل الحصول على مساحة مناسبة من الأرض ، .. هذا الحورى القديم كان أبا لكل مراب يأتى فى العصور اللاحقة !! ..

فاذا كان الشخص لا يرغب فى التخلى عن أرضه ، فقد يعهد الى آخر يهتم به ، ويعتنى بأملاكه ، ويحرص على دفنه بعد وفاته على أسلوب محترم كريم ، وهو لهذا كله يتبناه ، ويصبح الوارث له بعد موته ، ولعل هذا يفسر لنا العلاقة التى ربطت بين ابرهيم واليعازر الدمشقى ، اذ أن ابرهيم على عادة ذلك العصر تبنى أليعازر وكان أليعازر وكيلا ومتصرفا فى كل ما يملك ابرهيم ، وكان من الممكن أن يصبح وارثا له على حـد قول أبى المؤمنين : « انك لم تعطنى نسلا وهو ذا ابن بيتى وارث لى »

( تك ١٥ : ٣ ) ، وكان الجارى أيضا على نظام ذلك العصر أنه اذا أنجب الآب ابنا بعد التبنى يجب الابن المولود الابن بالتبنى ولهـذا قال الله لابرهيم : « لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك » ( تك ١٥ : ٤ ) وكان من عادة ذلك العصر أيضا أنه اذا لم تنجب الزوجة ابنا فانها تقدم جاريتها لزوجها كما فعلت سارة مع هاجر . فاذا ولدت الجارية فان الزوجة الشرعية لا تستطيع أن تطردها ، وقد كسرت سارة هذه العادة ، وساء هذا فى عينى ابرهيم ، وقد باع عيسو بكوريته ، وفق ما كان متبعا فى تلك الأيام ، اذ أن رجلا اسمه تبكيتلا كان وارثا لغابة . ولسبب ما أعطى لأخيه كربازا أن يرثه فيهـــا مقابل ثلاث نعاج ، على الصورة المماثلة لما فعله عيسو .

وقد أراد رجل اسمه ترميا أن يتزوج ، غير أن وجد معارضة من أخويه ، فتدثر ثوبا وحصل على بركة أبيه ، وكانت البركة شفوية وغير مكتوبة ، وكان الآب يحتضر ، ومع ذلك حسبت له قانونا ، على غرار ما حدث مع اسحق ، وهو يبارك يعقوب ، .. وثمة مثل أخير من نوزى ، وهو عن رجل اسمه نشوى تبنى ابنا اسمه وولو وزوجه ابنته ، فأضحى وولوبذلك وارثا ، فاذا ولد نشوى ــ على حد ما جاء فى الكتابة ــ ولذا فانه يصبح شريكا فى الميراث ، وأهم من ذلك ، المشاركة فى ميراث آلهة نشوى ، والبادى أن امتلاك أنصاب الآلهة الموجودة فى البيت تعطى صاحبها رئاسة العائلة ، وقد يلقى هذا ضوءا على ما فعلته راحيل ، اذ أنها سرقت الترافيم والتى كانت بمثابة الأنصاب المنزلية ، ولعلها كانت تظن أنها طالما هى فى قبضة يعقوب ، فانها ستجعله دائما فى مركز الرئيس ، وقد كان امتلاك الأنصاب لذلك غاية فى الأهمية ، كما أننا نلاحظ آخر الأمر سجود يعقوب سبع مرات أمام عيسو ( تك ٣٣ : ٣ ) ، وهو يقصد بذلك أن يعطيه أعظم تكريم ، وقد كتب أحد الملوك الى رئيس أعلى ، كما جاء فى لوحات تل العمارنة فى مصر والتى ترجع الى عام ١٤٥٠ ق.م

واكتشفت عام ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ م أنه انحنى سبع مرات ، •• وقد فعل يعقوب هذا ليبين لعيســو أنه لا يواجهه كعدو بل كخادم مطيع ، ومن لوحات تل العمارنة يتبين بأن هذه العادة كانت شائعة فى تلك الأيام !!••

وبعد عشر سنوات من الكشف عن آثار نوزى ظهرت اكتشافات أروع وأعظم فيمــا بين النهرين فى المكان الذى يطلق عليــه حاليا تل الحريرى ، وكانت المدينة قديما تســمى مارى ، وآثار مارى غاية فى الأهمية لدارس الكتاب المقدس ، اذ تلقى أضواء باهرة على أســلاف الاسرائيليين الذين جاءوا من حاران ، وتعطى الصورة الواضحة لعصر الآباء ، الأمر الذى كان غائبا عن معرفة ولهاوزن ، •• وفى الواقع أن علم الآثار قد قدم من الشهادات للكتاب ، ما لا يســتطاع تجاوزه أو نكرانه !! ••

ان العالم الراسخ والمدقق لا يملك فى الوقت الحاضر الا أن يعترف بتلك المواءمة العجيبة بين خلفية سفر التكوين والوثائق الأثرية ، وقد ظهر هذا فى اعترافات الكثيرين من العلمـــاء على قدر ما يعى الكاتب الحاضر ، على أن البعض من هؤلاء العلماء لا يريد أن يتجاوز حد هذا الاعتراف ، فهو وان كان يسلم بالتشابه بين الوثائق الأثرية والخلفية فى سفر التكوين الا أنه لا يستطيع أن يقول ان ابرهيم واسحق ويعقوب عاشوا فعلا اذ لا يستطيع أحد اثبات تاريخهم ، وهذا فى الواقع لغو فى الكلام ، وبغير ذى أثر ، اذ هو أشبه فى الواقع بمن يعترف بألواح نوزى ويسلم بصحتها ، وبحقيقة التبنى كما جاء فيها ، وفى الوقت عينه لايسلم بوجود الأشخاص الذين جاءت أسماؤهم فيها ، فاذا كانت الأثريات تثبت الخلفية فى سفر التكوين ، فلماذا لا يمكن التسليم بتاريخيةابرهيم واسحق ويعقوب ، ومن غير مبرر معقول ، •• ان السر يرجع فيمـــا نعتقد الى التمسك بنظرية معينة فى أصل ونشأة الأسفار الأولى فىالكتاب

المقدس ، ومع أنه لم يعد هناك أثر لمن ينكرون تاريخية الآباء ، الا أن ولهاوزن قد يكون أكثر عذرا ــ اذا صح أنه يعذر ــ من الذين رغم شهادة الآثار ، ما يزالون ينكرون الى اليوم وجود هــذه الشخصيات التاريخية !! ••

ان الذين يحاولون التماس العذر لولهاوزن يقولون لنا انه لاينبغى أن تتشدد فى الحكم عليه ، اذ لم تكن فى أيامه اكتشافات نوزى ، ومارى، التى تطابق الى الحد المثير ما جاء فى سفر التكوين ، وقد كان هو ابن عصره ، ولا ينبغى القسوة عليه ، ومع أنه لم يصل الى علمه حقا مثل هذه الاكتشافات الا أنه كان فى حوزته ماهو أعظم منها ، اذ كان له كلمة الله المكتوبة المعلنة • وكان يمكن أن يكفيه هذا الاعلان ، وقد أوضحت هذه الكلمة أن الآباء شخصيات تاريخية ، وأنهم عاشوا فى عصــــور اجتماعية وحضارية واضحة ، ولو أصاخ ولهاوزن لصوت روح الله المتكلم فى الكتب المقدسة لما سقط هذه السقطة البالغة التى وقع فيها ، ولما عارض الحق المعلن على الصورة التى ابتدعها ، وقد كان البناء الذى شاده بأكمله على غير أساس ، ويقوم على محض التصور للذهن البشرى ، ومن ثم كان لابد أن يسقط ويتداعى أمام الحق الالهى المعلن ، وقد سقطت نظرياته من جوانب كثيرة لهذا السبب ، وطوح بها وهجرها حتى من بين من شاطره معارضة عصمة الكتب المقدسة ، ومن الجانب الآخر فقد وجد المسيحى الأمين تعزيته الكبرى فى مساندة الحفريات ، لما يعتقد أنه الحق الثابت الذى لا يتزعزع فى الكتاب المقدس !! ••

ولعل هذا المثال الذى خلفه ولهاوزن يمكن أن يكون درســـا نافعا للطريقة التى تتجنب فيها الاقتراب من كتاب الله ، ومن نفس الطريقة التى نتعلم منها عدم الاقتراب يمكن أن نأخذ الدرس الصائب للاقتراب الصحيح من هذا الكتاب ، فاذا كان الكتاب المقدس بالحقيقة كلمة الله

فان واجبنا ألا نقترب منه بالاحساس بالقدرة على اخضاعه لسلطان العقل البشرى المجرد . ونحن نخدع أنفسنا ، اذا كنا نتصور أننا نستطيع منازعة الحق الكتابى الواضح باستخدام الفروض والنظريات ، والسر فى هذا الخداع أننا نضع العقل البشرى فوق الله ، ان اعتراضنا الأكبر على الصورة التى رسمها ولهاوزن وأشياعه عن التاريخ الاسرائيلى لايدور حول التفاصيل التى قد تأتى هنا أو هناك فيه ، بل على مخالفته التامة للحقائق الواضحة فى الكتاب المقدس ، لأنه اذا كانت الصورة التى رسمها عن اسرائيل صحيحة . فمعنى ذلك أن الكلمات الموحى بها غير صحيحة . ان نهج ولهاوزن فى أساسه مضاد للايمان الصحيح بالله ، اذ أنه ينازع فى الاعلان الالهى ، ومن ثم يلزم طرحه وهجره ، وفى الحقيقة ان هذا النهج الذى أخذ شهرته فى وقت من الأوقات ، لم يلبث أن طرح فى زوايا الاهمال والنسيان أثر الاكتشافات المتوالية التى سبق الاشارة اليها ، وهكذا تبدل الجو الفكرى ، والكاتب الحالى لاينسى عندما كان طالبا يدرس اللغة العبرانية ، كيف كانت تقابل أفكار ولهاوزن بالحماس البالغ ، على أن الأمر قد تبدل كما الآن ، الى الدرجة التى نرى فيها أعدادا كثيرة من العلماء الاسكندناويين ، والذين كانوا يشاطرونه آراءه فى المسيحية التاريخية . كيف تحولوا فى الهجوم على نظرياته ، بعنف أكثر كثيرا من العلماء المؤمنين الكتابيين !! ..

انه من الواجب حقا ألا نقترب من الكتاب بالتصور أننا نستطيع أن نخضعه للمقاييس الفكرية التى يمكن أن نبتدعها ، أو ننازع الحق الالهى فيه بالنظريات المختلفة ، والسؤال بعد هذا كيف نقترب منه اذا !! ؟ .. ان الاقتراب اليه لايمكن أن يتم الا بطريق واحد ، ونعنى به طريق الوداعة والتواضع !! .. كيف لا ونحن نقترب من الرسالة التى منحنا اياها خالق السموات والأرض ، والتى يلزم أن نتلقاها بروح القبول ، ونصوغ أفكارنا على القالب الذى أعطاه لنا الله فيها ، ومن

المستحيل أن نفهمها أو ندرك متطلباتها الا اذا قبلناها كالكلمة المعصومة للاله الواحد الحى الحقيقى ، .. اننا يلزم أن نقبلها للسبب البسيط الواحد انها كلمة الله ، وأن أفكارنا يلزم أن تخضع للفكر الالهى ، وأنه بهذا ، وبهذا وحده ، يمكن أن نتعرف على أفكار الله المعلنة لحياتنا !!..

ومن البداهة أن الاقتراب الصحيح لابد أن يشمل فى ذاته التفكير السليم عن الله ، ومن اللازم أن نعرف . ذاك الذى تتحقق بمعرفته الحياة الأبدية : « لأنه يجب أن الذى يأتى الى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه » ( عب ١١ : ٦ ) ولن يكون الاعتقاد بوجود الله ذا قيمة ، الا اذا كنا نؤمن فعلا بشخص الله . وليس مجرد أى اله يمكن تصوره ، بل الاله الحقيقى ، اله الكتاب المقدس ، المثلث الأقانيم ، ولن نستطيع أن نأتى الى الله أو نقترب منه ، الا اذا كان لنا اليقين الثابت بأنه حى وأنه موجود ، بل وأكثر من ذلك أنه يجازى الذين يطلبونه . فاذا كنا نؤمن به هكذا ، فمعنى ذلك أننا نعرفه ، واذا كنا نؤمن به هكذا . فمن اللازم أن نأتى اليه تائبين عن خطايانا ، مرتعبين أمام ناموسه المقدس ، قابلين مواعيد نعمته فى المسيح يسوع ، مسرعين اليه كالمناص والملجأ الوحيد ، الذى يجازى من يطلبونه !! ..

والمعرفة الصحيحة لله تتطلب ولا شك الانصياع لكلمته ، ونحن نستمع الى صوت الآب السماوى من خلال هذه الكلمات التى جاءت فى الكتاب المقدس ، ونحن نصيخ السمع لها بوازع المحبة التى تملأ قلوبنا لأبينا الصالح ، ونحن أسرى الله ، كلما أخضعنا جماع أفكارنا للكلمة الالهية ، ومن الغريب أن هذا السر الالهى ، يجعلنا أكثر الناس حرية على ظهر الأرض ، ونحن لا نستطيع التحول عن الكتب المقدسة ولا نستطيع أن نصغى باستحسان الى أية نظريات تحاول أن تجعل من الكتاب المقدس مجرد كتاب بشرى وتنكر عليه عنصره الالهى العظيم ،..

ان مثل هذه النظريات فى الواقع ليست الا نظريات باطلة وعقيمة ، تبدأ مع الانسان لتنتهى معه ، كمثل ما حدث مع ولهاوزن وأشياعه وأضرابه من اللاهوتيين العصريين الذين ينبذون الحق الالهى الواضح فى الكتب المقدسة ، ولا نستطيع أن نقول هنا فى هذا الفصل أكثر مما جاء فى قانون الايمان الوستمنسترى العظيم « ان سلطان الكتب المقدسة والتى يلزم أن نؤمن بها ونطيعها ، لا يعتمد على شهادة انسان أو كنيسة بل كلية على الله ( الذى هو الحق ذاته ) اذ هو المؤلف لها ، ومن ثم ينبغى أن تقبل لأنها كلمة الله » .. ليت الله يفتح عيون الناس حتى تستطيع أن ترى كلمة الله ، فى كل جمالها وكمالها ، فى كل تنسيقها وتفاوتها ، وعندئذ يمكنهم أن يصرخوا فى سياق الاعتراف الوديع بخطية الحكم المتسرع عليها ، تلك الصرخة الجليلة التى جاءت على لسان السيد ، وهو يصف الكلمة الالهية بالقول : « كلامك هو حق » .

« فى كلمات الكتاب الرب هناك »

اثناسيوس

« ... مؤمنين أن المعرفة الالهية السابقة وهى تمد الجنس البشرى الحكمة العلوية بالكتب المقدسة ؛ قد وضعت . كما يقال . بذار الحق المخلص فى كل سفر ... »

أوريجانوس

« كل الكتب المقدسة المنفوخة بنفخة الله قد عرفتنا الاله ابن الله »

سنودس انطاكية

# الفصل التاسع

# بعض الآراء العصرية عن الكتاب

## - ١ -

فى عام ١٩٢٤ ظهر كتاب لهـــارى أمرســـون فوسدك بعنوان « الاستعمال الحديث للكتاب » وكان التعبير فى حد ذاته ينطوى على الكثير من الادعاء ، اذ لم يكن هناك استعمال واحد للكتاب يمكن أن يطلق عليه « الحديث » على حد تعبير دكتور فوسدك ، ولعل شـــهرة المؤلف هى السبب فى انتشار الكتاب ، وتقبل الكثيرين لما جاء به من أفكار ، وقد تبين أن أكبر خطأ تردى فيه الكتـــاب ، هو نبذه للفكر التقليدى الكتابى تحت ما أسماه « الاملاء اللفظى » وان كان من الواضح أن الرأى الكتابى عن الوحى ليس له مكان أصـــلا فى ذهن دكتور فوسدك !! ..

ومهما يكن من تقبل الكثيرين لفكر فوسدك من هـــذا القبيل ، فانه قد وجد معارضة قوية من أولئك الذين يؤمنون بشهادة الكتـــاب المقدس عن نفسه ، وقـــد كتب دكتور حه جريشام ماتشين على ســـبيل المثال ينقد بعنف آراء فوسدك ويلقى الضوء على العشوائية الظاهرة فى التطور التاريخى والمفهوم اللاعقائدى للمسيحية الذى تردد فى جنبات الكتاب !! ..

فاذا عدنا للسؤال وماذا يتصــور الناس الآن فى أقوال دكتور فوسدك !! ؟ كان الجواب أن الكثيرين ما يزالون الى اليوم يتمشــون مع أفكاره ، كما أنه يخشى أن أعدادا أخرى غير قليلة ماتزال تسىء الى الآن فهم العقيدة الصحيحة للعصمة الكتابية !! ..

على أنه من الجانب الآخــر قد تكون فى أمن الزلل اذ تقول ان « العصرية » بالمفهوم الذى عرفت به فى كتاب فوسدك قد ولت نســبة لتزايد الدراسة « اللاهوتية » للكتاب المقدس ، غير أن هذا لا يعنى أن الظاهرة المعروفة والتى يطلق عليهــا « العصرية » قد ماتت وانتهت ، فهذا أبعد الكل عما نقصــده أو نعنيه ، أن العصرية ، وان كانت قد فرغت من معتقداتها الأساسية التى تطايرت شظاياها مع أفكار فوسدك ، بحيث لم يعد الناس يؤيدونه فى كثير ما ذهب حول « الاستعمال الحديث للكتاب » الا أن هذا الاستعمال لم ينقرض مفهومه ومن الواجب أن نتحرى كنهه ومغزاه !! ..

ولعله من الخطأ الكبير أن نتكلم عن الاستعمال الحديث للكتاب ، كما لو أن هناك طريقا واحدا واسعا غالبا بهذا المعنى . ومن الصعب جدا أن نحدد تصورا واحدا تتبعه الغالبية المطلقة من المؤيدين والتابعين . اذ تختلف الطرق وتتنوع من هذا القبيل . وان كان يجمع بينها شىء واحد وهو معاداتها لشهادة الكتاب المقدس عن نفسه . الا أنها مع ذلك لا تتفق قط على تحديد النهج أو الأسلوب الذى تسلكه تجاه الكتاب . ومن ثم يصعب القول بأن هناك رأيا عصريا واحدا يمكن مناقشــته أو منازعته . أو بالأحرى هناك آراء متعددة مختلفة تأخذ هذه السمة ، ولئن كان من الصعب الجمع بين هذه الآراء أو حصرها ، الا أنه من الميســور مجابهة الطابع العام الذى يفرق بينها وبين الفكر الكتابى التاريخى الصحيح .

ومهما اختلفت الآراء العصرية فى التفصيل والجزئيات فهى متفقة فى شيء واحد جوهرى ، اذ أنها مبنية على الرأى العصرى الحديث عن الله والانسان ، وقد لا يكون من السهل على الاطلاق فهم تغلغل الفكر العصرى فى حقل اللاهوت الا اذا آدركنا كيف مدت فلسفة عمانوئيل كانت شعابها وجذورها البعيدة فيه !! •• ان الفكر العصرى فى طبيعته لا أدرى ، وهو يرجع فى ريبته وشكوكه الى فلسفة الشك والارتياب التى أطلقها كانت من عقالها !! ••

## ما وراء « النقد »

من المحقق أن هناك اقتناعا عاما فى هذه الأيام أن محصلة « النقد » الذى ظهر فى القرن التاسع عشر جاءت مخيبة للآمال ، ومهما قيل عن المكاسب العظيمة التى وصل اليها هذا النقد ، فان النتيجة النهائية رغم ذلك لم تعد مرضية ، ولم يكن فى ذلك ما يدعو الى العجب ، اذ تزايد الاتجاه الى دراسة الكلمة الالهية ، أكثر من الاعتكاف على الوثائق المزعومة وفحصها ، •• لقد انصرف الوقت والجهد فى القرن الماضى الى محاولة العثور على الوثائق التى يمكن عن طريقها معرفة كيف تمت كتابة العهد القديم !! ••

والكاتب الحالى لا يمكن أن ينسى قصة الرواية المثيرة التى قرأها عندما كان طالبا يدرس فى ليبتزج ، وهو لا يذكر الآن عنوان القصة أو من كتبها ، لكنها كانت تتحدث على أى حال عن راع فى كنيسة انجليزية كان يعتقد أن من واجبه ، أن يؤيد عظاته التى يلقيها بالوثائق التى تؤكد صحة مايذهب اليه فى العظة ، وقد أغرق نفسه فى تأكيد الوثائق ومصدرها وقيمة الشهادة الواردة فيها ، ومع أن الشعب الذى كان يستمع اليه كان من صفوة المتعلمين ، الا أنه لاحظ التناقص المتوالى

فى عدد السامعين أحدا بعد أحد حتى هجره تقريبا الجميع ، ولم يعودوا يستمعون له لأن الوثائق التحليلية لا يمكن أن تطعمهم وتشبع نفوسهم !! ..

ويبدو أن هذا مانسمعه اليوم اذ ترتفع الصيحة بالحاجة الى الامتداد الى ما وراء النقد ذاته ، أنه من الحق ولا شك أن من يعالج الأسئلة الخاصة بأصل الكتب المقدسة ، وطبيعتها ، ونشأتها لابد له أن ينغمس فى الدراسة النقدية ، ولكن لايغرب عن البال أن هناك فارقا أساسيا بين الدراسة الصحيحة والخاطئة فى هذا المجال ، فالدراسة الصحيحة هى التى تتكشف عن رغبة الباحث فى اخضاع فكره للتعاليم الكتابية والسير فى أثرها أينما اتجهت ، غير أن الأخرى ترفض هذا الاتجاه وتأبى قبوله ، بل أكثر من ذلك أنها تحاول اخضاع الحق الالهى للحكم الشخصى . وهى التى تقرر ماينبغى قبوله أو رفضه ، واحدة تؤكد أن الكتاب ينبغى أن يتبع تماما فى كل ما يعلم ، وثانية على النقيض تأبى الا اخضاع الكتب المقدسة لحكم الباحث ، وكأنما هذه الكتب على قدم المساواة مع أية كتب أخرى ، هذا النوع الأخير من الدراسة ، والمنصرف الى دراسة تاريخ العهد القديم ، وانشائه ، وطبيعته . وأصله فيما هو معروف علميا « بالنقد الأعلى » هو أس البلاء ، وأصل الداء ، فيما يعتقد الكاتب الحالى ، فى كل ما يصيب الكنيسة المسيحية من أدواء . وليس هذا طعنا فى أخلاق من قاموا به ، بقدر ماهو تقرير للحقيقة ذاتها ، والمبنية على تنصيب العقل البشرى حكما مطلقا على الكتاب المقدس ، والنتيجة لا شك خطيرة ومدمرة .

ولا شبهة فى أن علماء الكتاب المؤمنين المسيحيين نقد لاحظوا بحق مدى ما فى هذا النقد الأعلى من خطورة ، كما أدرك النقاد الذين يتصدون له بأنفسهم نواحى متعددة من القصور فى دراساتهم ، وان

كانوا يؤمنون فى الوقت عينه بأن طريقة الدراسة التى انشغلوا بها ، والتى كانت جارية فى القرن التاسع عشر قد أسفرت عن أرباح عظيمة ،.. انهم يقرون بأن النقد قد فاته ولا شك الشيء الكثير ، وهذا حق ، لأن النقد فى الواقع أغفل رسالة الكتاب المقدس الأساسية ، على أنه يجمل بنا قبل البحث فى هذه الرسالة أن نتأمل الأرباح أو المغانم التى يعتقد هؤلاء العلماء « النقاد » أن النقد الأعلى قد أسفر عنها فى دراساته عن الكتاب المقدس فى القرن الماضى !! ..

« كان المعتقد الشائع دائما أن أسفار موسى الخمسة هى كتابات موسى وعمله ، الا أن النقد الأعلى كان له رأى آخر فيها . اذ أنها حسبما تصور فى القرن التاسع عشر ليست من عمل انسان واحد ، بل هى بالأحرى مجموعة من الوثائق المستقلة ضمت معا فيما نراه فى الكتاب المقدس ، وقد جمعها الكتاب والمحررون خلال تاريخ اسرائيل الطويل فيما يطلق عليه الآن الأسفار الخمسة ، ومن ثم فهى تجمع لهذا قصتين عن الخليقة وأخريين عن الطوفان ، كما تكشف عن تميز فى الأسلوب فى أجزاء متعددة فيها ، .. كما أن اشعياء حسب ذات التصور ليس من عمل رجل واحد ، بل انه ابتداء من الأصحاح الأربعين كان هناك كاتب آخر كتب الجزء الأخير بعد زمن اشعياء بفترة طويلة ، والأمر عينه بالنسبة لدانيال الذى يظنون أنه لم يكتب خلال السبى البابلى بل فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد فحص الآن رتشاردسن فى كتابه « مقدمة لدراسة الكتاب المقدس الصادر فى لندن عام ١٩٤٣ » .. ما يلى :

« لعلنا لسنا فى حاجة الى من يستحثنا الى تقدير معنى الكتاب المقدس وقيمته اللذين سيزدادان تألقا بفضل ذلك التنسيق الذى أمكن الوصول اليه خلال الأضواء التى سلطها العلماء على مختلف الأمور ،

وأكثر من ذلك على حياة الناس الذين كتبوا الكتب المقدسة ودوافعهم واختباراتهم . فعلى سبيل المثال كيف جمع لوقا انجيله من مصادر مبكرة ، بما فيها انجيل مرقس أو لماذا هناك روايتان عن الخليقة ، أو عن الطوفان فى سفر التكوين . ان هذا كله سيساعدنا أكثر على ادراك معنى ما نقرأه ، .. أن نعرف ونحن نبلغ الأصحاح الأربعين من اشعياء أننا نعبر قرنا ونصف قرن من الزمان عن ذلك الوقت الذى كتبت فيه الأصحاحات من الأول الى التاسع والثلاثين . سيضفى ولا شك على أذهاننا الكثير من المعانى المختلفة ، وأكثر من ذلك فان هذه الأمور لا شك فيها . اذ هى ليست تركيبات افتراضية أو آراء تخمينية ، بل هى حقائق مؤكدة ، كتلك التى تدخل فى نطاق البحث العلمى » ..

ان هذه العبارة الأخيرة تنقلنا مباشرة الى الادعاء الذى يصبغ « النقد » العلمى ، كما أن المغانم التى يدعيها هذا النقد ليست فى تصورنا مغانم على الاطلاق . وذلك لأنها تقوم على مبدأ خاطىء ، وهو مبدأ المنازعة مع الشهادة الواضحة للكتاب المقدس ،.. يقول رتشاردسن ان هذه الأمور لاشك فيها ، وهى لا شك فيها فقط . لأولئك الذين ينبذون شهادة الكتاب المقدس عن نفسه . وقد تحدى الكثيرون من أقدر العلماء الذين أخضعوا تفكيرهم لاعلان الله المعصوم النتائج الذى زعم النقد العلمى الوصول اليها . ومع أن هذه النتائج فى طريقها الى الزوال . الا أنه يهمنا أن نبين ، أنه وان كان النقاد الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر قد انصرفوا كلية الى النقد العلمى ، دون مبالاة برسالة الكتاب نفسها . الا أن نظائرهم فى الوقت الحالى يبدون اهتماما كبيرا بهذه الرسالة . هم تواقون بذلك للحصول على ما يؤمنون أنه مغانم النقد العلمى . .. وقد أعلنا بكل وضوح شكنا فى هذه المغانم المزعومة ، حتى يدرك الجميع موضع أقدامنا الثابتة التى لا تتزعزع !!..

انهم يقولون لنا ان هذه المغانم لا ينبغي أن تضيع ، ولا يجمل بنا أن نعود الى الطريق القديمة فى النظر الى الكتاب ، وهم يقصدون ولا شك ، الطريق التى انتهجناها مثلا فى الدفاع عن الكتاب المقدس ، وهم يطلبون الحفاظ على المغانم التى جلبها النقد العلمى ، وان كانوا يعترفون فى الوقت نفسه ، بأن هذه المغانم لم تعد كافية ، اذ لم تشمل الرسالة اللاهوتية للكتاب التى نبذت وأهملت ، ولندع وليم نيل يكشف هذه الحقيقة فى كتابه : « اعادة اكتشاف الكتاب المقدس لندن عام ١٩٥٤ » ويقرر :

« نحن الآن أكثر استعدادا للاقرار بأنه من الممكن ، بالاضافة الى الاعلان العام الذى أعلن به الله طبيعته ، وارادته ، وغرضه للناس ، بطرق كثيرة ، وفى عصور متعددة مختلفة قد اختار أن يعلن عن نفسه ، اعلانا خاصا ، وبطريقة خاصة ، وفى زمن خاص . وان العهدين القديم والجديد لا يتضمنان نظريات عن الله ، بل بالأحرى يسجلان سلسلة من الحوادث. ينبغى أن تؤخذ فى الحسبان اذا رمنا أن نعطى صورة صادقة عن دور الانسان فى الكون » ...

ونحن من جانبنا اذ نسجل هذا التعبير يغمرنا الأسى ، اذ لا نتصور فيه . ولو للحظة واحدة ، عودة الى الايمان المسيحى التاريخى ، بل أن رنين كلماته ليس الا الرجع الباكى للحالة الدينية فى العالم ، فاذا قصدنا فى التعبير معناه السريع المباشر بدا لنا أن النقاد العصريين باتوا أميل اليوم الى التسليم بالاعلان الالهى الخاص ، وان حوادث الكتاب المقدس ليست فى واقع الحال الا صورة هذا الاعلان وقد أظهرت للناس ، ولا حاجة للتأكيد ههنا أن الكنيسة تعلن منذ نشأتها عن حقيقة هذا الاعلان الخاص ، وأنه يتركز أساسا فى الكتاب المقدس . ولو أصاخ النقاد

العصريون سمعهم منذ البدء للكلمة الالهية لما توانوا فى ادراك هـذه الحقيقة الراسخة أن الله أعلن عن نفسه بطريقة خاصة •

والسؤال الذى يفرض نفسه ولا شك بعد هذا لماذا عاد بعض العلماء الى الاقرار بحقيقة الاعلان الخاص !! ؟ وهل جد ما يدفع الى ذلك !! ؟ فى الواقع ليس هناك من جديد ، فالسموات بما هى عليه تعلن دائما عن مجد الله . كما أن الكلمة الالهية المعصومة والتى أعطاها الله للانسان من الوضوح بما لا يدع مجالا للبس فى ادراك أنها اعلان الله الخاص ، ولا عذر لأحد فى رفضها أو التنكر لها ، •• أجل وليس من جـديد يمكن اضافته الى الدافع الذى يدفع الانسان على الدوام الى التمسك بها ، فما الداعى اذا لبعض اللاهوتيين للعودة الى الأخذ بهذا الاعلان !!؟ •• ان الجواب الوحيد على ذلك فيما نعتقد . هو ذلك الافلاس الظاهر الذى أحس به الكثيرون من المفكرين فى النتائج التى وصلت اليها الدراسات العلمية خلال القرن الماضى . والاحساس الواضح بالمحنة التى اجتازتها الكنيسة البروتستانتية . لقد عاد الناس يدركون الآن أن لا جدوى من الدراسة النقدية المجردة التى اجتاحت النقاد فى القرن التاسع عشر ، ولعلهم فى هذه العودة يحسون بهجتهم وفرحهم . ومع ذلك فهناك أسئلة أخرى ماتزال تنهض أمام الذهن . ومنها أنه اذا كان هذا النقد العلمى قد أثبت فشله وعدم جدواه . فأى فائدة جناها أولئك الذين انشغلوا به ، لقد أدركنا كما يقال الحاجة الواضحة الى التفسـيرات اللاهوتية للكتاب ، فماذا عن الذين لم يدركوا مثل هذه الحاجة وماذا جنوا من الكتاب !! ؟

واذا بدت هذه الحاجة ماسة للجميع ، فان معنى ذلك أن الاعلان الخاص يمكن أن يساعدنا مساعدة حقيقية ، فاذا كان الأمر كذلك ، فماذا عن الذين لم يستطيعوا قبوله فيما مضى ، وأى فائدة يمكن أن يكونوا

قد أخذوها منه ، •• ان من الصعب تجنب الفكر أن مفهوم « الاعلان الخاص » عند اللاهوتيين العصريين جميعا ليس واضحا أو حقيقيا على الاطلاق ، اذ أنهم لا يقبلون بالتأكيد الاقرار بتدخل الله المثلث الأقانيم فى قصة التاريخ البشرى ، وتحدثه الى الناس فى كلمات ، أو فى لغة أخرى ان الرجل العصرى ليس عنده الاستعداد المطلق لقبول فكرة « الاعلان الخاص » بالمفهوم الموروث المتعارف عليه فى الكنيسة المسيحية ••

ولعل السؤال الآخر هو أنه اذا كانت الدراسة النقدية فى القرن التاسع عشر قد صاحبها ذلك الافلاس الذى وضحت رؤيته ، فلماذا لم يكتشف هذا الأمر مبكرا !! ؟ ولماذا لم يتبين الذين انصرفوا اليها . فى وقت مبكر ، مدى المحنة التى تلاحق هذا الافلاس فى التاريخ البروتستانتى ، •• من المؤكد أنهم لو أصاخوا السمع الى الكتاب لتبينوا أنهم يسيرون فى الاتجاه الخاطىء ، أما وهم لم يفعلوا ، كما لا يفعل الرجل العصرى اليوم ، فمن أين اذا جاء هذا الاحساس الواضح بعدم كفاية الطرق النقدية التى اتبعت فى القرن الماضى !! ؟

ان هناك شيئا واضحا على أى حال فى أيامنا هذه . وهو أن الليبرالية التى جاءت وليدة مفاهيم الحياة والعالم فى القرن التاسع عشر قد كشفت الى حد بعيد عن سطحيتها ، ولعل كركيجارد ودستوفسكى قد كشفا عن هذه الحقيقة بفكرهما النفاذ وتحليلهما البارع للحياة البشرية !!•• فاذا أضفنا الى ذلك المأساة المروعة للحربين العالميتين وعجز هذه الليبرالية عن ايجاد الحلول النافعة للمحن البشرية ، تبين لنا لماذا بات من الضرورى التطويح بها ، وايجاد البديل الذى يمكن أن يحل محلها لمواجهة الاحتياجات المختلفة للنفس البشرية ، ومن ثم تغير المناخ الفكرى بالتمام ، واضحى التركيز فى الوقت الحالى على أمور تختلف تماما عما كانوا يهتمون به منذ ثلاثين عاما خلت !! ••

انهم يتحدثون اليوم كثيرا عن اعادة كشف الكتاب المقدس ، وهى لغة لا معنى لها بالنسبة للمسيحى الكتابى المؤمن ، الذى كان يعلم من البداءة من هم الذين وأدوا الكتاب ويحتاج الى الخروج من تحت الركام ليعاد اكتشافه ، ولعلها الطريقة النقدية التى سادت القرن الماضى والجزء الأول من القرن العشرين هى التى دثرته تحت أطباق الغموض ، أو عدم الجدية التى تناولها بعض القادة « التقدميين » فى الكنائس البروتستانتية أو هو الايمان المهزوز لبعض خدام الدين الذين حاولوا المساومة مع ما يوصف « بالنتائج المؤكدة للنقد العصرى » ومهما يكن من هذه كلها . ومهما يكن من الصور التى يريدون أن يصوروا الكتاب بها ، فانه مما لا شك فيه سيبقى دائما أولئك الذين يحبون الكتاب ويرون فيه الكلمة المعصومة للاله الحى !! ..

والسؤال حقا هل كانت هناك حاجة الى اعادة اكتشاف الكتاب ؟!؟ ان الكتاب فى الوقت الذى انغمس فيه النقاد فى محاولة تصيد مايزعمون أنه أخطاء وهنات ، والسعى لاخضاع كلمة الحق لسلطان الذهن البشرى واحكامه . كان هو الكتاب الذى منح بركته لأعداد لا تنتهى من المؤمنين الودعاء ، الذين علقوا قلوبهم وحياتهم به . اذ هو المحذر وقت التجربة ، والمشجع فى مواجهة الصعوبة ، والمعزى فى وجه المنية والموت . وهو لم يكن أبدا لهم الكتاب المضيع ، بل الحاضر فى كل مناسبة ، والذى هو جاهز للقراءة والتقوية والتثبيت ، ومن ذا الذى يستطيع أن يحدد مدى ما فيه من غنى وخير وبركة فى كل وقت وازاء كل ظرف !! ..

فاذا قيل لنا بعد ذلك انه يلزم اعادة اكتشاف الكتاب ، تعين أن نسأل وماذا يقصد باعادة الاكتشاف هذه !! ؟ أيقصد بها كلمة الحق الالهية ، أم يقصد بها اعادة تركيبه وفق آخر آراء النقد العلمى !! ؟ ان طرح السؤال يقتضى الاجابة عليه ، .. ومن الواضح أن بعض العلماء

الناقدين ليسوا على استعداد أن يقبلوا الكتاب بالمفهوم الذى عرفناه ودرجنا عليه ، أن الكتاب عندهم شىء مختلف تماما ، فما هو الكتاب الذى يريد اللاهوتى العصرى أن يعيد اكتشافه !!

ان الكتاب الذى يريد اللاهوتى العصرى اعادة اكتشافه هو كتاب « النقد » وليس كتاب المسيحية التاريخية ، وهذا هو المتوقع ، اذ يبدو من المستحيل الجمع بين أولئك الذين يؤمنون بمبـــادىء النقد الأعلى والقائمة عمليا على نبذ العصمة للكلمة الالهية ، والذين يؤمنون بالمسيحية الانجيلية ، وعلى الانسان أن يتخير اما التمسك بمبادىء النقد أو الايمان بالمسيحية الانجيلية ، وثمة أمر أكيد لا شبهة فيه أنه لا يســتطيع أن يجمع بين الاثنين معا ، فاذا هو تبع مبادىء « النقد » فان هذه المبادىء لا يمكن أن تقوده الى المسيحية الانجيلية ، واذا هو أخلص للمسيحية الانجيلية ، فانه لا يستطيع أن يسير فى أثر مبادىء النقد ، ومن ثم كان لابد للعالم العصرى ، والذى هو على غير استعداد لأن يطرح المبادىء التى لونت الدراسة الكتابية خلال القرن التاسع عشر أن يدرك أنه لن يقدر أو يستطيع الوصول الى مركز المســيحى الأرثوذكسى التاريخى الكتابى ، ومن المسلم به أن تعبير الأرثوذكسية الذى يرد كثيرا فى لغة اللاهوتيين العصريين ، يختلف تماما عما يؤمن به المسيحى الكتـــابى الوديع ، اذ أن الكتاب فى مفهوم العلماء العصريين يختلف تماما عما ألف المسيحى أن يراه ككلمة الله المعصومة التى تعود أن يعود اليها كلمـا رام أن يستمع الى صوت الله يتكلم اليه !! ..

### الكتاب والآيات المستخدمة كدليل وبرهان

يسمع المرء فى كل مكان من يؤكد أننا لا ينبغى أن نستعمل آيات الكتاب المقدس كدليل أو برهان ، ان استعمال الكتاب على هـــذا النمط هو فى نظرهم مســخ لطبيعتهـا ورسالتها ، فالآيات ليست ذلك

المخزن الذى نعود اليه لنأخذ المعين كلما واجه الانسان ظرفا • ويبدو أن هذا الاستعمال لم ينل السخط الكافى من اللاهوتيين العصريين ، ومع ذلك فهو فى نظرهم من أقسى الخطايا التى يرتكبها المسيحيون الانجيليون !! •• ومهما يكن من أمر . فان هناك حقيقة واضحة لا لبس فيها . وهى أن هذه العادة كان يسير عليها الرب يسوع المسيح . الذى كان يتخذ من الآيات برهانا ودليلا لما يفعل . فعندما جاءه المجرب قال السيد : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » ( مت ٤ : ٤ ) ولو كان اللاهوتيون العصريون على حق لما فعل المسيح يسوع هذا ، بالاستخدام غير السائغ للآيات الكتابية ، لكنه على العكس كان يرى الكتاب ممتلئا بالحقائق التى يحق للانسان أن يرجع اليها كلما رام أو احتاج ، ولم يكن المسيح فى حاجة الى مثل هذا الرأى الذى يمنع استخدام الكتاب كبرهان أو دليل ، بل بالحرى كان يرى فيه الاعلان الالهى كلما حزب أمر أو اختلف على نقاش •

لقد وضع المسيح هذا النمط الجليل ، وسار فى أثره الرسل فيما اقتبسوا من كلمات العهد القديم ، وقفا على هذه العادة من جاء بعدهم من محبى الكتاب خلال العصور الطويلة اللاحقة ، •• وكان لوثر وكلفن من أكثر الناس استنادا الى الكلمة الالهية تأييدا لما يذهبان اليه من أفكار أو تعاليم ، ولو أن رجال الاصلاح تقاعسوا عن الأخذ بها على الصورة التى يزعم اللاهوتيون العصريون أنها خاطئة . لما حدث هذا الاصلاح العظيم المبارك !! ••

وأكثر من ذلك أنه من العجيب حقا أن أكثر الناس احتجاجا على استخدام الكتاب ككتاب برهان أو دليل هم الذين يمكن أن يوجه اليهم مثل هذا الاتهام ، اذ يلجأون فى العادة اليه كسند لتعليمهم أو برهان لما يذهبون أو يقولون ، وفى الواقع لايعلم المرء كيف يمكنهم تبرير مثل

هذا العمل ، اذ أن من يلجأ الى استخدام الكتاب بأية صورة من الصور لمساندة رأيه ، انما يستعمله ، رضى أو كره ، ككتاب تستخدم آياته كبرهان أو دليل ، ولعل الرجوع الى اقتباسات اللاهوتيين العصريين خير دليل على ذلك . اذ ما أكثر ما يلجأون الى هذه العادة ، رغم احتجاجهم المتكرر عليها ؛ وليس من حق من يطالب بعدم استخدام آيات الكتاب من هذا القبيل ، أن يناقض هو هـذه الحقيقة باستخدامها كدليل أو برهان ، وفى الواقع أنه من المحال ، تجنب هذا الاستعمال ، وبشرط أن يوضع فى وضعه الصحيح ، والا كنا كمن يرغب فى هجر الكتاب كله فى هذا المجال !! ..

## من الكتاب المقدس اعلان كامل !! ؟

ان الاعتراض الذى يثيره البعض ضد استخدام آيات الكتاب المقدس للتدليل والبرهنة ، يرجع فى تصورهم الى عدم كفايته كبيان دائم أو اعلان عن الحق ، وهنا يتصادم الفكر العصرى تصادما حادا مع الرأى المسيحى التاريخى عن الكتاب المقدس ، الرأى الذى يفصح عنه على وجه رائع قانون الايمان الوستمنسترى فيما يقول : « ان مشورة الله الكاملة بالنسبة لجميع الأشياء الضرورية لاعلان مجده ، وخلاص الانسان ، وايمانه ، وحياته تظهر واضحة العبارة اما فى الكتاب المقدس ، أو من النتائج الصالحة والضرورية المستخلصة من الكتاب ..» على أن الكثيرين من اللاهوتيين العصريين ، لا يقبلون هـذا الرأى الكتابى اذ يعتبرونه وصفا ساكنا للكتاب المقدس ، ومن ثم فهو مرفوض، وقد أفصح أوتو أ . بيبر منذ سنوات قلائل عن هذا الرأى المستحدث بقوله ان أقسى عقبة تواجه تفكيره عن الكتاب هو الايمان به « كمجموعة من العقائد اللاهوتية مضافا اليها سجل الحوادث التاريخية » .

وقد نعجب للصراحة الواضحة فى أقوال دكتور بيبر ، ولكننا فى

انوقت ذاته تؤكد ، أن ما يراه جديرا بالادانة ويعتبره عقبة تحول دون فهمه للكتاب ، هو بذاته مايصر الايمان الوستمنستري على التمسك به بكل شدة ويقين !! •• ان الكتاب وفقا لقانون الايمان والتقليد المسيحى المستقر هو مجموعة من العقائد اللاهوتية ، ومن الحقيقى أن هذه العقائد ، وان كانت لا تأخذ شكلها النظامى المعروفة به فى الكتب اللاهوتية ، الا أنها موجودة فى الكتاب المقدس ومأخوذة منه ، « ومشورة الله الكاملة بالنسبة لجميع الأشياء الضرورية لاعلان مجده ، وخلاص الانسان ، وايمانه ، وحياته » كل هذه الأمور ، وهى بالتأكيد عقائد لاهوتية . وان كانت فى الوقت نفسه عقبة أمام ذهن دكتور بيبر فى فهم الكتاب ، الا أنها جميعا كما يقر قانون الايمان موجودة فى الكتاب المقدس !! ••

ومن الملاحظ أن دكتور بيبر لا يقف منفردا فى الغض من الكتاب المقدس كمصدر للعقيدة ، اذ يشاطره فى الرأى دكتور الان رتشاردسن قائلا : « •• انهم ( المسيحيين ) لا يفكرون فى الكتاب المقدس كرسالة الله المكتوبة منذ قرون متعددة والباقية من غير تغيير كل الوقت ونهائية، وكاملة ، وساكنة ، بل بالأحرى يتكلم الله بها للانسان ، •• وهو بذلك ليس سجل اعلان ميت ، ولكنه الواسطة الحية لاعلان حاضر » ••

فهل هذه هى الصورة الصحيحة للكتاب ، نحن ندرك أن الكتاب المقدس رسالة الله المرسلة الى العالم منذ قرون عديدة ، وهى بهذا المعنى حق الله الذى لا يتغير ، وهى اعلان نهائى ، وكامل ، •• ولكن هل هى ساكنة !! ? مع الفهم بأن العبارة الأخيرة كثيرا ما تلقى على وجه *السخرية* ، •• *ولكن هل المدلول الدائم لها* يمكن أن يكون ساخرا !! ? اذا كان المقصود بالكلمة « ساكنة » أن الحق الالهى فى الكتاب لا يتغير ، فبالتأكيد أن الكتاب المقدس اعلان ساكن ، وما أكثر المرات التى ينبغى

أن نشكر فيها على الأمور الساكنة ، •• والكاتب يذكر أنه كان يسافر مرة فى صحارى كولورادو وقد لاحت له من على بعد قنطرة تعلو واديا عميقا ، وكأنها معلقة فى الفضاء ، وأسـفلها خندق عميق ، وهى تبدو للنظرة الأولى وكأنما لا أساس لها ، على أنها فى الواقع كانت للعابر فوقها ثابتة وقوية ، •• وهى لحسن الحظ ساكنة تماما ، ويمكن أن يعبر المرء فوقها بأمان تام ، •• فاذا قيل لنا ان الكتاب المقدس ساكن ، والمقصود بذلك أنه لا يتغير ، فنحن لا نفزع من القول ، بل نؤكد بالحرى أنه ساكن ، •• ان الكتاب حق ، والحق الذى فيه لاينمو أو يتغير ، ومهما يقل من ألفاظ رخيصة أو مستهجنة فى وصف الآراء الأرثوذكسـية التاريخية الكتابية ، فانه مما لاشـك فيه أن الحق الكتـابى لا يتغير أو يتبدل مع كل ريح تعليم !! ••

ونحن نسأل ماذا يقصد رتشـاردسن بكلمة اعلان ميت ، وهل يصبح الاعلان الذى أعلنه الله بمجرد اتمامه اعلانا ميتا ، نحن نعلم أن الله لم يعد يتكلم الى الناس كما فى الأزمنة الكتابية ، كما أن الكتـاب هو سجل الاعلانات العجيبة التى أعطاها الله للجنس البشرى الساقط ، وهو أكثر من مجرد سجل اعلانات ، اذ هو فى ذاته اعلان ، •• وهو كسجل اعلانات ، أضحى تاما ونهائيا ، لكل التاريخ ، أو كما جاء فى الاستهلال العظيم للرسالة الى العبرانيين : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » وقد أضحت كلمة الله بتدوين هذا السجل حقيقة تاريخية منجزة ، فهل يتبع ذلك أن يعتبر الاعلان المعطى اعلانا ميتا !! ؟ والسـؤال القائم ما هو الاعلان الميت !! ؟ •• اذا كان القصد بهذا التعبير المؤسف الذى أطلقه دكتور ريتشاردسن يعنى كمال الاعلان ، فلا اعتراض على أن الاعلان أصبح كاملا فعلا ، •• ومع ذلك فكلمة الله ليست ميتة أو بلا حياة بل بالأحرى : « حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة الى

مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » ( عب ٤ : ١٢ ) .. والكلمة المقول انها اعلان « ميت » هى التى كشفت لأعداد لا تنتهى من الناس جرم الخطية والنعمة المخلصة بيسوع المسيح على الصليب !! .. فاذا كان هذا هو الاعلان الميت فمرحبا به !! ؟ .. ان كل ما يتكلم به الله الينا هو « روح » و « حياة » ، وعلى المسيحى أن يفرح من كل قلبه لأن الله اذ تعامل معه بالمحبة أعطاه أساسا راسخا تستقر عليه نفسه ، ومن حقه أن يرفع صوته شاديا :

كم هو أساس راسخ ياقديسى العلى
كلمة الله التى تطمئن اليها القلوب
وهل هناك ما هو أكثر من قوله
الى المسيح الملاذ واليه وحده الهروب !!

هذه الكلمة المجيدة ، والتى أعطيت كاملة للجنس البشرى كله هى نسمة الحياة لأولئك الذين استيقظت ضمائرهم بالروح القدس ، فأحسوا بخطاياهم ، ولم تكن لهم كلمة ساكنة أو اعلانا ميتا ، بل بالأحرى كلمة القوة والنعمة والحياة !! ..

ان الكتاب المقدس كما قد يقال : ليس مجموعة عقائد معصومة ، أو يحتوى على نظام عقائدى وفى ذلك يقول بروفسور ج . أرنست رايت :

« ان الفرض الثانى فيما سبقت الاشارة اليه يمكن قبوله ، ونعنى به عدم وجود نظام عقائدى : أو ما يقصد به القواعد النظامية المجردة للمعتقدات الخاصة بالله : والانسان ، والخلاص ، مما تحفظه الكنائس ، وتشجع على ابرازه فى طقوسها وعقائدها ، وعلى سبيل المثال فان كل

شيخ ، أو شماس ، أو مرسل ، أو خادم فى الكنيسة المشيخية فى الولايات المتحدة ملزم أن يعلن اقراره عند تنصيبه ؟ قانون الايمان الخاص بهذه الكنيسة والذى يتضمن : « نظم العقيدة المؤسسة على الكتب المقدسة » والسؤال هنا هل تحتوى الكتب المقدسة على نظم عقائدية !!؟ بالتأكيد ان أى كاتب من الكتاب الذين كتبوها لم يهتم أساسا بمثل هذه النظم ، ومن ثم يمكن القول بأن تلك النظم الأساسية الساكنة التى أنشأتها الكنيسة لم تكن الا عن طريق الاستدلال من المكتوب فى الكتاب المقدس ، وهذه النظم صالحة جدا ، وهامة جدا ، ولكنها لايمكن أن تكون الوسيلة التى تتعرف بها على الكتاب ، اذ أنه لا يوجد نظام مهما كان شكله يمكن أن يعطينا الديناميكية الداخلية للايمان الكتابى » « ج أرنست رأيت فى كتاب الله الذى يعمل لندن ١٩٥٤ صفحة ٣٥ ـ ٣٦ » .

ان ما أشار اليه دكتور رايت ليس فريدا فى بابه ، وان كان أسلوبه يتميز بالوضوح والتدقيق فى عرض وجهة من أوجه النظر العصرية ، ونحن نؤكد جوابا على سؤاله ان الكتاب المقدس ليس مؤلفا عن اللاهوت ، ولم نسمع أن واحدا من المؤمنين به ينظر اليه بهذا المعنى، وان كنا نسمع بين الكتاب العصريين من يصر على أنه لا ينبغى أن يؤخذ هكذا ، الا أننا لا نعرف أحدا تناوله بهذه الصورة ، .. ان الكتاب المقدس ليس مؤلفا لاهوتيا ، لكن هذا لا يستتبع بالضرورة أن مشتملات النظم اللاهوتية لم تؤخذ منه أو تبنى على أساسه .

ان هذا الكتاب المعطى الحياة ممتلىء من أوله الى آخره بالعقائد ، والعقائد فيه ليست مرصوصة على أسلوب تنظيمى ، لكنها موجودة مع ذلك فيه : « أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » ( خر ٢٠ : ١ ) ، هذه عقيدة ، وعقيدة رائعة وغنية ، وقد

قال عنها الان رتشاردسن : « ان المعرفة العبرانية عن الله مؤسسة على حقائق تاريخية وليست على آراء أو حجج ميتافيزيقية ـــ ما وراء المادة أو الطبيعة ـــ » وحتى لا يعثر الفهم يلزم أن نوضح أن هذه الحقائق التاريخية تكون بغير جدوى اذا لم تفسر بكلمات ، وعندما صنع الله آياته العظيمة لانقاذ شعبه ، اتبع أعماله بالشرح والتفسير ، اذ قال له : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » ( تث ٦ : ٤ ) ، وهنا عقيدة . وهنا قضية قاطعة ، وهنا حجة ميتافيزيقية ، وقد أقام اسرائيل معرفته بالله على أساسها .

واذا كان بعض اللاهوتيين العصريين يركزون اهتمامهم ، على هذا العمل الانقاذى العظيم الذى أتمه الله فى مصر ، فلا بأس من الاشارة اليه ، بالقول ان موسى عندما اقترب من العليقة المتوقدة ، أعطاه الله بالأحرى الاعلان الذى يزعمون أنه « ميت » و « ساكن » والذى يحتوى على قضية قاطعة ، وحجة ميتافيزيقية . ولنسمع أيضا أقوال الحيـــاة العجيبة : « أنا اله أبيك اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب » ( خر ٣ : ٦ ) وأيضا : « انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم انى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبنا وعسلا .. » ( خر ٣ : ٧ ، ٨ ) وقال أيضا : « أهيه الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم » ( خر ٣ : ١٤ ) .. هذه اللغة تفيض بالحقائق عن الله . وهى تخبر عن الله ، ومن يكون ، وما علاقته باسرائيل . وهى حقائق ممتلئة بالعقيدة ، وذات الشىء الذى يتصور اللاهوتيون العصريون أنه غير موجود فى الكتاب ، .. على أنه من المؤسف حقا أن يمتد هذا التصور الى بعض الانجيليين فيلجأون الى اللغة المشابهة للفكر العصرى كمثل ما قال بروفسور هـ . ل . اليسون : « لا ينبغى أن ننسى أن الله كان يمكن أن يوحى بكتاب لاهوتى ، لكنه

لم يفعل ، اذ أنه لم يرغب أن يعرف بسلسلة من الموضوعات اللاهوتية ، بل اختار بدلا من ذلك اختبارات الناس ، ويرجع ذلك جزئيا الى أن الاختبار ينبغى أن يكون دائما أغنى وأكمل من التعبير اللفظى حتى ولو كتب بارشاد الروح القدس »

تحتاج هذه الكلمات المثيرة للفكر الى وقفة عميقة للتأمل ، ولعله يحسن أن نبدأ بالقول : « ان الاختبار ينبغى أن يكون دائما أغنى وأكمل من التعبير اللفظى حتى ولو كتب بارشاد الروح القدس » ومن الواضح أن هذه الكلمات تحمل الكثير مما يقال فى هذه الأيام ، من أولئك الذين يحاولون الغض من قيمة الاعلان اللفظى ، ومع أنه من المؤكد أن الخبر الذى ينقل عن طريق المشاهدة أقوى من ذلك الذى يأتى عن طريق السمع أو القراءة بعد فترة من حدوثه ، وليس هناك أدنى شك ، ولا يستطيع واحد من المؤمنين أن يجادل فى أنه كان من الممكن على سبيل المثال أن نعرف أمورا أكثر عن اللقاء بين فرعون وموسى ، لو أننا شاهدنا بأعيننا هذا اللقاء وقت حدوثه ، كان من الممكن أن نرى الملك ، وشعاره ، وموكبه ، ومجلسه ، والنيل ، وأشجار النخيل وما أشبه ، وكان من الممكن أن نرى ما يلوح على وجهه ، والغضب البادى عليه ، والفزع الذى استولى عليه ، عندما امتدت يد الرب لتعمل ، وكان من الممكن أن نراقب تصرف موسى وهرون ، هذه وغيرها كان من الممكن أن نعرفها ، ولكننا ونحن نعتمد على الكلمة المكتوبة لا نعرف ما كان يمكن أن نعرفه ، لو أننا كنا فى مصر القديمة ، ورأينا الحوادث وشاهدناها بأعيننا ، وبهذا المعنى يمكن القول ان الاختبار أكمل من الكلمة المكتوبة ، حتى ولو كانت سجلا معصوما !! ..

على أنه مع ذلك نحن نعتمد الآن على الكلمة المكتوبة ، وليس من سبيل الى العودة الى قصر فرعون لنكون شهود الحادث وقت وقوعه فى

مصر ، ولا شبهة فى أنه كان من الممكن أن يكون واحـــدا من أغنى الاختبارات لو أتيح لنا أن نسمع سفيرى الله ، وهما يعلنان أعمــال سيدهم القوى لفرعون ، ولكنه مهما كان هذا مجيدا ، فانه لا سبيل لنا اليه على الاطلاق ، وليس لنا رضينا أو كرهنا الا الاعتماد على الكلمة المكتوبة ـ وشكرا لله أنها سجل معصوم ـ لما عمل الله فى أرض مصر ، وأنه من الخطأ البين مادمنا مقيدين بهذه الكلمة المكتوبة ، أن تتصور أنه قد فاتنا ما كان ينبغى أن تتعرف عليه !! ..

وقد رأى الله فى غنى صلاحه أن يعطينا هذه الكلمة المناسبة ، وهى سجل حافل وكامل ، وهو مع ذلك لم يعطنا هذا السجل لاشباع أهوائنا أو حب الاســتطلاع فينا ، بل بالأحرى لنعرف كل ما نحتــاج الى معرفته ، وصادقة وحكيمة تلك الكلمات الرائعة فى قانون الايماز الوستمنسترى : « ان مشورة الله الكاملة بالنسبة لجميع الأشــياء الضرورية لاعلان مجــده ، وخلاص الانسان وايمانه ، وحياته تظهر واضحة العبارة أما فى الكتاب المقدس أو من النتائج الصالحة والضرورية المستخلصة من الكتاب .. » وليس من الضرورى لذلك أن نعرف ما لاح على وجه فرعون الغاضب ، أو شكل الجو المصرى ، أو الحرارة فى ذلك اليوم ، قد تكون هذه الأمور مسليــة ،ولكنها ليست ضرورية ، وكل ما هو نافع لخلاصنا قد أنعم به الله علينا فى سجل كلمته الالهيــة ، ان الكتاب المقدس ليس رواية نلهو بها ، بل هو كلمة الله المعطى الحياة ، كلمة الحق، الكلمة التى يحتاج اليها الرجال والنساء المتعبدون فىالحياة، ويجدون فيها رسالة الخلاص لنفوسهم ، بل هو الكلمة التى يخبرنا الله فيها بما يريد أن نعرف ، وهى أعلى جدا من أن يقلل من شأنها ، اذ هى بالأحرى مبعث الشكر لله الذى رضى أن يخبرنا بواســطتها عن ارادته الصالحة الكاملة المقدسة المرضية !!..

على أنه اذا كان الاختبار أكمل من الكلمة المكتوبة ، فهل يتبع هذا أن الله كان من اللازم أن يعرف نفسه للجنس البشرى عن طريق الاختبار أكثر منه عن طريق سلسلة من الموضوعات اللاهوتية !! ؟ ان الاصرار على هذا معناه احداث تفرقة لا مبرر لها ، •• انه من الحق أن الله فى الأزمنة الكتابية أعلن نفسه عن طريق أعماله المجيدة العظيمة ، وقد أكد هذه الحقيقة كل العلماء الكتابيين المؤمنين طوال عصور التاريخ الكنسى، فليس اذا من جديد يمكن أن يضاف الى القول أن الله كلم الناس على الدوام من خلال أعماله ، ألم يفعل هذا على سبيل المثال فى قصة الخروج اذ أعلن نفسه وأعماله من خلال عمليات الانقاذ الرائعة لشعبه ، •• ليس هناك من شك فى ذلك ، ونحن لا نعترف بهذا فحسب ، بل نركز عليه الحديث ، اذ أن المعجزات التى صاحبت التحرير والخروج كانت فى حد ذاتها اعلانا عن قوة الله ومجده ، ومن ثم كانت بالحقيقة اعلانا عن الله وطرقه !! ••

على أنه فى الوقت نفسه مهما يكن لهذه الأعمال المعجزية الالهية من قيمة ، فانها كان لا يمكن أن تفسر تفسيرا صحيحا من الناس ، دون أن تكون مصحوبة بالشرح الصحيح ، عندما رأى اشعياء رؤياه المجيدة فى الهيكل ، أمر الله واحدا من السرافيم أن يصنع عملا رمزيا ، وهـذا العمل أن يأخذ جمرة بملقط من على المذبح ويطير الى اشعياء ويمس بها شفتيه ، •• فما معنى هذا العمل !! ؟ أهو عقوبة لاشعياء ، الذى أدرك نجاسة شفتيه ، وهو يسمع من الشفاه المقدسة تمجيد الله !! ؟ أهو تأكيد لاشعياء عن المسامحة والغفران !! ؟ •• ان الحقيقة أن اشعياء كان من الصعب عليه أن يدرك معنى العمل أو قيمته ومغزاه ، مهما يكن غنيـا أو خصبا فى اختباره حتى يسمع التفسير الملائكى : « ان هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك » ( اش ٦ : ٧ ) كان لابد للكلمة المعلنة أن تصاحب العمل المعلن ، ولم يكن هناك من غنى عن الاثنين !! ••

ومن بين أعمال الله العظيمة والتى أظهر بها سلطانه على جيوش هذه الأرض ، ذلك القضاء المباغت الذى قضى به على قوات سنحاريب الملك الأشورى القديم اذ يقول الكتاب : « وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا ولما بكروا صباحا اذ هم جميعا جثث ميتة » ( ٢ مل ١٩ : ٣٥ ) ، وقد جاءت هذه الكلمات الالهية مفسرة للفاجعة الواقعة ، وقد أضحى هذا التفسير لنا وللاسرائيليين القدامى ، شرحا للعمل الالهى وتوضيحا له فى كلمات ، .. لقد صرع الجيش الأشورى ، لأن الله أرسل ملاكه ليقضى عليه ، وينقذ شعبه المحاصر . ويعطيه النجاة العظيمة ، .. على أن الأمر بالنسبة للأشوريين أنفسهم لم يكن مفهوما ، اذ لم يكن يصاحبه تفسير ، وكان من الممكن أن يفسر تفسيرا خاطئا ، للسبب البسيط ، انه لم يكن لهم الاعلان المصاحب الذى يجلو السر ويكشف عن الواقعة ، .. كان الأمر بالنسبة لهم ان كارثة قد حدثت . أما لماذا أو كيف فهم لا يدركون !! ؟

ان السبب الذى لا يستطيع معه الأشوريون أن يفسروا تفسيرا صحيحا هذا الاعلان الخاص ، والذى لايستطيع معه الجنس البشرى أن يفسر أعمال الله المعجزية العجيبة يرجع الى أن الانسان خاطىء ، وقد أظلم ذهنه . فهو لا يستطيع أن يبصر الأشياء فى وضعها الصحيح أو فى صورتها الحقيقية ، .. ومن ثم أعطاه الله اعلانه فى كلماته ، والا غرق فى الظلام ، بنفس الصورة التى كان عليها الأشوريون ، .. وفى الحقيقة أن عطية الله فى اعلان الحكمة دليل حكمته وصلاحه ، ولعله من الواجب بدلا من أن نقلل من قيمة الاعلان فى كلمات ، أن نشكر بكل اتضاع لطف الله الذى يعين الانسان على قصوره وبلادة ذهنه فيشرح له حقيقة أعماله العجيبة بالكلمة الالهية !! ..

ومن اللازم التنويه أن المصريين والاسرائيليين بسواء بسواء كان من الممكن ألا يكتشفوا أهمية الخروج أو مغزاه ، لو لم يصاحب بالاعلان أو الشرح فى كلمات !! •• بل ان حوادث الخروج نفسها . التى يحلو للاهوتيين العصريين التحدث عنها ، كان من الممكن أن تجرد من كل غناها لو لم تكن مصاحبة بالاعلان الذى منحه الله بجوده لشعبه فى كلمات !! •• وفى الواقع أن الله لم يعلن ذاته عن طريق الاختبار أو الأعمال فحسب ، بل أكثر من ذلك أعلن نفسه عن طريق الكلمة ، وكان الاعلان بالكلمة فى حد ذاته عملا الهيا ، يمكن أن يحوله الناس فى حياتهم الى اختبار ، بل بالأحرى الى واحد من أعظم وأغنى الاختبارات المباركة التى تجرى فى حياة الانسان !! ••

ومع هذا كله ، فانه ليس صحيحا أن الله لم يعلن نفسه للانسان عن طريق سلسلة من الموضوعات اللاهوتية أو أنه لم يوح بمؤلف لاهوتى ، وليس من حق أى انسان أن يطالب أن تكون هذه الدراسات اللاهوتية على غرار مؤلفات ملانكثون اللاهوتية أو اللاهوت النظامى لتشارلس هودج أو النظم لفرانسس ترتين ، اذ لم يقصد الله أن يكون الكتاب المقدس كتابا فى اللاهوت النظامى ، •• على أن ذلك لا يعنى أنه لم يجمع بين دفتيه شتى الموضوعات اللاهوتية أو المسلسلات اللاهوتية ، اذ أنه يضمها جميعا . ويمكن أن نأخذ صورا منها بمجرد الاطلاع على الآيات التالية :

١ ــ أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملا فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا ( تك ١٧ : ١ ، ٢ ) •

٢ ــ ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جدا ( تك ١ : ٣١ ) •

٣ ـ فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطئ الغضب وكثير الاحسان والوفاء ( خر ٣٤ : ٦ ) •

٤ ـ وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين ( عد ١٢ : ٧ ، ٨ )

٥ ـ طوبى للذى غفر اثمه وسترت خطيئته ( مز ٣٢ : ١ )

٦ ـ الرب راعى فلا يعوزنى شئ ( مز ٢٣ : ١ )

٧ ـ للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها ( مز ٢٤ : ١ )

٨ ـ الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا ( يو ٤ : ٢٤ )

٩ ـ لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه كتب عنى ( يو ٥ : ٤٦ )

١٠ ـ أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا ( يو ١١ : ٢٥ )

وما من شك بأن الآيات المشار اليها ليست فى حد ذاتها موضوعات مصاغة على نسق تنظيمى ، لكنها هى الركائز التى ينبنى عليها التعليم اللاهوتى المنظم ، فاذا وضعنا الأمر فى صورة أخرى قلنا ان هذه الآيات تمثل الحقائق المؤكدة والتى ينبغى أن يؤمن بها ، وهى بهذا المعنى موضوعات لاهوتية ، وسجل لاهوتى على قدر ما نستطيع أن نأخذ منه من تعاليم عن الله وما يطلب أن نؤديه من واجب !! ••

ومن ثم فليس هناك من مبرر للفصل بين الموضوعات اللاهوتية من جانب ، واختبارات الناس من الجانب الآخر ، كما لو أنها لا تتقابل

أو تتلاقى !! •• لقد أعلن الله نفسه عن طريق أعماله العظيمة ، لكنه أعطى أيضا شرحا لهذه الأعمال ، وهذا الشرح كان بكلمات ، وكلمات بناءة ، تشرح معانى هذه الأعمال القوية التى يكشف بها الله عن نفسه !! ••

يقول البعض ان الكتاب المقدس لا يعلم عقائد بل يظهر معاملة الله للجنس البشرى ، والتفرقة بين العقائد والمعاملة جد خطيرة ، فكيف يمكن أن تعرف معاملة الله للجنس البشرى ، الا اذا أتيح لنا أن نلم بهذا الموضوع المنبوذ « العقائد » •• اننا يوم نناقش السؤال : من هو الله !! ؟ تتعرض فى الوقت عينه للعقائد !! وعندما نسأل ماذا يعمل الله !! ؟ نحن نواجه العقائد ، •• وعندما نتعلم ماذا يعمل الله مع الجنس البشرى !! ؟ نحن ندرس العقائد ومحاولة الفصل بين الأمرين كما يريدها الرجل العصرى ، وكأنما الكتاب المقدس كتاب معاملات ، دون أن تؤسس هذه المعاملات على مبادىء عقائدية ، هذه المحاولة خطيرة ووبيلة ، ولعل أقسى المآسى فى هذه الأيام أن يخدع بعض المسيحيين الطيبين بهذا النوع من السفسطة !! ••

## هل الكتاب المقدس كلمة الله !! ؟

تحدثنا فيما سلف عن أولئك الذين يحاولون اغماض الكلمة المكتوبة حقها ، أولئك الذين يزعمون أن هناك تفرقة بين الكلمة المكتوبة ، وكلمة الله ، ويقولون ان هناك تميزا بين الكلمة المكتوبة فى الكتاب ، وكلمة الله •• وبروفسور بيبر يزعم أن الكتاب المقدس يحتوى على حق الله ، غير أن يسوع خطأ اليهود فى اثبات أن الكتاب المقدس هو كلمة الله ، وهو زعم غير صحيح على الاطلاق ، فلم يحدث قط أن ذكر الرب يسوع المسيح لليهود فى أيامه ، أن الكتاب المقدس شيء وكلمة الله شيء آخر ، بل كان اليهود والمسيح كلاهما يؤمنان أن الكتاب هو

كلمة الله بعينها ، .. على أن ما يعنينا ههنا هو ذلك الفصل الذى يحاول به بروفسور بيبر أن يفصل بين الكتاب المقدس وكلمة الله والمعنى الذى يقصده ، هو أن الله تكلم الينا من خلال الكتاب ، ولكنها ليست الكلمات المكتوبة فى ورق هى كلمة الله ، بل الرسالة التى يمكن أن نأخذها من الكتاب هى هذه الكلمة ، أو فى لغة أخرى ، أن خلف الكلمات البشرية فى الكتاب هناك رسالة الهية ، ولكننا نخطىء على ما يقال اذا فكرنا أن رسالة الله ، انجيله المبارك مرتبط بهذا أو ذاك من الآيات فى الكتاب المقدس على وجه الخصوص ، أو على تصـــور هلمت شرينر : « ان الكتاب المقدس كلمة الله المخبأة والمستترة فى كلمة الناس » ..

وقد صور اميل برونر فى كتابه « ايماننا عام ١٩٣٦ » الأمر وهو أشبه عنده بالتسجيل الذى يسمع فيه صوت المغنى مع خدش تســجيل الحاكى ، وبهذا الوجه من المشابهة تأتى العلاقة بين كلمات الكتــاب المقدس ، وكلمة الله ، اذ تنقل كلمة الله الينا من خلال كلمات بشرية ، الكلمات البشرية فى الكتاب المقدس ، وما الكلمات البشرية على حــد تصور برونر الا الصورة للحقيقة ، أو العلامة لها ، فهى أى الكلمات البشرية ليست كلمة الله ، بل الصورة أو العلامة التى تنقل بها كلمة الله الى السامع !! ..

ولعل كارل بارت هو المتكلم الأشــــهر باسم الرافضين للرأى التقليدى المسيحى الذى يعتبر الكتاب المقدس كلمة الله الحقيقية وفى ذلك يقول :

« اذا كان الله لم يأنف من التكلم من خلال الكتب المقدسة بما فيها من كلمات بشرية غير معصومة ، أو هنات تاريخية وعلمية أو متناقضات لاهوتية ، مع عدم التأكد من تحويلها ، وبالأكثر بالطابع اليهودى فيها ،

ولكنه بالأحرى قبلها بكل ماتردت فيه من غير عصمة ، اذ جعلها لخدمته، فاننا لايجمل بنا أن نأنف منها أو بشهادتها • مع ماهو غير معصوم فيها، ويكون من التعنت وعدم الطاعة أن نبحث فى الكتاب عن عناصر العصمة فيها لآ العقائد الكنسية لكارل بارت مجلد ١ ، ٢ صفحة ٥٩٠ ترجمة كرنيليوس فان تل فى كتاب العصرية الحديثة سنة ١٩٤٦ صفحة ٢٨٦ •

والكتاب المقدس بهذا المعنى ليس كلمة الله ، ولا يمكن أن يكون الا بقبول المؤمن له ، أو يمكن على حد رأى بارت أن ترى الله يتكلم فى الكتاب ، وكلمة الله تحسب على قدر ما يتكلم الله فيها ، وقد لخص كرنيليوس فان تل الأمر فيما يلى :

« عندما نقول ان الكتاب المقدس كلمة الله ، فنحن نعبر بهذا عن ايماننا بعمل الله الفدائى للانسان فى الحاضر ، فالكتاب المقدس يصبح فى هذا العمل كلمة الله ، وتصبح الكلمة الصغيرة بهذه الصورة كلمة الله ، أى أن الكتاب بهذا المعنى كلمة الله » ••

ولعله من واجبنا ، وواجب كل مؤمن يحب مجد سيده ، ودون أن يستحى منه ، أو من كلمته ، أن يحتج بكل ما فيه من قوة على هذه التفرقة غير الكتابية بين الكتاب المقدس وكلمة الله ، وشتان بين هذا الرأى العصرى ورأى كلفن على سبيل المثال ، وقد رد كلفن على هذه الآراء الباطلة التى تفرق بين الكتاب المقدس وكلمة الله ، فقال فى كتابه « النظم فى الديانة المسيحية ترجمة جون الن مجلدا الفصل السابع صفحة ٧٥ » ما يلى :

« وحيث أن الله لم يمنحنا الرؤية من السماء يوميا ، وحيث أنه قد سر أن يعطينا عن طريق الكتب المقدسة أن نحفظ حقه فى تذكر مستمر ، فانها تنال لدى المؤمنين الحظوة والسلطان ، عندما يقتنعون

بمصدرها الالهى ، كما لو أنهم يسمعون ذات كلمات الله وهو ينطق بها اليهم » ..

ويتفق لوثر مع كلفن تماما فى هذا اذ يقول :

« ولا يمكن أن يكون غير هذا .. لأن الكتب المقدسة الهية يتكلم الله فيها ، وهى ذات كلمته » .. وانك لا يمكن أن تخرج من الدراسة المتعاطفة مع معتقدات رجال الاصلاح الدينى الا بهذه النتيجة أن هؤلاء الرجال كانوا يؤمنون بدون أدنى شبهة أو تردد أن الكلمات الحقيقية فى الكتاب المقدس هى ذات كلمة الله ، وأنهم لا يقبلون مثل هذا التمييز بين كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس ، كما يحاول اشباع الرأى العصرى ترديده فى ادعاءاتهم ضد العصمة الكتابية !! ..

ومن الواضح أن هناك نقدا قويا يواجه مثل هذا الادعاء العصرى، فاذا لم تكن كلمة الله هى أو مساوية لكلمات الكتاب المقدس فمن هو الذى يحدد كلمة الله !! ؟ وكيف نعرف هذه الكلمة عندما نلتقى بها !!؟ فاذا أحضرت الينا مرتبطة بكلمات الكتاب المقدس ولكنها فى نفس الوقت ليس هى أو مساوية لهذه الكلمات !! فما هى اذا الكلمة أو كيف نعرفها اذا نحن تقابلنا معها !! ؟ والجواب على هذه الأسئلة ، كما يقولون ، اننا عندما نقرأ الكتاب المقدس ، فان حق الله ، أو كلمة الله سيجدنا ، .. ربما نقرأ قطعة من الكتاب غير أن هذه القطعة لا توحى الينا ، وتتحول منها الى قطعة أخرى ، فاذا بنا أمام وحيها ، اذ نجد الحق يقابلنا ، وفى الوقت عينه فان شخصا آخر يتحول الى القطعة التى لم نجد فيها وحينا ، فاذا بهذه القطعة ذات معنى له ، اذ قد وجدته ، وفى قطعة واحدة من الكتاب قرأها انسان فوجد وحيها ، ووجد كلمة الله ، وقرأها آخر ولم يجد هذه الكلمة !! ؟ وتقف بذلك أمام وضع شخصى !! .. والا يصبح الانسان بهذا التحليل أخيرا الحاكم الذى

يحكم ما اذا كانت أو لم تكن هذه كلمة الله !! ؟ ولا يمكن أن نهرب البتة بعد ذلك من النتيجة أن كلمة الله لم تعد تزيد أكثر مما يمكن أن توحيه الى أحدهم فى وقت معين ، .. وهذا وضع شخصى صارخ !! .. والسؤال بعد هذا ما هى كلمة الله !! ؟ انك لا تســـتطيع أن تحددها وتقول : « انها هى هذه الآيات من الكتاب وقد أوحت الينا فهى كلمة الله » .. انك ان تفعل هذا تنزلق فى نفس الوضع الذى يدينه الرأى العصرى ويعتبره غير مباح ، ان معناه أن تساوى بين كلمة الله وكلمات أو آيات معينة فى الكتاب المقدس ، وهذا مايقال لنا ، ان من الواجب الا نفعله ، فما هى اذا كلمة الله هذه !! ؟ ان الشىء الوحيد الذى يمكن الانتهاء اليه أنها بهذا المعنى أمر مبهم جدا يتجاوز قدرة الانسان فى التثبت منه أو تحديده !! ..

ثم هناك وجه آخر من النقد ، ان هذا التمييز الذى يحاول بعض اللاهوتيين العصريين احداثه بين كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس يقع مستحيلا ، وهو مستحيل من نفس الحقيقة أن معظم أبطاله يتنكرون له فى الممارسة العملية ، فأكثر الناس تفرقة بين كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس يرفضون هذه التفرقة من الوجهة العملية ، فهم يرجعون فى العادة الى كلمات الكتاب المقدس يأخذون منها حجتهم ودفاعهم ، وبالتالى تصبح هذه التفرقة مستحيلة الوقوع ، لأنه اذا كانت هذه التفرقة ، قائمـــة ، فمالهم ومال كلمات الكتاب المقدس التى هى على حد زعمهم ليست كلمة الله ، وليست هى الا كلمات بشرية ، ولا يجوز أن تتخذ حجة وبرهانا ، فاذا كانت هذه الكلمات على زعم الرأى العصرى ، محاطة بالأخطاء البشرية ، وهى ليست كلمة الله ، فلماذا يتخذونها حجتهم فى تقرير الأمور الدينية !! ؟ .. هذا ما يفعله أبطال الآراء العصرية ، وفى الحقيقة كان من واجبهم أن يقلعوا عن كلمات الكتاب المقدس اذ لا يجوز منطقا الاتجاه الى « كلمة » الله المبهمة !! .. على أنهم لا يفعلون هذا

بالتأكيد ، لأنهم لا يقدرون على مثل هذا الفعل ، انهم يلجأون الى كلمات الكتاب المقدس ، التى لا يرون فيها أكثر من كلمات بشرية ، وهم اذ يفعلون هذا يقرون حجية هذه الكلمات ، والا لما التجأوا اليها ، وهم لا يلجأون اليها لمجرد الحجية ، بل أكثر من ذلك لأن لها سلطانا الهيا ، وهذا يبدو واضحا بقليل من التقصى ، لأنى اذا كنت أعترف بأن الله تكلم ، وان هناك كلمة الله ، فانه من واجبى أن أصغى الى هذه الكلمة اذا أردت أن أتعلم ما ينبغى أن أؤمن به عن الله ، وعما يطلبه منى ، واذا كان لى أن أعرف ماذا تكلم ، فانه من واجبى أن أصيخ السمع الى كلمته ، فأين اذا أجد هذه الكلمة !! ؟ فاذا لم تكن هذه الكلمة هى كلمات الكتاب المقدس على ما يزعمون ، فليس من الحق فى هذه الحالة أن ألجأ الى هذه الكلمات طلبا فى المعلومات عن الله ، لأنه فى اللحظة التى ألجأ فيها الى هذه الكلمات لتخبرنى عما ينبغى أن أؤمن به عن الله وعما هو صواب وخطأ ، فانى فى هذه اللحظة بالذات ، سواء أردت أم لم أرد ، أقر بالحقيقة بحجيتها وسلطانها الالهى ، والا فلماذا أشغل نفسى بالالتجاء الى كلمات الكتاب المقدس ، الأمر الذى يفعله على الدوام العلماء العصريون ، الذين يصرخون باستمرار بأنه لا يجوز استخدام الآيات كدليل أو برهان ، ومع ذلك فهم يفعلون الأمر بعينه ،.. وكل ما يقولونه عن الله مأخوذ من الكتاب المقدس ، ويكفى فى هذا السبيل على سبيل المثال أن ترجع الى الاقتباسات المتعددة فى كتابات كارل بارت الذى يرفض بعنف الوحى اللفظى ، ولكنه فى الوقت عينه يمسك بالكلمة كما لو أنه عمليا واحد من أعظم المدافعين عن الوحى اللفظى ، .. ان التمييز بين كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس يعتبر لهذا كله مستحيلا من الوجهة العلمية !! ..

وثمة أمر أخيرا أن هذا التمييز المزعوم لم يعرفه رجال الاصلاح قط ، اذ أن كلمات الكتاب المقدس هى ذات كلمات الله ، وهم لم يخجلوا

أبدا من الاعتراف بهذه الحقيقة ، ولعله من الواجب أن يكون لنا هذا الموقف المماثل لرجال الاصلاح فى عصرنا الحاضر ، اذ لا نستطيع أن نواجه تحديات الأيام ، والقوة المدمرة للخطية بالطقسية الكنسية ، أو مناهج من صنع الانسان ، اذ ليس هناك سوى قوة واحدة تفعل ذلك ، وتستجيب للاحتياجات الحقيقية للنفس البشرية ، وهى ليست كلمة الانسان ، بل كلمة ذاك الذى هو الحق نفسه ، وأين نجد هذه الكلمة !! ؟ ليس هناك الا مكان واحد لها •• ولتبحث كبرياء الانسان عن أى مكان آخر ، أما أولئك الذين جدد الله قلوبهم فيعرفون أين يوجد المكان الوحيد الذى يمكن أن يستمعوا فيه الى صوت الله ليخبرهم ما ينبغى أن يؤمنوا به ويفعلوه ، •• ان الكلمة هناك فى المكان الذى قد ينبذه كثيرون ، وستأتى بركة الله على كل من يفتح صفحات الكتاب ويصغى الى صوت الله الحى فيه ، وعلاقة الكلمة الالهية بالكتاب ليست من ذلك النوع التصورى أو الخيالى ، بل ان كلمات الكتاب المقدس هى كلمات الله التى نفخ بها لتعطينا ان ندرك ارادته . •• وحاجتنا العظمى فى هذه الأيام هى العودة الى الكتاب ، العودة التى تتضمن قبولا قلبيا للرسالة التى تحملها كلمات الحياة فيه . وعندئذ تنقشع غيوم الشك واليأس التى أطبقت هنا وهناك ، وينطوى ليل الخطية المظلم الطويل ، وتشرق شمس الله بالنعمة على الطريق الممتد الى مدينة الله المدينة السماوية : طريق المراعى الخضراء والزهور المباركة الممتدة على جانبيه !! ••

« انك لا شك تتفق معى فى أنه من المحزن أن ترى كلمــــات كهذه تموت هكذا ، وأرجو أن تصمم ، *وليعنك الله على ألا تدعها تموت على هذه* الصورة ، اذا اهتممت من جانبك على أن تحفظها حية وقوية . وليس المحزن أن تموت هذهالكلمات كما نراها ههنا ، بل أن المأساة الغارقة أن تموت قلوب الناس عن الأشياء التى تقوم من أجلهـــا الكلمات » ..

بنيامين ب وورفيلد

« ان يسوع العهد الجديد يتميز على الأقل عن يسوع المشــيد عصريا فى هــذا الشىء الواحد انه حى . وهو ليس صورة مصنوعة لتناسب المقاييس الأدبية ، ولكنه شخصية حقيقية يمكن أن يحبهـا الانســـان ، وقد احبه النـــاس طوال القرون المسيحية ، والشىء الغريب انه رغم كل المحاولات التى تسعى لزحزحته من فوق صــفحات التاريخ مايزال هناك الذين يحبونه » ..

ج جريشام ماتشين

# الفصل العاشر

# بعض الآراء العصرية عن الكتاب

## - ٢ -

انصرف جهدنا فى الفصل السابق فى الرد على مزاعم من قالوا ان كلمة الله وكلمات الكتاب المقدس ليست شيئا واحدا ؛ وهم يضيفون اليوم الى ذلك من باب التأكيد أنهم لا يستطيعون قبول الفكر أن الله تكلم فى الماضى ، وأغلق الباب الآن وانتهى الأمر ، لأن الأخذ بهذا الرأى على ما يقولون معناه قبول نظرية الاعلان الساكن . وهم اذ يرغبون فى تجنب التورط فى هذه النظرية ، أنشأوا هذا التمييز أو التفرقة بين كلمات الكتاب المقدس وكلمة الله ، وان كانوا فى الوقت عينه قد عجزوا من الوجهة العملية عن احداث هذه التفرقة ، كما هو واضح من أكثر الناس الذين يصرون عليها هم بأنفسهم الذين يلجأون الى كلمات الكتاب المقدس لاثبات مايريدون أن يتحدثوا به عن شخص الله !! ..

ولعله من الواجب ونحن نضع هذا الأمر تحت عين الاعتبار أن نتقدم خطوة أخرى ، .. لقد قالوا ان كلمات الكتاب المقدس ، لاتصبح كلمة الله الا اذا شاء الله ذلك ، كما أن الكتاب المقدس لا يظهر نفسه ككلمة الله ، الا بما يقنعنى به ، أو على ما يقول أوتو أ . بيبر بهذا الصدد : « فى كلمات أخرى أن الكتاب المقدس هو كلمة الله بسبب وعندما يستخدمه الله كوسيلة النعمة التى تجعلنى أومن بغرضه المخلص » أو فى لغة أخرى أن حجية الكتاب المقدس لا تأتى من ذات كلماته

المكتوبة لأنها ـ على ما اصطلح من يطلقون على أنفسهم الأرثوذكسية الحديثة ـ اعلان ساكن ، بل هي بالأحرى ذات سلطان عندما يتكلم بها الله الى شعبه ، اذ أن الله يستخدمها فى ابلاغ رسالته الخاصة لمن يتبعونه !! ..

فالوحى بهذا المعنى لا يستمد حقيقته من نفخة الله فى الكتب المقدسة ، أو أن كتابه البشريين ، عندما كتبوه ، كانوا محمولين بروح الله ، بل أن الكلمات البشرية فى الكتاب على العكس محاطة بالهنات والنقصات . والوحى فى لغة أخرى لا يأتى من الكتاب فى حد ذاته ، بل من تجاوب الأشخاص مع رسالته ، وحسب هذا المفهوم العصرى يدور الوحى وجودا وعدما مع التجاوب الذى يصنعه المرء تجاه رسالة الله أو كما يصوره الآن ريتشاردسن فى قوله :

« ان معنى الوحى فى الكتب المقدسة : وفقا للمعنى المسيحى المنضبط : أن أجد فوق رسالة الله المرسلة الى العالم اسمى وعنوانى . وسلطان الكتاب المقدس يعنى بالنسبة لى : ما تطلبه رسالة الله منى . طاعتى وايمانى : اذ ينبغى أن أنصت الى ما يقول الله وأسرع الى توجيه حياتى وفق مشيئته »

ويتوقف الوحى على هذا الأساس على ماهو حقيقى بالنسبة لشخصيتى . فالوحى مرتبط بقبولى حق الله : والحق الكتابى ، على ما يذهبون حق شخصى !! ..

ولعله من الواجب أن ندرك بمعنى أدق اتجاهات هذه الفكرة ، اذ أن سلطان الكتاب وفق هذا المفهوم يستقر عندما تبلغ كلمة الله أى انسان يجتاز ظرفا خاصا : فاذا أعطاه الله أن يتخذ موقفا معينا ملهما من هذه الكلمة . فان هذا الالهام هو الذى يعطى الكتاب سلطانه ، فاذا لم

تنهضه كلمة الله بهذا التصميم والتدبير الالهى ، فان الكتاب لا يصبح كلمة الله له ، أى أنه اذا لم يكن هناك تجاوب مع الحق ، فان الكتاب المقدس لا يصبح كلمة الله له ، اذ أن الكتاب المقدس رسالة مرسلة اليه شخصيا !! ..

وواضح من هذا الرأى أن سلطان الكتاب غير مستمد منه ذاتيا ، وهو على خلاف الرأى التاريخى المسيحى ، الذى يؤكد التلازم بين الكتاب المقدس وكلمة الله ، والمبنى على المفهوم أن الكتاب من حيث أنه نفخة الله ، فلابد أن يكون كلمة الله ، كما أن الكتاب البشريين الذين كتبوا كلماته كانوا أناسا قديسين ، وتحت السلطان الخارق والمطلق للروح القدس ، حتى يمكن وصفهم بالخضوع الكلى لتأثير الروح . وتوجيهه الأعلى ، وسيطرته الكاملة ، كما أن كلمات الكتاب ذاته . لها السلطان المطلق ، اذ هى كلمة الله ، ورسالته !! ..

ما أوسع الفرق بين هذا الرأى المسيحى التليد وهـذه المزاعم العصرية ، فالرأى العصرى لا يرجع سلطان الكتاب الى الكتاب ذاته ، بل عندما يتقابل حق الكتاب مع الانسان فى ملاقاة الهية انسانية . عندئذ يصبح الكتاب فى هذه الحالة الخاصة كلمة الله له ، ... ولعله من أكبر المغانم المسيحية اثبات خطل هذا الرأى وبعده عن المسـار التاريخى المسيحى ، اذ أن المسيحية التاريخية المؤسسة منذ مطلع تاريخها ، على الكتاب المقدس ، تعلم على الدوام أن الكتاب هو بذاته كلمة الله ذات السلطان ، والكتاب المقدس ذو سلطان سواء تمت هذه الملاقاة الالهية الانسانية أو لم تتم ، أو وصلت رسـالته الى النفس البشرية أو لم تصل ، وسواء آمن الانسان أو لم يؤمن ، وسواء قبل المسيح أو لم يقبل ، ان سلطان الكتاب وفق الرأى المسيحى قائم بذاته ، وراجع الى الحقيقة الواحدة ، انه كلمة الله !! ..

والسؤال مع ذلك هل اتسمت حملتنا على الرأى العصرى بالقسوة البالغة !! ؟ وهل كان موقفنا عنيفا ازاء التفرقة المزعومة بين كلمة الله والكلمات البشرية فى الكتاب !! ؟ وهل لا يوجد شىء من الحقيقة تجاه الرأى القائل بأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يمتد سلطانه على الكلمات البشرية بمعزل عن قوة الله العاملة فى الكلمة الالهية !! ؟ وهل لا يوجد آخر الأمر شىء من السلطان الموضوعى للكتاب ، وهل لا تعتبر التهمة المبنية على التقبل الشخصى باطلة !! ؟ ان هذه الأسئلة اذا أثيرت من باب الاعتراض على ماقلناه ، فان من حقنا أن نشير الى أن الموقف العصرى وان كان تحدث بافاضة عن التميز الفريد للكتاب ، ويؤكد أن الكلمات البشرية يلزم أن تبصم بكلمة الله ، الا أن هذا يتبع فى الوقت نفسه بأن هذه الكلمات البشرية عاطلة عن السلطان الصحيح فى حد ذاتها ، وأنه لو صح هذا الافتراض فان الكتاب لايملك الأصالة الذاتية ، ومهما يقل ، فنحن لا نستطيع تجنب النتيجة التى تربطه بالرباط الشخصى ، وأن سلطانه مهما أطنب القائل وأشاد فى أصله الفريد ، أو مهما ذكر فى الترابط بين الكلمات البشرية وكلمة الله ، لا يرجع الى الحقيقة الذاتية للكتاب ، بل يرجع هذا السلطان الى شىء خارجى ، أو يرجع الى قبول الانسان لرسالته !! ...

ان النقد السطحى لهذا الموقف قد يخلط بين الوحى والانارة الداخلية للروح القدس ، اذ لا شبهة على الاطلاق فى أن رسالة الكتاب المقدس لايمكن أن تفيد شخصا من دون الروح القدس الذى هو الأقنوم الثالث فى الثالوث ، الذى يفتح بالنعمة الفعالة عينى الانسان ، وينير ذهنه ، فيرى الكتاب المقدس كلمة الله بالحقيقة ، وجميع الذين تمتلىء قلوبهم بالغيرة دفاعا عن الوحى اللفظى يضعون تأكيدا قويا صادقا على عمل الروح القدس فى النفس البشرية ولعلنا نذكر أن كلفن أضحى معروفا بلاهوتى الروح القدس ، وقد كان هذا التعريف صائبا وحقيقيا

لأن شغل كلفن الشاغل كان التفسير الكتابى الصحيح لمختلف التعاليم فى الكتاب المقدس ، كما أنه والكثيرون على شاكلته ، ممن أصروا على سلطان الكتاب المطلق ، كانوا لا يفتأون يؤكدون أهمية عمل روح الله فى النفوس ، .. ان الكتاب المقدس ، بدون أدنى تردد ، كلمة الله سواء آمن به الانسان أو لم يؤمن ، وهو كلمة الله التى تواجه أى انسان ، آمن بهذه الكلمة أو لم يؤمن ، فان هو آمن بها ، فعل طيبا ، ونال بركاتها السماوية المتعددة ، وان لم يؤمن ، فانها ماتزال كلمة الله التى ستنهض لتدينه فى اليوم الأخير ، والكتاب المقدس على أى حال كلمة الله ، بمعزل عن تفاعل الانسان أو تجاوبه معه ، على أنه حقا لا يمكن أن يكون نافعا ومليئا بالبركة الا لأولئك الذين يؤمنون بأنه رسالة السماء لهم ، وسيبقى الخاطىء غارقا فى خطاياه الى أن ينهض الروح القدس قلبه لينال بركات موت المسيح عنا ، وسيبقى الخاطىء ميتا بالذنوب والخطايا حتى يقيمه روح الله ولا حياة له بدون الروح القدس الذى ينهضه من موته الروحى، ويعطيه جدة الحياة ، بالميلاد الثانى ، بالقيامة من الأموات ، وعندئذاك ترى النفس المجددة الناهضة فى المسيح فاديها وتقبله سيدا وملكا ومخلصا بالايمان ، كما تقبل الكتاب المقدس كالكلمة الالهية المقدسة ، وسيتم هذا كله ، لأن الروح القدس يشهد لكلمته وبكلمته ، فى الكتاب المقدس ، وهذا العمل السرى الخارق للعادة هو ما يطلق عليه بالانارة الداخلية للروح القدس ، وهذه الانارة هى التى تشهد للنفس بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله ، فتمتلىء هذه النفس بالاقتناع الذى لا يتزعزع ، بأن الله هو أساس هذا الكتاب ومصدره !! ..

على أننا لا نعنى بهذا أن الكتاب المقدس هو كتاب عقائد مصاغة للمؤمن ، فان هذا أبعد ما يمكن أن نقول ، انما نقصد أن العقائد المصاغة للمؤمنين نابعة من الدراسة الدقيقة للكتاب ، والحقيقة أن المؤمن بشهادة الروح القدس مقتنع تماما أن الكتاب المقدس هو كلمة الله ، ..

كما أننا أبعد ما نكون عن القول ان عمل الروح القدس ينحصر فقط فى الشهادة بالكتاب وللكتاب للمؤمن ، غير أننا مع ذلك نضع تركيزا خاصا على هذا الموضوع ، اذ أن غايتنا المؤكدة ههنا أن نعطى توضيحا أوفى لعقيدة الانارة الروحية الداخلية للروح القدس ، اذ أنه بدون هـــذه *الانارة ــ والتى بواسطتها يدرك الانسان عمل المسيح الفدائى على* الصليب ــ لا يستطيع أحد أن يفهم حقيقة الكتاب المقدس ، ومن أهم بركاتها فى حياة المؤمنين هو اقناعهم بالمصدر الالهى لكتاب الله !! ..

والسؤال بعد ذلك هل الرأى العصرى مجرد اصطلاحات مربكة !!؟ أهو مجرد اصرار على ضرورة الايمان بعمل الروح القدس !! ؟ أليس له أكثر من التأكيد على عقيدة الشهادة المصاحبة لروح الله !! ؟ لو أن الأمر توقف عند هذا الحد . لما كان خلافنا معه دقيقا وخطيرا !! .. بل حتى او قصر الأمر على استعمال كلمة « وحى » مكان الانارة الداخلية للروح . الأمر الذى أربك به العصريون ذهن الكثيرين ، لما استـــمر الخلاف بيننا وبينهم . ان أصحاب الرأى العصرى فى الواقع ملومون فيما هو أكثر من الاستعمال غير الصائب للاصـــطلاحات اللاهوتية . وان أمنيتنا كانت أن يقف أمرهم عند هذا الحد . لكن مسئوليتهم فى الواقع أفدح وأقسى من ذلك كثيرا !! ..

ان القائلين بأن الكلمات البشرية فى الكتاب لا تزيد عن كونها المهد الذى يحتضن كلمة الله ، يرغبون تماما فى انتهاج النقد الكتابى السلبى ، ويقوم هذا النقد على أساس اخضاع كلمات الكتاب المقدس لسلطان العقل المجرد ، ليحكم فيها ما يشاء وفق هواه ، ولعل مثلا من هـــذا القبيل يمكن أن يوضح الأمر ، .. ان العهد الجديد يعلم على الدوام بدون لبس أن اشعياء النبى هو الكاتب لكل السفر الذى يحمل اسمه ، وهذا واضح من الحقيقة أن جميع الاقتباسات النبوية من سائر أجزاء

السفر منسوبة الى الرجل اشعياء ، والمسيحى المؤمن بأن العهد الجديد هو كلمة الله المعصومة يقبل الرأى لهذا السبب بدون تردد ، غير أن الناقد العصرى لايفعل ذلك ، اذ يعتقد أنه يستطيع أن يخضع نبوة اشعياء لمقاييس يتصور أنها صحيحة ، وعلى أساس من التصور الشخصى يقرر ما اذا كانت هذه النبوة من عمل اشعياء أو غيره ، ولا يهمه شهادة العهد الجديد من هذا القبيل ، بل بالحرى يناقضها زاعما بأن النبوة لا ترجع فى كامل أجزائها الى النبى العظيم فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو بذلك يعلو بحكمه على الشهادة الواضحة الصريحة لكلمة الله فىالكتاب المقدس ، أو فى لغة أخرى أنه يضع ذهنه فوق الاعلان الالهى المكتوب ، ويزدرى بالشهادة الواضحة ليضع مكانها حكم العقل البشرى ، والذين يميزون بين كلمات الكتاب المقدس « وكلمة » الله يقررون مشروعية مثل هذا النقد ، ويدوسون بأقدامهم على أية شهادة كتابية ، قد لا تتفق مع مزاعمهم وتصوراتهم . وقد يصلون الى أبعد شطحاتهم فى النقد العصرى ، ومع ذلك يدعون بأنهم لا يقصدون فى هذا النقد سوى الكلمات البشرية فى الكتاب ، دون أن يمسوا الرسالة الالهية فى ذاتها !! ..

وعند هذا الحد يمكن أن يثار السؤال فى أن الكلمات البشرية فى الكتاب تشهد لكلمة الله ، ولكنها ليست هى فى حد ذاتها هذه الكلمة ، وعلى هذا الأساس . فان « النقد » كما هو ظاهر ، يعطى لنفسه المشروعية الكاملة فى تقرير الأمور ، وقد ظهر هذا فى غالبية من يمارسونه ان لم يكن كلهم ، وهم يميزون بين الكلمات البشرية فى الكتاب ، وكلمة الله ، .. ومع ذلك فان هذا النقد ينازع الحقائق الثابتة فى الكتاب المقدس ، وهو يزعم أن هذه الحقائق لا يجوز قبولها على الدوام دون تردد ، أو فى لغة أخرى ، اذا كان هذا النقد صحيحا ومشروعا ، فهو

يكشف بكل وضوح أن الكلمات البشرية فى الكتاب لا يمكن أن تعطى عن نفسها شهادة دقيقة ومؤتمنة . فاذا قالت هذه الكلمات ، بين ما تقول، ان اشعياء كتب نبوته بأكملها ، ويأتى النقد ليرفض هذا الرأى ، واذا نادت بأن المسيح قام القيامة التاريخية فى اليوم الثالث ، ويأبى هو هذه الحقيقة ، واذا أكدت وجود جنة عدن وحقيقة السقوط تاريخيا ، ويزعم النقد بأن هذا غير صحيح . فان مقتضى هذا أن الكلمات البشرية فى الكتاب لم تفلح بأن تعطى شهادة مؤتمنة عن ذاتها ، فاذا كان الأمر كذلك، فمن يعطينا أن نثق فى شهادتها عن « كلمة » الله والتى يفترض أنهما منبثقة عنها !! ؟ .. أليس كل ما نعرف عن « كلمة » الله المبهمة قد جاءنا عن طريق « الكلمات » البشرية للكتاب المقدس . ان الأمر هنا ينبغى أن يتضح بدون أدنى شبهة أو تردد ، وليقل أبطال الأرثوذكسية الحديثة ما شاء لهم القول . لكن الحقيقة المؤكدة أنهم استقوا كل معرفتهم عن الله ، والثالوث ، وشخص المسيح ، والروح القدس ، والقيامة ، وكلمة الله من كلمات الكتاب المقدس ، .. فاذا لم تكن هذه الكلمات جديرة بالشهادة الموثوقة والمؤتمنة عن نفسها ، فكيف يمكن أن تكون مؤتمنة وموثوق بها كشهادة أو مؤشر عن « كلمة » الله !! ؟ وأليس هذا السؤال جديرا بأوفى التأمل والتفكير !! ؟

فى الواقع أن نقدنا لهذه النظرية التى تحاول الفصل بين الكلمات البشرية ، وكلمة الله ، وتزعم أن هذه الكلمات ليست أكثر من « شاهد » للكلمة مايزال حتى الآن أبعد من أن يضرب فى العمق ، ومهما كان نقدنا قويا وصحيحا ، فهو على فرط ما بلغ أو تقدم لم يصب بعد مرماه النهائى !! ..

لقد أوضحنا فى كل ماذهبت اليه معارضتنا الثابتة والمستقرة لهذه النظرية ، وكشفنا عن الدوافع الصحيحة والخطيرة التى تدعو الى هذه

المعارضة ، غير أننا لا يمكن أن نصل الى كبد الحقيقة ، قبل أن نبين أن الكثير مما يعتنقه الفكر اللاهوتى العصرى يرجع ، يدرى أو لا يدرى ، الى الفكر الفلسفى لعمانوئيل كانت !! ..

ولا يحتاج المرء الى أن يكون متخصصا فى الفلسفة حتى يدرك هذه الحقيقة ، انما يكفيه بعض الفهم للفلسفة الحديثة حتى يستوعب فحواها ، لقد ميز كانت ، بين الظاهرى والموجود ، مما أحدث أعظم تأثير فى الفكر العصرى !! ..

فالظاهرى هو ذلك الحيز الذى نستطيع ادراكه بحواسنا . والظواهر الطبيعية نفسها ، هى حسب كانت الأشياء التى يمكن أن نصل اليها عن طريق الاختبار ، أما ما لا يتصل بالحيز الظاهرى ، فهو الذى يتجاوز نطاق اختبارنا ، كما أن الأشياء تظهر لنا فى حدود ما نستطيع ادراكه بالحواس ، واذا لم يكن ادراكنا بالعقل لبعض الأشياء متفقا مع هذا الحيز الظاهرى ، فاننا لا نستطيع اقامة الدليل على حقيقة ما ندركه . وقد أوضح كانت هذا كله فى كتابه نقد العقل الخالص اذ قال :

« انه يتبع ذلك بما لا يقبل الشك أن التصور الخالص للفهم عاجز عن التجرد ، وينبغى أن يظل دائما فى النطاق التجريبى ، كما أن مبادىء التصور الخالص يلزم أن تجىء فى نطاق القواعد العامة لأى اختبار ممكن ، وخاضعة للحس ، ومن غير تجرد ، ومن دون معزل عن الصورة التى نستطيع أن نتصوره بها » .. نقد العقل الخالص ترجمة ميكلجون صفحة ١٤٨ .. والسؤال بعد ذلك : وماذا عن الأشياء التى لا يمكن أن تخضع لحسنا !! ؟ ان كانت يطلق عليها الوجود أو الكيان غير المفهوم ، وامكانية وجودها تتجاوز الحيز الظاهرى وهى غير مدركة تماما ، وهذا الكيان بالنسبة لنا خلاء ، ونحن لا نملك الدليل ، أو تصور

امكانية الدليل الذى نستطيع به تناول الأشـــياء التى تتجاوز الحيز الظاهرى ، ويستطرد قائلا : وفى أفضل الفروض أن تصـور الكيان له فائدة سلبية ، اذ أنه يحصر دليلنا الحسى فى نطاق حدود الظاهرة ، وأما ما يتصل بالكيان ، ودون أن يكون شيئا له حدود واضحة ، فاننا لانملك الدليل الموضوعى لاثباته ، فهو على وجه الخصوص شيء غير مفهوم لأذهاننا . انه شيء غير معروف ، وهل نملك الذهن أو الفهم لادراك هذا الكيان !! ؟ .. ان كانت يجيب على ذلك بالنفى القاطع !! ..

والصورة التى يمكن تصورها ههنا أن نعيش فوق سطح جزيرة فى قلب بحر ، ونحن ملوك على هذه الجزيرة ، ويمكننا أن نبحث أو ندرس أو نفكر على هذه الجزيرة بما يرضى هوانا . ومع ذلك فكلما درسـنا جزيرتنا ، كلما تبينا أننا نعرف فقط من الأشياء ما هو ظاهر ، دون أن نبين حقيقة الأشياء ذاتها !! ..

وحول هذه الجزيرة هناك بحر بغير حدود . ونحن لا نسـتطيع الاقتراب من هذا البحر ، المغطى بضباب كثيف ، واذ نحاول الدخول نجد قتاما أحلك من الليل البهيم ، يمنعنا من الابحـار فيه ، ويردنا الى الجزيرة ، التى نقبع فوقها ، وقد يظهر أحيانا بعض الأشياء المبهمة والتى تبدو لنا هنا أو هناك ، ودون أن نعرف حقيقتها !! ..

ونحن الآن لسنا فى مقام من يحاول تحليل أفكار كانت . أو مد المناقشة فى آرائه ، انما يكفى أن نقول ان آراءه تتباين بكل وضـوح مع الخط المسيحى التاريخى ، فنحن نؤمن حسب الكتاب المقدس أن كل الأشياء ، المنظورة وغير المنظورة ، ظهرت الى الوجود بقدرة الله الخالقة، والمسيحية تعلمنا ، أن الحيز الظاهرى قد برز الى الوجود وفق هـذه القدرة الخالقة اذ « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمـل

يديه » ( مز ١٩ : ١ ) •• وهذا العالم الذى ندركه بحواسنا هو عالم الله !! ••

أما مالا نستطيع أن ندركه بحسنا ، فهل هو حقا مبطن بالقتام !!؟ ان المسيحية تجيب على ذلك بالنفى •• فنحن نعرف الله . لأن الله أعلن لنا ذاته . ونحن نعرف عن الحياة وراء القبر . وقيامة المسيح . والسماء ، وأشياء أخرى كثيرة . لأن الله أخبرنا بها . والله حسب المفهوم المسيحى يضبط الحيز الظاهرى ، ويضبط أيضا الكيان ، وهو يسمح للانسان أن يعرف ما يريده أن يعرف من الحيز الذى يملكه . وهو خالقه •

ومن الواضح أن مفهوم كانت مختلف تماما عن ذلك فى الظاهرى والموجود ، فهو لا يهتم بوضع الله الخالق الحقيقى للكل ، لأنه يهتم فى الواقع بالانسان الذى يراه سيدا فى كل شىء ، واذا كان الانسان لايعرف شيئا عن الموجود كما يقول ، فماذا يمكن أن تقول مثلا عن معجزات يسوع المسيح ، من الواضح أن هذه المعجزات على مذهب كانت لاتتعلق بالظاهرى الذى يرتبط بالدليل المحدود ، بل هى بالأحرى تدخل فى نطاق الموجود ، الذى يتجاوز الانسان ، ودون أن يملك المرء الدليل الموضوعى على اثباتها ، وهى لذلك شىء غير مفهوم ، وما يمكن أن يقال هنا يمكن أن يقال أيضا عن كل عقيدة مسيحية ، لأنه اذا صح رأى كانت ، فانها جميعا تتجاوز الحيز التاريخى ، دون أن نملك الدليل الموضوعى لاثباتها !! ••

ان هذا التمييز الذى خلقه كانت بين الظاهرى والموجود هو الذى انعكس على الكثير من الأفكار اللاهوتية العصرية ، وعلى قدر ما تتمشى هذه الأفكار مع النهج الكانتى ، فانها ولا شك ستقف على الطرف المضاد للمسيحية الخارقة للطبيعة ، وبصرف النظر ، عما تتشدق به

الأرثوذكسية الحديثة على الدوام من مصطلحات ، ومن دون ما حاجة الى اثبات زيف عقيدة المفرقين بين الكلمات البشرية فى الكتاب المقدس « وكلمة الله » ، وبطلان انتمائهم الى الايمان المسيحى التاريخى ، وضحالة أحكامهم ، وبعدها كلية عن الحق ، .. وفى الواقع أنه على قدر ما يتمسك اللاهوتيون العصريون بهذا التمييز الكاذب المشار اليه ، فانهم لاينتهون الى الزيف فى هذه النقطة أو تلك من النقاط المختلفة ، بل الى الزيف فى موقفهم الكامل وانتمائهم الى وجهة النظر المعادية للمسيحية المعلنة ، ولعل بعض الأمثلة يمكن أن تعطى تفسيرا لذلك . فاللاهوتيون العصريون يتكلمون كثيرا عن قيامة المسيح ، والا يعد هذ أمرا مرغوبا فيه !! ؟ وألا يضع المؤمن تأكيدا بالغا على أهمية هذه القيامة !! ؟ فاذا تكلم العصريون كثيرا عنها ، أفلا يعتبر هذا علامة حسنة !! ؟ واذا كنا نقرأ أن هذه القيامة قلبت التاريخ ، أفلا يثيرنا هذا ويعتبر عودة الى الأرثوذكسية !! ؟ اننا من جانبنا لانهتز كثيرا لهذه اللغة ، مع ماهو واضح من كثرة ما يقال أو يكتب فى الأيام الحاضرة عن القيامة ، وكل مايعنينا هو المعنى المقصود منها ، فاذا كان الكتاب العصريون يعنون أن جسد الرب يسوع قام فى اليوم الثالث من الموت على وجه معجزى ، فنحن نسر بذلك ، فهل هذا ما فى ذهنهم !! ؟ اننا نستريب فى ذلك ، لأنه اذا كان لهم أن يؤمنوا بالقيامة التاريخية كما يعلمها الكتاب المقدس ، فاذا هذا يتضمن ايمانهم بما هو خارق للطبيعة فى التاريخ البشرى ، وأن الله بسلطانه الخارق قد أعاد الحياة للمسيح بمعجزة ، وهو ما لا يريدوننا أن نؤمن به ونقبله ، .. ان هذه القيامة فى تصورهم جزء من « كلمة » الله التى يميزونها عن الكلمات البشرية فى الكتاب المقدس ، .. وهل قلبت القيامة التاريخ !! ؟ أجل ولا شبهة فى ذلك !! .. اذ أن هذه القيامة حدثت كواقعة تاريخية ، وهى بهذا المعنى من أهم الوقائع التاريخية ، اذ كان هناك قبر خارج مدينة أورشليم ،

فى بقعة معينة ، وفى لحظة تاريخية محددة قام الرب يسوع من الأموات ، وخرج من هذا القبر ، ... أما اذا نظرنا الى هذه القيامة بالتصور التجريدى الخالص ، على المفهوم الكانتى ، ودون أن نربطها بواقعة معينة فى التاريخ ، فهذا معناه بكل بساطة أنه لم تكن هناك قيامة !! ..

وهناك مثل آخر ، اذ أننا نلتقى فى الأصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعياء بالمسيا فى صورة « عبد الرب » ومن هو عبد الرب هذا !! ؟ ليس ثمة تردد عند المسيحى الكتابى المؤمن ، ان عبد الرب هو شخص الرب يسوع المسيح ، وقد تنبأ اشعياء فى هذا الأصحاح عن المسيح !! .. والعهد الجديد هو السند الأكبر للمسيحى فى هذا التفسير. وهو أى المسيحى اذ يؤمن بكلمات هذا العهد ويقبلها يدرك تماما أن عبد الرب هو يسوع المسيح ، والنبوة فى حد ذاتها ليست الا اعلانا عما سيجىء فيما بعد ، والمسيحى المؤمن بالكتاب المقدس ، وبصدق شهادته ، يعلم بأن هذه النبوة تمت فى الرب يسوع المسيح ، .. على أن هذا الرأى لا يقبل بصورته هذه عند الفكر العصرى ، ومن ثم فان هناك من العصريين من يقبل من وجهة الايمان فقط المعتقد أن يسوع المسيح هو بالحقيقة عبد الرب ، على أنه من وجهة الدراسة العملية يخضع هذه النبوة لمزيد من الأبحاث والتقصى لينتهى الى نتيجة أخرى ، .. والنتيجة عند هذا البحث تنتهى — رغم أنها فى العادة لا تصل قط الى نتيجة — الى أن هذا العبد ليس الا تشكيلا نبويا لأسطورة قديمة ، .. والسؤال كيف يمكن التوفيق بين الوجهتين ونجد الجواب عندهم أنهم يؤمنون « بكلمة » الله فى المعنى العصرى ، وبالمفهوم الذى لا يختلف أساسا عن المفهوم الكانتى للوجود المجرد ، .. على أننا نعتقد أن القول بأن المسيح هو العبد من وجهة الايمان المجرد ، وفى الوقت عينه ليس هو العبد فى النطاق التجريبى اليومى فى الحياة ، معناه أنه فى الواقع ليس هو العبد على الاطلاق !! ..

وقد كشف الرئيس جون مكاى رئيس كلية اللاهوت فى برنستون عن هذا بوضوح غير عادى فى قوله :

« وفضلا عن ذلك فان الكتاب المقدس ككتاب فداء له سلطانه فقط من هذه الوجهة ، على أنه كوثيقة تاريخية ينبغى أن تدرس وتبحث بأقصى ما يكون النقد التاريخى والعلمى .. » ـ الحياة المشيخية مجلد ٨ رقم ٢٥ فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥٥ صفحة ١٨ .

وفى الواقع أن دكتور مكاى لم يختلف كثيرا عن وجهة الرأى الكانتى، فهو اذ يتكلم عن الكتاب المقدس كوثيقة تاريخية ، انما ينظر اليه على مفهوم الحيز الظاهرى لكانت ، وهو اذ يتحدث عن الفداء ، انما يراه من وجهة الوجود المجرد على المفهوم الكانتى أيضا ، .. مع هذا المفهوم المؤكد أننا اذا فصلنا بين « دائرة » الفداء والكتاب المقدس بصفته وثيقة تاريخية صحيحة ، فان معنى ذلك أن المسيحية التاريخية قد انتهت ، واننا ما نزال الى الآن فى خطايانا ، .. وهل الكفارة والقيامة يدخلان فى « دائرة » الفداء ، وهل يمكن فصلهما عن الحيز التاريخى ، فى الوقت الذى فيه اذ نرغب فى معرفة اعلانات الله نستقى الحقيقة عنهما من الكتاب المقدس ، اننا اذ نحاول هذا الفصل ونضعهما فى مكان ما فى دائرة الفداء فاننا كأشقى جميع الناس تتطلع الى الأمام فى يأس قانط ، لنواجه ظلمة أبدية تحيط بنا من كل جانب ، لكننا نشكر الله أن الأمر لا يمكن أن يكون هكذا ، اذ أنه فى وقت محدد على هذه الأرض ، وفى مكان ما فى أرض فلسطين حمل المسيح يسوع ذنبنا على الصليب ، ومات ، وقام فى اليوم الثالث بمعجزة من الأموات ، وشكرا لله الذى أعطانا كلمته بسلطانها المطلق فى كل ما تتكلم فيه ، وأخبرنا بعمله العجيب اذ أعطانا ابنه الوحيد كفارة عن خطايانا !! ..

ولعل من أوضح الصور وأدقها للرأى العصرى الحديث الذى يفصل بين ما يطلق عليه دكتور مكاى دائرة الفداء ، والحيز التاريخى ماذكره دكتور وليم ف. البرايت العالم الأمريكى فى الآثار القديمة فى كتابه : « من العصر الحجرى الى المسيحية طبعة ١٩٤٠ صفحة ٣٠٧ عندما قال :

.. « وفى كلمات أخرى ان المؤرخ لا يستطيع أن يضبط تفاصيل ميلاد المسيح والقيامة ، وليس له الحق فى أن يصدر أحكاما خاصة بتاريخيتها ، ومن الجانب الآخر ان المؤرخ مؤهل لتقييم الأهمية التاريخية لصورتها وأهميتها الحيوية فى الحركة المسيحية الناشئة ممثلة فى شخص سيدها ، وحيث أنه لذلك لايمكن ايجاد حكم حقيقى كامل ، كما أن المؤرخ لا يستطيع الجواب على أحكام تخرج عن دائرة اختصاصه ، فان تقرير الأمر يلزم تركه للكنيسة وللمؤمن شخصيا اللذين يحق لهما قبول الصورة المرسومة فى الانجيل عن المسيا ، أو أخذ بعضها حرفيا ، وبعضها روحيا ، وهذا فى الميدان الروحى أكثر أهمية ، وما يجدر بالايمان المسيحى أن يعطيه المكانة الأولى ، ان المؤرخ ، أى مؤرخ يلزمه الوقوف على العتبة ، وخلع حذائه من قدميه قبل التمكن من الدخول الى مقدس الأسرار المسيحية ، مدركا أن هناك مناطق يقصر التاريخ والطبيعة فى الوصول اليها ، ويحكمها الله فى جلاله الأبدى » ..

ومع ذلك فهل يقع الميلاد العذراوى خارج اختصاص المؤرخ !! ؟ وهل يدخل فى نطاق مناطق أو دوائر ليست فى متناول يد التاريخ !! ؟ .. ان الاجابة بالنفى القاطع على ذلك تأتى من خلال العقائد الكبرى للكنيسة التاريخية المسيحية ، فالكنيسة وفق ما جاء فى الكتاب المقدس تؤكد أن المسيح يسوع ولد من مريم العذراء ، وأن أعدادا لا تحصى من الكنائس تردد فى يوم الرب قانون الايمان الرسولى : « أومن .. بيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا الذى حبل به من الروح القدس وولد من مريم العذراء ... » فعلى أى أساس يؤمن المسيحيون بهذا بالنسبة لسيدهم

وربهم ؟ ان الأمر واضح فى أن الرب أعلن لهم هذه الحقيقة ، كحقيقة تاريخية ، ان المسيح ولد من العذراء مريم ، فالميلاد العذراوى فى لغة أخرى حقيقة تاريخية ، تمت على هذه الأرض ، فى وقت محدد من الزمن والتاريخ . واذا كان هناك من سفر يركز فى الكتاب على تفاصيل هذه الحقيقة . فهو البشارة الثالثة الرائعة من الانجيل ، التى أوردت الأمر على الصورة التى يجرب المرء بالقول انها كتبت لكى ترد على أمثال النظرية العصرية النقدية المشار اليها !! ..

فاذا كان الميلاد العذراوى يرجع الى دائرة ما ليست فى متناول الطبيعة والتاريخ ، فيخشى انه لا يوجد هناك ميلاد عذراوى ، واذا لم يكن الميلاد العذراوى حقيقة تاريخية ، فليس هناك ميلاد عذراوى ، ونحن المؤرخين المسيحيين نقبل شهادة البشارة الأولى والثالثة من الانجيل ونؤمن أنهما جزء من كلمة الله المعصومة ، وهذه الشهادة مؤتمنة وموثوق بها ، سواء كانت تتحدث عن أمور خاصة بالفداء أو تفاصيل وقائع تاريخية ، وليس فى الكتاب المقدس دوائر أو مناطق يمكن عزلها عن التاريخ لتحمل لافتة خاصة بالايمان أو الفداء أو فوق الزمن أو فوق التاريخ ، أو ما يقصر التاريخ والطبيعة فى الوصول اليه ، .. اذ أن وضعها تحت هذه المسميات أو الصور ، هو فى حقيقة الأمر كأن ندخلها فى نطاق الأساطير والخرافات !! .. فاذا كان الميلاد العذارى يدخل فى نطاق ما يقصر التاريخ والطبيعة عن الوصول اليه ، فليس هناك ميلاد عذراوى ، واذا كانت القيامة تدخل أيضا فى هذه الدائرة ، فليست هناك قيامة ، ويكون جسد سيدنا المبارك ما يزال مغيبا فى قبر مجهول فى أرض فلسطين !! ..

لقد قيل ان الدراسة النقدية للكتاب يمكن أن تلقى ضوءا على الكلمات البشرية فيه ، ولكنها لا تستطيع الوصول الى دائرة الفداء ، .. فهذه الدائرة كما يؤكدون تتجاوز نطاق المؤرخ الناقد ، والنقد لايستطيع

حس الرسالة « الثابتة » للكتاب ، ومن ثم لا يستطيع بلوغ دائرة الفداء ، والبادى أن هذه هى الفلسفة الكانتية القديمة ، وقد أخذت طابعا عصريا لاهوتيا ، وهى مرفوضـــة اذ تقف على النقيض من المفهوم التاريخى للمسيحية ، المفهـوم الثابت لما صـــنع الله فى التـاريخ ، اذ صـــار ابن الله الأزلى انســانا ، حبـل به فى بطن عـذراء عاشـــت فى القرن الأول الميــلادى ، فى أرض فلســطين وولد منهـا ، وعاش ، وعـلم ، وصنع معجزات عظيمة ، ثم خانه تابعه ، وأسلمه للموت ، فحكم عليه ظلما بالموت ، ومات معلقا على خشبة الصليب ، وقد صنع بموته كفارة لخطايانا ، وأتم عدالة الله ، وصالحنا معه ، وفى اليوم الثالث ، فى يوم معين حسب التقويم من أيام سنة محددة فى التاريخ قام من الأموات ، وخرج من القبر ، وهذه الأفعال العجيبة التى أتمت فداءنا لم تحـدث فى دائرة أو منطقة مبهمة مجهولة ، بل حدثت على أرضنا فى زمان ومكان محددين، وفى الواقع أنك اذا انتزعت الأسس التاريخيةفى المسيحية ، فلن تكون هناك مسيحية على الاطلاق ، واذا وضعت الحقائق الكبرى فى المسيحية فى منطقة ما من « الفداء » وفصلتها فى نفس الوقت عن التاريخ ، فاننا فى الحقيقة ما نزال فى خطايانا ، ولن تستطيع أن تجد دينا ممتلئا باليأس والقنوط أكثر من ذلك الدين العصرى الذى يمكنه أن يصنع فاصلا بين دائرة الخلاص والدائرة التاريخية !! •• ولو صح أنه موجود ، فاننا مانزال الى الآن تحت لعنة الناموس ، ولا شىء أمامنا سوى العقاب الأبدى فى الجحيم ، غير أن الأمر ليس كذلك اذ أن حياتنا ممتلئة بالرجاء الذى بعثه يســوع المســيح بعمله الكفـــارى العجيب على هضبة الجلجثة خارج مدينة اورشليم !! ••

والسؤال الذى لابد من طرحه للآخذين بالرأى العصرى المشـــار اليه ولكن ماهو العمل الحقيقى للكتاب المقدس !! ؟ وقد نجد الجواب جاهزا ، انهم يقولون ان الكتاب سجل اعلان ، وشهادة عن كلمة الله ، ونحن

نجيب على ذلك بالتأكيد أن الكتاب سجل اعلان ، وهو أكثر من ذلك سجل اعلان دقيق ، وهو كنفخة من الله ، لابد أن يكون سجل اعلان معصوم ، وعندما نقرؤه لا يمكن أن نخدع ، اذ هو كلمة الله التى تكلم بها فى الأزمنة القديمة . وهو كسجل اعلان مؤتمن تماما وموثوق به !! ..

غير أننا لايمكن أن نوفى الكتاب حقه ، اذ قلنا انه سجل اعلان وتوقفنا عند هذا الحد . .. انه بالحقيقة سجل اعلان ، غير أنه اذ هو كلمة الله التى نفخ بها هو أكثر من ذلك كثيرا ، .. انه هو فى ذاته اعلان الله ، اذ أن الله مصدر كلماته وأساسها ، والله اذ هو المؤلف ، فلابد أن كلمات الكتاب اعلانه ، واذ هى هذا الاعلان فاننا لا نستطيع أن تقبل البتة الرأى العصرى القائل انها مجرد شهادة عن الاعلان ، ومع ذلك فان خلافنا مع هذا الموقف لاينحصر فى مجرد أن الكتاب المقدس شهادة أو مؤشر لاعلانات الله فى الأزمنة الماضية ، اذ ليس هذا هو لب الموضوع فى الوقت الحالى ، فلو انحصر الخلاف عند هذا الحد ، لما بدا جسيما أو خطيرا ، انما الخلاف يقع بشدة ، عندما يصورون الكتاب شهادة عن اعلان ، وأن هذا الاعلان الذى يشهد عنه هو دائرة مبهمة من « الفداء » أو « الكلمة » التى أشرنا اليها ، .. ان « كلمة » الله كما يقررون جاءت فى مهد كلمات الكتاب المقدس ، وهذه الكلمات الأخيرة تشير الى الأولى ، وما أبعد هذا عن الموقف المسيحى ، وتعاليم الكتاب المقدس نفسه ، اذ لا يكفى أن تؤكد أن الكتاب المقدس هو كلمة الله فحسب ، بل أكثر من ذلك هو ذات اعلانه ، .. والكتب المقدسة تلزمنا الاقرار بها كذات اعلانات الله الذى هو اله الحق ، .. فهى ليست مجرد مؤشر يشير الى الحق ، بل هى فى ذاتها الحق نفسه !! ..

والى جانب الرأى الذى يزعم أن الحق الكتابى حق شخصى نسمع فى هذه الأيام رأيا حديثا يحصر التاريخ الكتابى ، فيما يمكن أن يطلق عليه التاريخ المقدس ، وقوام هذا الفكر على زعمهم ، ان التاريخ ما هو الا الحوادث التى يلزم أن تتذكرها ، وبعض الحوادث ليست على درجة من الأهمية التى يلزم معها أن تتذكرها ، اذ أن أهميتها دون الكفـــاية اللازمة من هذا القبيل ، ومن ثم فان التاريخ الكتابى هو ذلك التاريخ الذى يتضمن الحوادث الواقعة وبشرط أن يضاف اليها أن تكون ذات معنى لعدد وفير من الناس !! ..

فحوادث التاريخ الكتـــابى هى الحوادث المحملة بالمعنى ، والمعنى المقصود هنا هو الذى يتلاقى فيه الانســـان مع الله ، والتاريخ المقدس بحسب هذا المفهوم هو ذلك التاريخ الذى يتدخل فيه الروح القـــدس بكيفية مباشرة ، فالحوادث التاريخية قد سجلت لأنها تتضمن عملا الهيا خاصا ، وهى بهذا التسجيل جزء من قصد الله ، أى أن لله قصدا فى التاريخ المقدس ، وما هذا التاريخ الا معاملات الله مع الجنس البشرى !! ..

ومهما يقل عن هذه الصورة فى تصور التاريخ ، فانه من الواضح أن الآخذين بفكرة التاريخ المقدس ، هم أولا وقبل كل شىء ، من الجماعات التى ترغب تماما فى انتهاج النهج النقدى ، المعادى لشهادة الكتاب المقدس عن نفسه ، فاذا كان الأمر كذلك فان من حقنا أن نسأل ما هو المقصود بكلمة تاريخ « مقدس » ولا حاجة الى القول بأن الحوادث التى دونها الكتاب حوادث فريدة فى بابها ، وقد سمح الله بتدوينها فى الكتاب على وجه فريد لارتباطها بخلاص الانسان من الخطية ، ونحن نخلص من خطايانا لا بغزوات الاسكندر الأكبر بل بموت يسوع المسيح على الصليب ، وهذا الحادث الأخير غنى بالمعانى التى تعوز السابق ، ومن البديهى أن المسيحى

شديد الاهتمام بكافة الحوادث التاريخية التى يمكن أن تعينه للحصول على الخلاص !! ••

ومع التسليم بهذا كله ، فان واجبنا يقتضى الاصرار على أن الحوادث الكتابية جرت فى التاريخ ، أو فى لغة أخرى هى حوادث تاريخية مقررة ، شأنها شأن بقية الحوادث التاريخية الأخرى ، وهذا واضح من عقيدتنا فى سيادة الله المطلقة على كل شيء ، وفق ما جاء فى الكتاب المقدس ، واقرار الايمان الوستمنسترى :

•• « ان الله الخالق العظيم لكل الأشياء يسند ، ويضبط ، وينظم ، ويحكم كل المخلوقات ، والأعمال ، والأشياء من أعظمها الى أدناها ، بحكمته العالية ، وعنايته المقدسة ، ووفق سبق علمه المعصوم ومشورة ارادته الثابتة والحرة ، لمدح مجد حكمته ، وقوته ، وعدالته ، وصلاحه ، ورحمته » ••

ويتبين من هذا الاقرار ان كل الأشياء قد تمت لأن الله أمر بها ، فهى واقعة لأن الله قضى بوقوعها ، والكل أجزاء مشروعه الكلى ، والكل أجزاء غرضه وأمره الشامل الكلى الأبدى ، وحوادث التاريخ وفقا لهذا كله بطبيعة الحال مقررة ، أو على حد كلمات بسكال التى تتفق معه فيها : « لو أن أنف كليوباترة كان أقصر لتغير وجه الأرض كلها » ••

وحوادث التاريخ الكتابى جزء من قصد الله الأزلى ، وعلى الصورة التى وقعت بها فى دائرة التاريخ ، وهى لا يمكن أن تعزل أو تفصل عن أصولها أو خلفيتها التاريخية ، وقد أتم رب المجد خلاصنا عندما مات على الصليب وقام من الأموات ، ولابد أن تتذكر بأنه سمر الى الصليب بالجنود الرومان فى مكان محدد خارج مدينة أورشليم ، و فى يوم معين من أيام سنة حسب التقويم ، وفى وقت محدد من ذلك اليوم ، وكانت البلاد

التى مات فيها خاضعة فى ذلك الوقت للامبراطورية الرومانية ، وشاء الله أن يتم أمر الصلب بقرار والى رومانى صغير اسمه بيلاطس البنطى !! ..

ان لقاءات الله مع الناس لم تحدث فى السحاب أو الفضاء لقد حدثت على هذه الأرض فى زمن وتاريخ معينين ، وقد يبدو هذا للرجل المصرى أمرا غير هام ولكنه على أعلى درجة من الأهمية فى الكتاب المقدس ، ومن أعظم اللقاءات التى حدثت بين الانسان والله ذلك اللقاء الذى التقى فيه الرب مع يوحنا المعمدان ، وقد نجرب أن نقول بالعبارة اليسيرة ان هذا اللقاء ماهو الا لقاء الله القدوس مع يوحنا المعمدان ، لكن الأمر بحسب النص الكتابى يمثل شيئا أعمق ، ولنسمع ما يقوله البشير : « فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية » ( لو ٣ : ١ ، ٢ ) .

والسؤال هنا لم هذا التركيز على الأحداث التاريخية !! ؟ وأى فارق يمكن أن يأتى من الجالس على عرش روما فى ذلك التاريخ !! ؟ وأى فائدة يمكن أن تجنى من هذه الوقائع التاريخية لحياتنا الروحية !! ؟ ان هذه وغيرها من الأسئلة يمكن أن تثار تأسيسا على فهم خاطىء لطبيعة المسيحية ، ومن الجلى أن الأمر يختلف فى العالم تماما بالجالس على عرش روما ، ويختلف فى العالم باللقاء الذى حدث بين يوحنا المعمدان والله ، وقد كان لوقا مهتما جدا ، بأن يعطى التفصيلات التى تقع بمثابة الخلفية الصحيحة لاعلان الله ليوحنا ، لأن هذا الاعلان حدث كواقعة تاريخية ، اذ أنه فى وقت معين ، ومكان محدد على هذه الأرض التقى الله بيوحنا المعمدان ، واذا أزلت هذه الخلفية التاريخية من المسيحية ، فانك فى الواقع

تزيل المسيحية ذاتها ، اذ أنها الدين الذى أسس حقا على قاعدة أحداث كاملة تمت فى التاريخ البشرى !! ••

ونحن نشكر الله كثيرا لأن لوقا البشير الموحى اليه قد اهتم أن يضع فى روعة ودقة بالغتين الخلفية التاريخية لهذا الاعلان الالهى العجيب ، وهو فى آدق التفاصيل لم يتركنا لنهجس « بلقاء » غيبى أو مبهم ، بل على النقيض من ذلك أوضح لقرائه الوقائع المحددة التى ارتبطت بهذا اللقاء ، وكان مجرد ذكر هذه الوقائع تأكيدا للرواية التاريخية ، واننا لا تتبع قط « خرافات مصنعة » •• وقد لا يكون لوقا — اذا أخذنا بمزاعم الرأى المشار اليه — كاتبا مجيدا جدا ، للتاريخ « المقدس » بقدر ما هو كاتب معتن بأحداث التاريخ ، فهو ككاتب لتاريخ حقيقى قد بلغ الذروة ، وتشهد كلماته بما لا يدع مجالا للبس عن دقته فى رواية الأحداث التى وقعت على هذه الأرض ، ونحن لا يمكن أن نترك انجيل لوقا دون أن يستولى علينا الأحساس الصادق بصحة الكلام الذى كتبه !! ••

لقد ضربت المسيحية جذورها وشعابها فى التاريخ ، وفى الوقت عينه فانه من الحقيقى ، كما سلفت الاشارة ، ان التاريخ الكتابى يقع فريدا وبغير ضريب ، وهذا التفرد قد كشف عنه اقرار الايمان الوستمنسترى فيما يلى :

« وكما تصل العناية الالهية فى المعنى العام لكل المخلوقات ، فانها على وجه الخصوص تهتم بكنيسته ، حتى أن كل الأشياء تعمل معا للخير » ••

ولا جدال على الاطلاق فى أن يسوع المسيح هو مركز التاريخ ، فهناك ماهو قبل الميلاد ، وما بعده وهذا صحيح كل الصحة ، كما أنه يمكن أن يقال فى معنى ما ان كل الأشياء تخدم غرض الله فى الخلاص ،

كما أنها أيضا ، برغم النـاس الأشرار والشعوب الشريرة ، تعمل لخير المفديين ، ولعل الكلمات العزيزة والمعزية لقلب المسيحى ، والتى تمثل الفلسفة الحقيقية للتاريخ : « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » ( رو ٨ : ٢٨ ) ، ونحن اذ نذكر هذا تؤمن أننا نقول شيئا يختلف تماما عما يقصده الأدعياء العصريون « للتاريخ » المقدس !!..

ان القارىء لكتابات هؤلاء الناس يتبين أن ما يقصدونه «باللقاءات» العظيمه بين الله والناس لا يشترط بالضرورة أن تكون أحداثا تاريخية . فاذا سمعناهم يقولون ان الطوفان كان عملا عظيمـا من أعمال الدينونة الالهية ، عن لنا أن نسأل : « وهل غرق أحد فى ذلك الطوفان !!؟ » .. ونخشى أن يكون الجواب عندئذ بالنفى ، وربما بما هو أكثر من عـدم الغرق ، اذ لم تبتل قدم أحدهم ، والسبب يرجع لأن هذا الطوفان يقع فى دائرة التاريخ « المقدس » أو الفداء أو سمه ما تشاء ، أو فى أبسـط عبارة ، انهم لا يؤمنون بأن هناك طوفان حدث على الأرض ، كما سجله الكتاب المقدس ، ان الطوفان فى كلمات أخرى على حد زعمهم لم يكن تاريخيا ، فاذا قيل ان هذا اللقاء العظيم حدث فى دائرة أخرى ، فان معنى ذلك بكل بساطة أننا نزيله من صفحات التاريخ ، .. والحقيقة أنه اما أن أن يكون هناك طوفان قد حدث على الأرض كما سجله الكتاب المقدس . أو أنه لم يكن هناك طوفان على الاطلاق !! ..

وماذا يمكن أن نقول عن سقوط الانسان !! ؟ ومما لا ريب فيه ان أحداث الأصحاحات الأولى من سفر التكوين كانت لقاءات بين الانسان والله ، .. فهل هذه الأحداث تاريخية !! ؟ هل كانت هناك جنة فى عدن وهل كان هناك آدم وحواء !! ؟ وهل كان السـقوط فى كلمات أخرى شيئا حدث على هذه الأرض !! ؟ ان الجواب على ذلك عند بعضهم أن

هذه الأصحاحات كانت فى عصور ما قبل التاريخ ، وهى أحداث فى العالم الروحى ، ويمكن اعتبارها من الغيبيات ، والكلمة «غيبية» لاينبغى أن تفهم بمعنى أسطورة أو خيال بل هى كما جاءت فى وصف أوتو ييبر فى كتابه الله فى التاريخ طبعة ١٩٣٩ صفحة ٦١ بالآتى :

« .. انها قصة توصف فيها الأحداث فى العالم الروحى فى لغة الوقائع الأرضية ، أو ترى فيها الأحداث الأرضية فى ارتباطها بالأصول الروحية .. »

والمعنى المستفاد من هذا ، اذا صح هذا التعريف أن الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين لم تحدث على الأرض ، اذ أنها حدثت فى منطقة ما من « العالم الروحى » وصيغت فى صورة قصة فى لغة الوقائع الأرضية ، فهى وان كانت قد رويت فى صيغة قصة وقعت على هذه الأرض ، لكنها فى الواقع لم تحدث على هذه الأرض ، بل حدثت فى منطقة ما من « العالم الروحى » .. والا يظهر هنا الطابع الكانتى ، والا نعود هنا الى التمييز بين العالم التاريخى الذى نعرفه ، والمناطق الغيبية أو المبهمة التى يريدوننا أن نضع فيها حقائق المسيحية العظمى !! ..

ومع ذلك فنحن نود فى الوقت الحاضر أن نشير الى شىء آخر أكثر من مجرد الأسس الفلسفية التى يريدون أن يبنوا عليها الشرح السالف للأصحاحات الأولى من سفر التكوين ، ونسأل هذا السؤال : من هو الجدير بأن يضع حدودا لهذه الغيبيات وأين تبدأ وأين تنتهى !! ؟ وما هى المقاييس أو المعايير التى يمكن أن نقيس بها ما هو غيبى وما هو تاريخى فى الكتاب المقدس !!؟ واذا صح أن هناك تمييزا بين هذه الأرض والعالم « الروحى » فان السؤال حسب تفكيرنا يبدو غاية فى الأهمية ، اذ يعتبر من الخطأ الفادح أن نخصص لدائرة « العالم الروحى » أو « دائرة الفداء » ما هو أصلا لتاريخ العالم الحاضر ، ولن يتفق معنا الكثيرون على

سبيل المثال اذا وضعنا غزو سنحاريب لفلسطين فى دائرة « العالم الروحى » والسبب البسيط الذى يدفع مثل هؤلاء الى ذلك ، هو أن سنحاريب نفسه دون هذا الغزو فى سجلاته ، على أن هذا السبب قد لا يكون كافيا ، وعلى وجه الخصوص عندما لا نجد المقابلة المماثلة لما أشرنا اليه حاضرة وجاهزة ، فاذا حدث شيء من هذا القبيل فمن ذا الذى يستطيع أن يبين أين تبدأ دائرة « العالم الروحى » وأين تنتهى ، .. فاذا كانت أحداث ما قبل التاريخ ، أحداث الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ، ترجع الى « العالم الروحى » فأين تقع قيامة المسيح يسوع !! ؟ والا نكون هنا آخر الأمر نتعامل مع غيبيات !! ؟ وألا يجوز أن هذه القيامة لم تقع على أرضنا فى التاريخ ، وكانت مجرد حادث فى « العالم الروحى » واذا كان الأمر كذلك فانه يتبع ذلك أن القيامة لم تحدث فعلا ، ويكون الرسول على حق عندما قال : « وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا ايمانكم » ( ١ كو ١٥ : ١٤ ) ، فاذا كانت القيامة تقع فى نطاق « العالم الروحى » أو على حد هذا الزعم ، فى نطاق دائرة غير دائرة التاريخ . فانه ينبنى على ذلك أن المسيح يسوع لم يقم من الأموات ، ومن الجائز أنه عند زيارة القبر فى اليوم الثالث ، وقع الاكتشاف المحزن أن القبر لم يكن فارغا ، وأن جسد الرب مايزال باقيا هناك ، فاذا كانت القيامة شيئا آخر ، خلاف القيامة التاريخية ، فليست هناك قيامة ، واذا لم تكن هناك قيامة تاريخية فليست هناك مسيحية ، ونكون جميعا حتى الآن تحت لعنة الناموس المخيفة !! ..

ومن ذا الذى يستطيع الحكم أين تبدأ الغيبيات وأين تنتهى ، وما هى أجزاء الكتاب التى بها غيبيات ، وتلك التى بها تاريخ !! ؟ من الواضح أنه لا يوجد من يستطيع أن يعطى الجواب الواضح على هذا السؤال !!.. بل لا مهرب فى الحقيقة من ادانة أدعياء التعبير العصرى « التاريخ المقدس » و « دائرة الفداء » واستخدامهما مرادفين لما أطلق عليه كانت دائرة

« الموجود » فاذا نظرنا الى الأمر باستخفاف واستهانة ، فانه من الصعب تجنب النتيجة أن المقابلات العظيمة التى تمت بين الله والانسان ، والتى ظهرت فيها يد الله بقوة ونشاط ، •• هذه المقابلات لم تحدث فى التاريخ ، بل فى بعض المناطق الأخرى ، كما أن الأحداث العظيمة الخاصة بالخلاص والتى دونها التاريخ الكتابى يخشى ألا تكون أحداثا حقيقية فى نطاق التاريخ ، واذا كان الأمر كذلك ، فان هذه الأحداث العظيمة لم تكن تاريخية ، واذا لم تكن تاريخية ، فان معنى ذلك بكل بساطة أنهـا لم تحدث !! ••

وثمة أمر آخر يلزم شد الانتباه اليه ، لقد قيل ان هـذه الأحداث أو المقابلات ، هى التى يظهر فيها النشاط الالهى ، كمثل حوادث الخروج ، اذا جاز لنا القول ، •• والسؤال هنا : هل كانت النجاة من مصر مجرد حادث رأى فيه مؤرخو اسرائيل نشاطا الهيا قويا ، أو كان ، كما يظهر من واقع الحقائق التاريخية ، نشاطا الهيا خاصا ظهر فى الخروج ، أو فى لغة أخرى ، هل قاد الله الشعب وأخرجهم من مصر بالصورة التى يقررها الكتاب المقدس ، أو أن المؤرخين الاسرائيليين فكروا فقط فى أن الحادث قد يعنى رؤياهم لتدخل اليد الالهية فى العمل !! ؟ •• ان أدعياء التاريخ « المقدس » ليسوا على اتفاق فى هذا الأمر ، ومهما يكن من خلافهم فيه ، فان من حقنا أن نؤكد أن الأحداث الخاصة بالخلاص والانقاذ ، المدونة فى الكتاب المقدس لم تكن مجرد سجلات رأى فيها الكتاب دلائل تشير الى ظهور النشاط الالهى فيها ، اذ لو اقتصر الأمر على هذا الوضع ، فمن يدرينا عما اذا كان هناك فعلا هذا لنشاط أم لا !! ؟ ومن يدرينا أنه فى مثل هذه الحالة لم يغفل كتاب الكتاب المقدس تدوين بعض الأحـداث الهامة جدا !! ؟ ومن يدرينا عما اذا كان ما اختاروا أن يسجلوه يكشف فعلا عن مظاهر النشاط الالهى ، وأليس من الجائز أن الكتاب قد تعرضوا هنا لخطأ فاحش !! ؟

انتا نشكر الله كثيرا لأن الكتاب المقدس لم يسجل مجرد أحداث ، يمكن أن مجرد استدلال للكتاب الكتابيين على النشاط الالهى ، اذ ليس هذا هو الموقف المسيحى على الاطلاق ، أن الموقف المسيحى لا يرى الكتاب مجرد مسجلين لأحداث قد تكون شاهدة على التدخل الالهى ، بل انه بالأحرى يرى ، كواقعة تاريخية ، الله المثلث الأقانيم وقد تدخل فى أعمال الفداء العظيمة ، وأنه بحكمته العالية على الفحص والاستقصاء ، قد أعلن للكتاب ما ينبغى عليهم أن يسجلوه دون أدنى زيادة ، •• وقد بصر « التاريخ المقدس » العصرى على أن الكتاب الكتابيين قد رأوا فى الأحداث دلائل تشير الى التدخل الالهى ، ومن ثم دونوها فى الكتاب المقدس ، غير أن المسيحية على العكس من ذلك تعلم أن الله عمل فى التاريخ بطريق الخلاص ، وأنه أوحى الى كتاب الكتاب المقدس بما ينبغى أن يسجلوه ،•• فى الحقيقة أن الموقف الذى اتخذه أدعياء « التاريخ المقدس » العصريون ، فى تصورهم لتدوين الحوادث العظيمة الخلاصية ، يقع على النقيض تماما من الموقف المسيحى التاريخى التليد !! ••

يزعم البعض أن كتاب الكتاب المقدس لم يكونوا مهتمين بتمحيص الحقيقة فى الروايات التى سجلوها ، ولم يكن سؤالهم الأول : هل هى حقيقية !! ؟ بل بالأحرى كانوا يسألون ماذا تعنى !! ؟ أو ما القصد !! ؟ ويستطرد هذا الزعم فى القول ان أبناء القرن العشرين المتمسكين بالحرفية هم أكثر تشبثا بالتفسير الحرفى للكتاب ، من مؤلفيه أنفسهم ، وواضح أن هذا الزعم يتمشى مع مجموعة الآراء العصرية التى أشرنا اليها ، •• ولو صح ، فانه فضلا عما فيه من اثارة ، يقتضينا أن نعاود أنفسنا من طريقتنا فى فحص الكتب المقدسة •• كما أنه من الواجب أيضا مناقشة الادعاء أن العبرانيين لم يكونوا يهتمون أساسا بمناقشة صحة الرواية ، بل كان انشغالهم الأكبر بما تعنى ، وهو ادعاء يقع بغير سند أو دليل !! ••

ولعل العودة الى مناقشة الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ، مثار الجدل الكثير ، يمكن أن تكون برهانا على ذلك ، فهل كان المؤلف البشرى لهذه الأصحاحات يؤمن وهو يسجل وقائعها ، أنه يسجل وقائع صحيحة !! ؟ فاذا كان يسجل وقائع لا يعنى كثيرا بالدقة والصحة فيها ، فلماذا كان يجهد نفسه فى تدوين الحقائق التاريخية فيها ؛ وعلى سبيل المثال لماذا اهتم أن يخبر قراءه بأسماء الأنهار التى تسقى الجنة !! ؟ وألا يحتمل أن بعض القراء البسطاء الذين لا يستطيعون تبين أن الكاتب لم يكن يهتم ـ على حد هذا الزعم ـ بالحقائق التاريخية ، كان يقصد تحديد موقع الجنة !! ؟ •• بل لماذا اهتم الكاتب بالحديث عن أرض الحويلة وذهبها الجيد ؛ والحقل وحجر الجزع فيها !! ؟ وما الفائدة من ذكر هذه جميعها اذا لم يكن يقصد أن يعرف قراؤه الموقع الحقيقى للجنة !! •• ان الأمر الذى لا شبهة فيه أن كاتب سفر التكوين كان شديد الاهتمام بتحرى وجه الحقيقة فيما يسجل ، وقد بدا هذا على وجه الوضوح من ذكره النتائج المفجعة التى ترتبت على العصيان المدون فى الأصحاح الثالث !! ••

فاذا تحولنا الى العهد الجديد تبينا أن الرسول بولس كان شديد الاهتمام بالحقائق المتضمنة فى وقائع السقوط وقد قارن بولس بين عمل آدم وعمل المسيح ، وقد فعل هذا على نحو يؤكد ايمانه الذى لا يتزعزع بصدق الوقائع المسجلة عن آدم ؛ كما أن عمل المسيح ذاته ، مؤسس فى عقيدة بولس ، على صدق الحقائق المرتبطة بآدم ، فاذا لم تكن هذه صادقة ؛ فان من حقنا أن نعترض على صدق ما يقال عن يسوع المسيح أيضا ، •• والبادى أن بولس كان شديد الوثوق بما جاء فى سفر التكوين عن السقوط ؛ كما أن الدراسة الدقيقة للكتاب ، تؤكد أن المزاعم العصرية والتى ذهبت الى أن العبرانيين لم يكونوا يتوخون الحق فى رواياتهم تقع بغير دليل أو أساس فى أى وجه من الوجوه !! ••

ولعلنا نستميح العذر فى السؤال لماذا ترغب أمة أو شعب فى الاهتمام بمعنى شيء لا يعتقدون أنه صادق ، أنه من المفهوم فى العادة أن الانسان يهتم بمعنى ماهو حقيقى ، ومن الصعوبة بمكان أن يعنى شخص بما لا يعتقد انه حقيقى ، بل لعله فوق التصور الأخذ بالزعم بأن كتاب الكتاب المقدس ، لم يكونوا يبحثون عن الحقيقة فيما يكتبون بقدر ما يتوخون المعنى الذى يقصدونه ، اذ أن هذا الرأى يلزم اسقاطه تماما ، اذ لم يكتب هؤلاء الكتاب كتاباتهم للتسلية ، لقد كتبوا فيما يعتقدون أنه كلمة الله ، ولو أنهم لم يكونوا على أعلى درجة من الاهتمام بتوخى الحقيقة فيما يكتبون لما كتبوا الكتاب المقدس على الاطلاق ..

ان المسيحى الحقيقى ينفض يديه تماما من هذه الآراء العصرية ، وهو يرى من خلفها جميعا التأثير الكانتى ، فاذا كان الكتاب المقدس على ما يقال شهادة عن « كلمة » الله ، فان « كلمة » الله هذه تبدو غريبة علينا جميعا ، اذ أنها ليست كلمة الحق التى أعلنها الله المثلث الأقانيم للانسان بنفسه فى كلمات ، وهى شيء يختلف تماما عن موقف المسيحية التاريخية ، اذ أنه وفقا لهذه المسيحية ، ووفقا للكتاب المقدس أيضا ، فان الله المثلث الأقانيم تكلم الى البشر ، وقد أبلغهم الحق فى الصورة التى يستطيعون معها أن يتقبلوه ، لقد تكلم اليهم فى كلمات ، وهم كمخلوقات مخلوقين على صورته يمكن أن يقبلوا الحق ويفهموه ، والمسيحية لهذا تقف على النقيض من الآراء العصرية ، اذ هى اعلان الله الواحد الحى الحقيقى ، والكتاب المقدس ليس مجرد شهادة عن بعض الكلمات الالهية المبهمة ، انه هو كلمة الله بذاته ، وهو ليس مجرد مؤشر الى الاعلان ، اذ هو الاعلان بذاته ، ونحن نصلى الى الله أن يدرك الناس فى عصرنا هـــذه الحقيقة بأجلى وضوح ، ويتحذر الخطاة من وعود سيناء ، ويتجهوا الى الفادى الكريم ، وعندئذ يمكنهم أن يرفعوا أيديهم الى الله قائلين : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » ( مز ١١٩ : ١٠٥ )

وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة
أن تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المســـــيح
يسوع ٢ تى ٣ : ١٥

# الفصل الحادى عشر

# الكتاب المقدس والخلاص

قال السيد المبارك فى الكلمات التى أضحت معروفة بالصــــلاة الكهنوتية : « قد سهم فى حقك • كلامك هو حق » ( يو ١٧ : ١٧ ) وهو قول فياض بالحب والحنان للتلاميذ الذين أوشك أن يغادرهم ، أما التلاميذ أنفسهم فقد كانوا سيبقون فى عالم شرير وكان لابد أن يقدســوا حتى يمكن أن يخدموا كشهود أقوياء لسيدهم ، وقد رفع المسيح صلاته للأب القدوس من أجلهم حتى يحفظوا فى اسمه ، ويصبحوا شركاء فى قداسته ، ويتم عمل التقديس هذا فى الحق أو بواسطة الحق !! ••

ومن ثم جاءت العبارة الرائعة اللاحقة : « كلامك هو حق » والبادى لأول وهلة أن المسيح يتكلم هنا عن نفسه ، اذ هو كلمة الله وهو الحق ، على أنه يبدو أن هذا لم يكن فى ذهن المسيح ، اذ أنه كان يتكلم عن كلمة الله لنا كشىء متميز عن شخصيته هو ، اذ ذكر فى العدد السادس انه أظهر اسم الله لتلاميذه ، وأنهم حفظوا كلامه ، وأن هذا الاعلان الخاص باسم الله الذى ذكره المسيح هو كلمة الله ، وقد جاء فى العدد الرابع عشر ، أنه أعطاهم كلمة الله ، وفى العدد الثامن أنه أعطاهم الكلام الذى أعطاه الله اياه ، ومن هذا يتضح أن مايقصده المسيح بكلمة الله هنا كان شيئا آخر خلاف شخصه المبارك ، والدراسة المتعمقة للآية المشار اليهـا فى مطلع الحديث تشير الى أن المسيح لم يقصد فى هذه الصلاة أن يعرف نفســه

بكلمة الله ، وغير خاف أن المسيح كان يعيش فى حياته الأرضية فى جو أسفار العهد القديم ، ويبدو أنه هنا فى حديثه عن كلمة الله كان يعكس ما جاء فى مز ١١٩ : ١٤٢ حيث نقرأ « ••• وشريعتك حق » كما أن العدد ١٦٠ من نفس المزمور يقول : « رأس كلامك حق » وفى ٢ صم ٧ : ٢٨ نجد هذه الكلمات : « والآن ياسيدى الرب أنت هو الله وكلامك هو حق وقد كلمت عبدك بهذا الخير » ••• ومن ثم يظهر أن المسيح فى صلاته كان يردد من العبارات ما يصور ما جاء فى العهد القديم من أفكار ، ولم يكن يقصد أن يشير الى شخصه باعتباره كلمة الله !! ••

والملاحظ أن سيدنا لم يقل هنا : « كلامك هو الحق » بل قال : « كلامك هو حق » •• وقد وصف نفسه فى انجيل يوحنا قبل ذلك : « أنا هو ••• الحق » ( يو ١٤ : ٦ ) غير أنه هنا لم يكن يصف نفسه ، بل كان يتحدث عن كلمة الله ، وكان يصفها ككلمات حقيقية . أن المسيح هو الحق ، وعندما يصف نفسه كان يستخدم التعريف المطلق . أما بالنسبة لكلمة الله فانه يصفها كحق أو كما يمكن القول : « ان كلمة الله حقيقية لأنها تتكلم الحق ، والرسالة التى تنادى بها رسالة حقيقية ، اذ هى الحق » وقد كان من الضرورى أن يوضح المسيح هذا اذ أنه لن يكون على الدوام مع تلاميذه ، وسيأتى الوقت الذى يؤخذ فيه منهم . ومن ثم كان لابد أن يعتمدوا على الدوام على كلمته ، وهذه الكلمة يعتمد عليها لأنها حق ، والكلمة التى يتكلم بها هى رسالة الله ، واعلانه المرسل الى العالم ، والتى يتكلم بها الى البشر ، وكلمة الله التى يتكلم بها يسوع المسيح بنفسه حق !!••

والمسيح لم يقل ان هذه الكلمة شهادة للحق ، ولم يؤكد أنها سجل أو مؤشر يشير الى الاعلان ، بل بالحرى هى كلمة الله نفسه ، [illegible] التى أرسلها الله ، وأعطاها المسيح لتلاميذه . وهى حق ، وقد أعطى

هذا الحق لغاية عملية •• ومن ثم فكلمة الله لذلك حق ، ويستطيع الناس بهذا الحق أن يتقدسوا ••

ويبدو أن السيد قد استعمل فى هذه الصلاة غير العادية عبارة « كلامك » فى المعنى الواسع ، ونحن نحيل الى الاعتقاد أنه يقصد بالتعبير أن رسالة الله حق ، وكل ما يتكلم به الله حق ، ولا يمكن أن يتكلم الله الا بغير الحق ، وهذا أمر بديهى ، وقد أعلن الله اللانهائى فى الحكمة ، والمعرفة حقه للانسان فى كلمات بشرية ، كلمات لا يستطيع الانسان بعقله المحدود أن يستوعبها بالتمام ، وان كان يستطيع فى الوقت عينه فهمها .•• فما هى اذا كلمة الله !! ؟ ان كلمة الله بالنسبة لنا الآن هى ما تكلم به ، وهى فيما نعتقد الكتاب المقدس بكامله ، وهذه الكلمة هى حق ، والكتاب المقدس حق اذ هو نفخة الله ، والله المؤلف لكل كلمة وردت فيه ، ومن ثم يحق أن نصفه دائما بأنه حق !! ••

ومع ذلك فهل يلزم لنا كمسيحيين محافظين أن نصر على الثقة الكاملة فى الكتاب !! ؟ وهل من المحتم أن تتمسك بعصمته !! ؟ وهل لا يمكن أن تتقابل مع الفكر العصرى فى أنه جزئيا بشرى وجزئيا غير معصوم !! ؟ ان بعض المؤمنين المخلصين ليسوع المسيح ممن أربكتهم الصعاب الكتابية قد يكونون فى بعض الأحايين على استعداد للتلاعب مع الرأى الآخذ بالوحى الفكرى ، كما لو أنه من الممكن للأفكار بعيدا عن الكلمات التى يمكن أن تعبر عنها هذه الأفكار، أن تكون وحيا ، وبعض الانجيليين ممن يروعون من شدة الهجوم الذى تشنه الأراء العصرية ، وتحت وطأة قسوتها يجربون بالتراجع ، وهم يسألون عما اذا كان من الممكن هجر العقيدة القديمة عن الكتاب المقدس قائلين : دعنا من التكلم بعد الآن عن الوحى « اللفظى » ولنضع بدلا منها « الكلى » أو لنستعمل كلمة

« الوحي المؤثر » الديناميكى ، أو كما يقال ان التسليم ببعض الهنات الصغيرة هنا أو هناك لن يضير شهادتنا الانجيلية !! ..

ولا حاجة الى القول اننا نعطف على الذين يقولون مثل هذا القول ، اذ كثيرا ما واجهتنا نحن بعض الصعاب الكتابية ، ووطأة الهجوم على كلمة الله ، ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نتزحزح عن موقفنا الثابت من عقيدة العصمة الكتابية ، والغرض الوحيد من الكتاب الحالى ، اثبات أننا اذا تزحزحنا عن هذه العقيدة قيد أنملة ، فاننا سنخسر بالبطء وعلى التوالى جميع العقائد المسيحية الأخرى ، لأنه اذا أخطأ الله — وحاشا له — فى قول واحد ، فكيف نعرف أنه لا يخطىء فى أكثر من قول ، فاذا كان قد أوحى خطأ فى الأمور المقول أنها صغيرة فكيف نتأكد أنه لم يفعل ذلك فى الأمور الأكثر أهمية !! ؟ ان الأمر كله يقع فى مأزق خطير ، وليس من مهمتنا كمسيحيين محافظين أن نطالب بالحل النهائى لكل صعوبة كتابية ، اذ أننا مدعون بالأحرى لدراسة الكتاب دراسة دائمة ، وشرحه ، والدفاع عنه اذا لزم الأمر !! ..

ولعل أقسى ما يمكن أن يفعله المسيحى المؤمن فى مواجهة الهجمات العصرية أن يطوح بالكتاب ، .. انه على العكس يستطيع أن يتحدى بالكتاب كل فكرى عصرى ، كما يستطيع فى اسم المسيح أن يطلب من الناس أن يتوبوا عن خطاياهم ، وأن يقبلوا بالايمان الخلاصى ذاك الذى مات عنهم على الصليب وقام ، ومن واجبه أن يطالبهم بالثقة فى المسيح ، لأن الله يطلب ذلك ، ومن واجبه أيضا أن يرجع بهم فى وعظه الى : « هكذا قال الرب » .. وهو ان لم يستطع المناداة بالسلطان الكتابى ، فهو أعجز من أن يبشر بالانجيل بالفاعلية والتأثير ، كما أن الذين يتصورون أنهم يستطيعون مواصلة التبشير بالانجيل، وفى الوقت نفسه يرفضون عصمته، سينتهون

آخر الأمر الى ادراك أنهم لا يعظون بالانجيل بل بالحرى برسالة تتمشى مع العصرية غير المؤمنة !! ..

ان الكتاب المقدس يقع بغير ضريب ، ونحن لانستطيع أن نعرف ارادة الله بدونه ، فى أصول الايمان الهديلبرجى هناك سؤال يقول : « من أين تعرف بؤسك » ويأتى الجواب البسيط : « من ناموس الله » .. والانسان لا يعرف وفق هذا المعتقد حقيقة بؤسه العظيم الا من ناموس الله ، وهذا يتفق تماما مع الكلمة الالهيـــة : « لأن بالنـــاموس معرفة الخطية » ( رو ٣ : ٢٠ ) وهذا الناموس الذى تشير اليه الكلمة ، قد دون وأثبت نهائيا فى الكتاب المقدس ، ومن الســـهل على الانسان الذى يرغب فى الاسترشاد به أن يصل اليه فى كل وقت !! ..

وهذا الناموس الموجود فى الكتاب ليس سجلا لبعض « الاعلانات » أو مؤشرا « لكلمة » الله . انه اعلان الله ، وهو كاعلان الله يبكت الناس على الخطية ، وهو ناموس ثابت وغير متغير اذ أعطاه الله بنفسه للانسان ، ووقع كلماته المقروءة يقنع الناس بخطيتهم وبؤسهم ، وبدون هذا الناموس المكتوب ليس للانسان أو فى قدرته أن يعرف حقيقة حاله ، وقد كشف يوحنا بنيان بأسلوبه الرمزى العظيم هذا الأمر ، اذ صور المسيحى يعيش فى مدينة الهلاك الى أن يبدأ فى قراءة كلمات كتـــاب ما ، وكنتيجة لهذه القراءة يصرخ : « ماذا أفعـــل !! ؟ » كان كل شىء هادئا الى أن بدأ المسيحى يقرأ الكتاب ، وقد أعطته هذه القراءة الادراك الذى تولد فيه أنه خاطىء !! ..

وبرغم كل ما يقال على النقيض من ذلك فى هذه الأيام ، فانه بدون الكتاب يتعذر علينا معرفة ماهى المسيحية ، ومن الحق أن التقاليد المحرفة كان يمكن أن تتداول ، لكن بدون الكتاب يستحيل علينا أن نعرف الحقيقة

فيما نؤمن به ، وقد أوضح اقرار الايمان الوستمنستري في مطلع صفحاته هذه الحقيقة اذ دونها بأسلوب رائع جدير بكل تأمل وتفكير !! ..

« ولو أن نور الطبيعة ، وأعمال الخليقة ، والعناية تظهر صلاح الله وحكمته وقوته ، على نحو يترك الناس بدون عذر ، لكنها ليست كافية لتعطي للناس معرفة الله ، وارادته الضرورية للخلاص ، لذلك سر الرب بأنواع وطرق كثيرة أن يعلن نفسه ، ويكشف ارادته لكنيسته ، كما أنه بعد ذلك وللصيانة الأفضل للحق ونشره ، وللبنيان الأثبت للكنيسة ولتعزيتها في مواجهة فساد الجسد وخداع الشيطان والعالم ، رتب تدوين الكل كتابة ، مما جعل الكتاب المقدس في غاية الضرورة ، وهذه الأعمال السابقة في اعلان ارادة الله لشعبه قد انتهت الآن »

أجل كان الكتاب المقدس في غاية الضرورة ، وكان هو الطريق الوحيد لصيانة الحق ونشره ، وترى كيف يكون الحال معنا نحن الذين اعترفنا بيسوع المسيح مخلصا !! ؟

لقد أدركنا حقيقة خطايانا من قراءة كلماته ، وجعلتنا هذه الكلمات ندرك أننا أخطأنا ضد ناموس اله قدوس ، وأكثر من ذلك عرفنا من هو الله ، وكيف تعدينا على ناموسه ، واذ عثرنا على الحقيقة أدركنا أننا بسبب الخطية . نواجه العقاب الأبدي الأكيد !! ..

على أن كلمات الكتاب عرفتنا شيئا آخر اذ أخبرتنا عن محبة الله في المسيح يسوع ، فما أثمن مواعيد الخلاص للقلب المؤمن ، وما أجمل أن يردد المؤمن منذ مطلع الحياة : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ( يو ٣ : ١٦ ) ، وهو اذ يرددها في اليقين الكامل يضع ثقته في المسيح يسوع كالفادي والمخلص الوحيد ، وهو اذ يمتلىء من هذه الثقة بالروح

القدس الساكن فيه ، لايمكن أن يقبل هذه التفرقة المزعومة بين كلمة الله ، وكلمات الكتاب المقدس ، بل يرى على الدوام فى الكلمة الالهية الرسالة الوحيدة للرجاء والحياة !! ..

من المؤسف أن الكثيرين ممن يعترفون بالمسيحية لا يأخذون كلمة الله بالجدية الواجبة ، مع أنه من أهم الأمور أن يسلك بالكلمة الالهية كل من يلوذ بالمسيح من اصبع اتهام ناموس الله ، وقد لا يكون مألوفا عند البعض أن يثبتوا حياتهم على سلطان الكلمة الالهية ، ولكنه ان يكن أمرا غير مألوف فهو ولا شك مبارك ، اذ أن الاطمئنان الى أن كلمات الكتاب المقدس ليست مجرد كلمات الناس ، بل هى بالأحرى الكلمات التى تحمل سلطانا الهيا ، ليعطى حافزا قويا لايمان الانسان فى الأرض ، ان الحياة البشرية محاطة بالتغير والفساد ، وقد فشلت حكمة الانسان ، كما أن العلوم والفلسفات تكاد تصبح كل يوم قديمة وبالية ، لكثرة ما يلاحقها من تبدل وتطور ، والتيار الجارف يدفع على شطئان الحياة بآخر المكتشفات وأحدث المعرفة ، فأين نقف من كل هذه !! ؟ وبأى شىء نمسك !! ؟ .. ان هنالك الكتاب الذى هو سراج للرجل ونور للسبيل ، ونحن المسيحيين الذين ندرك سخرية العالم وازدراء الكنيسة العصرية . هل يمكن أن نهتف اذا لم ندفع وراء اعصار الفكر البشرى المحدث : « خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطىء اليك » ( مز ١١٩ : ١١ ) .

ان العودة الى الكتاب هى أعظم ما يحتاجه عالم اليوم . وان لم ترجع الكنيسة الى الكلمة ذات السلطان ، كلمة الاله المسيطر على كل شىء ، ولنقلها بجرأة ، الى الكلمة ذات السلطان المطلق ، واذا لم تكن ترغب فى الاصغاء الى الكلمة الالهية ، واضعة اياها فى المكان الذى ينبغى أن تتوضع فيه ، فانها لا يمكن أن تبقى كنيسة الله الحى ، .. على أنها اذا أحنت رأسها فى الخضوع الوديع لكلمة مليكها الجليل الممتلئة بالمحبة

والنعمة ، فانها تستطيع عندئذاك مواجهة كل خصومها بالجرأة والشجاعة، بل أكثر من ذلك تعلن الحق على أروع صور الحزم والجسارة !! •• ويمكنها أن تقول : لست أستحى بانجيل المسيح لأنه أعطى لى من ذاك الذى هو هو أمسا واليوم والى الأبد ، وهو الذى أخبرنى أن الكتاب كتابه ، وأنه الكتاب الذى يتحدث عنه ، ويخبر بشخصه ، •• والآن تعالوا يا حكماء الأرض ، ويا أيها المتشككون ، ويا من ترغبون فى الجدل والنزاع العصرى ، تعالوا محملين بوشوشة الشك والسخرية والريب . فانى آخذ مكانى على الصخر الثابت غير المتغير لحقه الأبدى ؛ وأرفع عقيرتى باسمه الأزلى الذى أخرج الى الوجود حقول الأرض النضرة والسماء الزرقاء من فوق وأناديكم جميعا

اسمعوه أيها الموتى حمدوه أيها البكم
ولمجده تحل عقدة اللسان !! ••
وأنتم أيها العمى أنظروا فاديكم
واقفزوا يا عرج للسيد المنان !!

ان على المسيحى أن يعيش فى وسط عالم يحمل عداءا قاسيا لمسيحية الفداء الخارقة للطبيعة ، والمؤمنة بالله ؛ وهو يلزم أن يكون نبيا وشاهدا للحق . والغالبية الكبرى من جمهرة الذين يتلاقى معهم لا يكادون يبالون بالرسالة التى يحملها اليهم، وهم أسرع ما يركضون الى أخدود اللامبالاة، ليعيشوا هناك اليوم وراء الآخر بأقل أو دون اهتمام . بأعظم الأمور فى الحياة . وهم يعتقدون أنهم أغنياء وقد ازدادت خيراتهم ، ولا يدركون أنهم فى الحقيقة فقراء ، وأشقياء وموتى ، •• على أنه هناك أيضا من يشعرون بحاجتهم ، وقد فقد العالم وفلسفاته كل بريق أمام عيونهم . كما أن دين الأعمال الانسانية لم يعد يفى أعماق احتياجاتهم القلبية ، وقد

يكون كل شيء حسب الظاهر حسنا ، ولكن الحقيقة فى الداخل ، بسبب الخطية ، تواجه علامة استفهام كبيرة ، •• والسؤال هل أصبح الانسان آخيرا المقياس لكل شيء !! ؟ •• وماذا لو ــ ولنقل بكل جرأة ــ كان هناك اله لا يبرىء المذنب !! ؟ وماذا اذا كان لابد للانسان أن يقف أمامه فى يوم الدينونة !! ؟ ان مثل هذا الانسان فى حاجة الى أن يسمع الحق من صاحب السلطان المطلق ، وهو اذ يضنيه الجهد فى حل مشاكل الحياة المختلفة يرفع عقيرته صارخا : « أليست هناك كلمة من الرب » !! ؟

ان المسيحية تحمل لهؤلاء جميعا رسالة الحياة والرجاء ، وهى اذ تنشر هذه الرسالة انما تقوم بأجمل عمل على ظهر هذه الأرض فى هــذه الأيام . وعمل المسيحى أن يشهد للحق ، وأن يكون سفيرا للملك : « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك الهك » ( اش ٥٢ : ٧ )

ان الهك يملك ، وهو يعطينا البشرى المجيدة الطيبة ، وهــذه هى الرسالة التى اجتهدنا فى ابرازها فى هذا الكتاب ، •• ان الهك يملك ، وهو الجالس على العرش ، والملك العظيم وحــده ، وقد تكلم وكلمته حق ، •• وخلفنا ذلك الليل الطويل . الطويل من الخطية ، ودائرة الظلام حيث خلقنا لأنفسنا آلهة على صورتنا ، وبنينا فلسفات على شبهنا ، وأمامنا أرض عمانوئيل ، حيث الطريق المســتقيم والنهار الواضــح اللامع لأن : « فتح كلامك ينير » ••

١٤-